هدايا المسرة

طرائف الأمس غرائب اليوم

او

صور من حياة النبك وجبل القلمون

في اواسط القرن التاسع عشر

بقلم

يوسف موسى خنشت

امين الصندوق في النبك

١٩٣٦

مطبعة القديس بولس في حريصا

هدايا المسرة



طرائف الأمس غرائب اليوم

او

صور من حياة النبك وجبل القلمون

في اواسط القرن التاسع عشر

بقلم

يوسف موسى خنشت

امين الصندوق في النبك

١٩٣٦

مطبعة القديس بولس في حريصا

طرائف الامس غرائب اليوم

هدايا المسرة



او

صور من حياة النبك وجبل القلمون

في اواسط القرن التاسع عشر

يوسف موسى خنشت

امين الصندوق في النبك

سابقا

١٩٣٦

مطبعة القديس بولس في حريصا

مقدمة الوطني الكبير رشيد بك نخله

امير الزجل اللبناني

الطرائف

تلقيتها كتاباً متنوع الفصول متعدد البهجات في تقاليد «جبل القلمون» عامة و «النبك» موطن المؤلف خاصة. فأكبرت صبابة الصديق الكريم يوسف افنـدي خنشت في هوى التاريخ الوطني ووفاءه لدار ميلاده وارض ترعرعه

وليس بالقليل هذا كله في باب الوطنية. فقوميات الشعوب لا تُستبقى الا باستبقـاء تقاليدها، وان استُخشن قديمها في نعومة جديدها. فكيف اذن بمن جمع لك بين هاتين الدفتين كل واردةٍ من عادات ذلك الجبل وتقاليده، وكل شاردةٍ من اساليب المواصلة فيه وطرائق المعايشة حتى في حقائر ما لا يكاد يلتفت اليه الخاطر من اشياء القوم وشياتهم! ذلك فضلاً عما يماشيك في خلل الكتاب من حنانٍ عميق على حاضرٍ يتولّى، وتحنانٍ رقيق الى ماضٍ تولّى. فكأن قلم الكاتب في هـذه السبحات الحلوة يفي بذمة ويقوم بميثاق فوق وفائه لحقيقة التاريخ وقيامه بما ينبغي لها

فالله تعالى وكبر ياخذ بيد كل من رعى ذمّة، ووعى تاريخ امة، وجمع شتات ما انطوى من فضائلها ونشر، وذكَّر بمبتدإ اخبارهـا وذكر، وهو سبحانه يجزل مكافأة العاملين المخلصين

بيروت في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ — رشيد نخله

مقدمة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

كلمة في «طرائف الامس غرائب اليوم»

من انواع التواريخ الوطنية، التي هي مرآة الحياة، البحث في « العادات والاخلاق والتقاليد » في كل قطر، لاختلاف ذلك في احدها عن الآخر . ولقد عالج كثير من المؤلفين هذه البحوث، وكتبوا فيها المقالات، وألفوا الكتب والرسائل عند الاجانب والعرب، ولاسيما المستشرقون الذين كلفوا بمثل هذه الشؤون وتتبعوها ونشروها فكانت آية الابداع

وكنت قد اقتفيت آثار من تقدمني بوضع كتاب « لطائف السمر في لبنان والقرن التاسع عشر »، وفيه اشياء كثيرة عن المعتقدات والعادات، وهو لا يزال مخطوطاً، وكتبت مقالة مطولة في «تاريخ لبنان» في الحرب الكبرى افضت فيها « بوصف الاخلاق والعادات في لبنان » وما يجاوره وقد طبع الكتاب . ثم القيت محاضرة بالمدرسة الشرقية في زحلة بعنوان « الاخلاق مجموع عادات طبعت على حدة برسالة . وكذلك اقتبست من هذه الشؤون كثيراً لما طبع من مؤلفاتي، مثل « مجلة الآثار » في مجلداتها الخمسة و « دواني القطوف » و « تاريخ زحلة » و « تاريخ الامير فخر الدين الثاني المعني » وغيرها . فكشفت هذه البحوث اشياء كثيرة عن عادات كثير من بلادنا اللبنانية والسورية والفلسطينية وما يجاورها . وبقيت عادات جبل القلمون واخلاق سكانه مجهولة عند كثيرين . فحبذا لو اعتنى كل قطر بتدوين آثار بلاده الاجتماعية

فوضع صديقنا الكريم يوسف افندي خنشت هـذا الكتاب باسم « طرائف الامس غرائب اليوم »، ضمنه كل شاردة مما كان في النبك خصوصاً وجبل القلمون عموماً، مما هو غريب يخالف احياناً لمثلها عند غيره . وذلـك باستقراء بديع وتتبع غريب واسلوب طريف ملأ فيه هذه الصفحات مزينة برسوم تمثل كثيراً من تلك النوادر التي كانت عند الاسلاف ولم تزل بقاياها القليلة تحدث عنها ولكنها تهمل شيئاً فشيئاً حتى لا يعود لها اثر في ما يأتي . وذلك لاننا الآن سريعو التقليد لغيرنا والاعراض عما عندنا من المحاسن احياناً، واستبدالها بما لا يناسب حالتنا . وهو داء عضال فينـا يصعب شفاؤه

فيكون جمع مثل هذه الآثار، ولاسيما ما كان بقلم المعاصرين والواقفين عليه، يعيد الينا كثيراً مما كان عندنا من التقاليـد والغرائب، فتبقى مدونة لمن ياتي بعدنا يستطلع منها طلع شؤون الماضين . وحبذا لو تنبه كل قطر من اقطارنا الى تدوين مثل هذه الروائع فانها تدل على ما كان يدور بين الناس في القديم من الحوادث والعادات والنكات، يستنتج منها اللبيب اقيسة مبنيّة على مقدمات تدل على شؤون الاسرة في حياتها ومعايشها واساليب اجتماعهـا ومظاهر تقاليدها ومتلوّن عاداتهـا ونادر اعمالها وشارد معتقداتها وطرق اناشيدها وتلاحينها واغانيّها وشعرها القومي وتعابيرها العامية بمحادثاتها وازجالها وموافقات ذلك لاحوال اقليمها وفطرة سكانها ومرمى اغراضهم واختيار مقتبساتهم ومعرفة اذواقهم وتصرفاتهم في ولاداتهم واجتماعاتهم وولائمهم واعراسهم ومآتمهم واعمالهم على اختلاف انواعها

وعلى الجملة فان مثل هـذه المقالات تصور لنا مجمل حياتهم وسلوكهم وتصرفهم واخلاقهم . وليست الاخلاق الا مجموع عادات، والعادات خلاصة الحياة . ونحن باشد حاجة الى مثل ذلك لقياس الحاضر على الماضي ونبذ ما لا يوافق واقتباس ما ينفع

فنشكر لجامع هذه « الطرائف » سعيه في تدوينها باستقراء وتقصٍّ، ولطابعيها نشرها باتقان . طالبين لهذا الكتاب رواجاً يستحقه لانه جدير ان يكون بين ايدي المطالعين للوقوف على ما يجهلونه من شؤون الاسلاف . والله ولي التوفيق

عيسى اسكندر المعلوف

بيروت في ١١ ك ٢ سنة ١٩٣٧



مقدمة المؤلف

تسير عاداتنا المحلية في سبيل الانقراض . فلا يمضي يوم بدون ان يدخل عليها شيء جديد من صور الحياة الجديدة، متسرباً اليها بطريق الاختلاط باقوام تخلقوا بغير عاداتنا المعروفة . فكاد يمحي ذلك الطابع الذي تمتاز به عن غيرهـا . حتى لنستطيع القول بان هذه العادات لا تلبث ان يطويها الماضي مع ما طواه من عادات الاجيال الخوالي، ويجعلها نسياً منسياً، فلا تعود تظهر بعد ذاك الا بمظهر الاثر الدارس، يروق العين مرآه وتبهج الخاطر اخباره، بما فيها من غريب تأنس الى غرابته، او مستهجن ترى فيه لذة وطرباً

وقد حملنا هذا الامر على تدوين بعض هذه العادات ـ المنتشرة في بلدة النبك خصوصاً، وفي القلمون عموماً مع بعض اختلافات بسيطة احياناً ـ وتصويرها تصويراً بسيطاً صادقاً . فإنّا لم نتوخ ان يكون تصويرنا اثراً فنياً تبدو عليه ملامح الصناعة والكلفة، ولا درساً في العادات ممتعاً نتأثر فيه اصل تلك العادات وتطورها . بل اقتصرنا على تصويرها في هذا الوضع، متقيدين تقيداً تاماً بشكلها كما كان، بدون زيادة ولا نقصان، لكي تكون تراثاً تستعين به الاجيال الآتية على معرفة شكل حياة اسلافها وكيفية معيشتهم

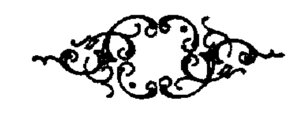
ولقد عقدنا النية على ان لا ندخل على هذه العادات شيئاً من الاثر الغريب، حتى تظل مصطبغة بهـذه الصبغة المحلية . وحرصنا كل الحرص على ان نصورها كما هي، بكل ما فيهـا من سذاجة

وبساطة تتسم بهما حياة اهل هذه المنطقة المنعزلة؛ التي لم يؤمّن لها اتصال بغيرها من الامم لتتعرف بعاداتها وتتأثرها . وانما تظهر هذه العادات وهـذه الاخلاق في صور كثيرة واشكال مختلفة؛ كان سبيلنا اليها مراقبة طويلة واختبار شخصي تمكنّا بـه من الوقوف على هذه العادات ومعرفتها معرفة دقيقة؛ حتى لم يفتنا منها شيء . لان اقل هذه الامور اهمية كان يسترعي انتباهنا مثلما كان يسترعيه اكثرها اهمية

وقد حملتنا رغبتنا في تصوير هذه العادات في شكلها الصادق؛ على ان نعود بذكرياتنا الى خمسين سنة خلت؛ كانت لا تزال فيها هذه العادات حيّة لم يعلق بها ايّ اثر غريب . واستعنّا؛ للتثبت مما فاتنا تذكاره؛ بمن عاشوا في تلك الايام وكانوا يمارسونها ويحيونها؛ حتى كانت لنا من ذلك صورة فيها من الصدق والامانة والحياة ما لا يجعل سبيلًا للشك في صحتها وثبوتها . وعسى ان نوفّق في هذا المسعى . والله عوننا؛ ونعم الوكيل

وقد تلطّف كلّ من الوطنيين الكبيرين رشيد بك نخلة امير الزجل اللبناني والاستاذ المؤرّخ المدقق عيسى اسكندر المعلوف فصدّرا كتابنا بما اوحت اليهما نفسهما العالية . فنقدّم لهما عبارات شكرنا الخالص . ادامهما المولى ذخرًا للادب ومفخرة من مفاخر الوطن العزيز

يوسف غنطس





رسم المؤلف

فهرس





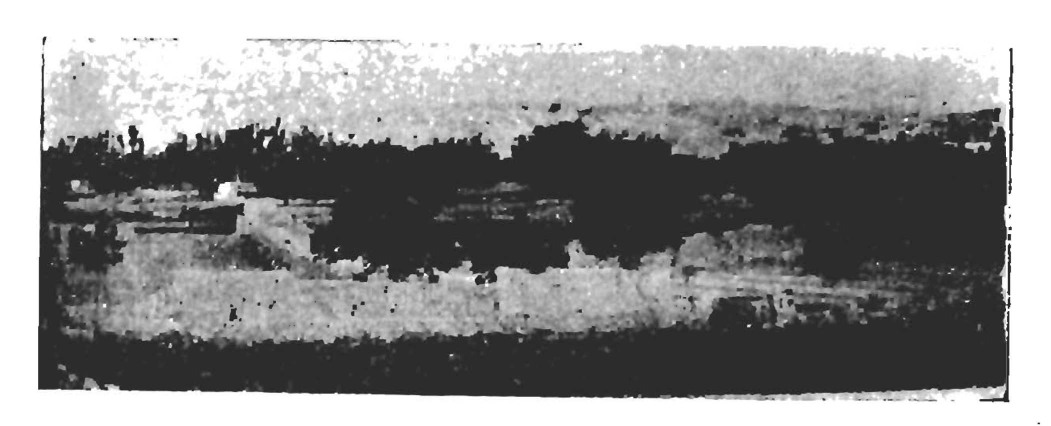


منظر عام لبلدة النبك عاصمة القلمون

النبك عاصمة جبل القلمون

موقعها . عدد سكانها . مناخها . منظرها . المشاهد المحيطة بها

كانت النبك، حتى منتصف القرن التاسع عشر، قرية كبيرة او بلدة صغيرة واقعة على بعد ٧٩ كيلومتراً شمالي دمشق، في منتصف الطريق بينها وبين حمص وفي طرف صحراء سورية، على « نَبك [1] » متلاصقة ترتفع ١٤٠٠ متر عن سطح البحر . وكان يسكنها اذ ذاك زهاء ثلاثة آلاف شخص من المسلمين الشافعيين، تكاد لا تجد بينهم اكثر من عشرين في المئة يقرأون قراءة بسيطة . وخمس مئة نسمة من السريان والروم الكاثوليك معظمهم يقرأون ويكتبون قراءةً وكتابةً بسيطتين . تطل بيوتها شمالاً على سهل فسيح، وتحيط بمساكنها من الشمال والشرق جنائن



منظر النبك تحيط بها البساتين والكروم

وبساتين وكروم تُسقى من نهرها المشهور بعذوبة مائه وبرودته وصفائه، الذي لا يزيد وزنه عن ١٦ بميزان المياه . ويأتيها هذا الماء بقناة ارامية على قول البعض، ورومانية على زعم غيرهم . وفيها آبار عديدة الى الجنوب الغربي منها . وهي مشهورة بجودة مناخها وطيب هوائها البارد الجافّ جداً . لذلك قلما تجد بين اهلها انساناً ذا صوت رخيم . كما انك لا تجد بين نسائها امرأة ذات شعر ناعم طويل . بل اذا جاءت اليها امرأة غريبة فلا يمر عليها سنة او سنتان حتى يتقصف شعرها ويصبح قصيراً خشناً

---

(١) جمع نَبَكة، اي تلّ . والمعنى ان المدينة بُنيت على تلال صغيرة . لذلك سمّيت بالنبك

صيفها لطيف لا يعرف الحر الا قليلاً . وشتاؤها بارد قارس الى درجة قصوى، تسقط فيه الحرارة احياناً الى الدرجة ٢٠ سنتغراد تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف الى اعلى من ٢٩ س . فوق الصفر الا نادراً جداً . لكن بردها مع شدته خالٍ من الرطوبة لا يُخشى منه ضررٌ . ولقد تغنى به أحد الشعراء، فقال:

اذا هاجت الرمضاء ذكراكِ بَرَّدت حشايَ كأني بين قارةَ والنبكِ

ويقولون ان الشيخ عبد الغني النابلسي لما مرَّ بها اثناء رحلته الشامية ١٦٩٣ م (١١٠٥ هـ) قال :

خليلي خلّنا نبكي بنبكٍ لان قعودنا فيهـا قليلُ
فواكهها اذا حملت وطابت بارض الشام ليس لها مثيلُ
فمنطق اهلها لغوٌ صريح كذاك بماثها يُشفى العليلُ

وكذلك يقول الناس في هذه البلاد بلغتهم العاميَّة :

ما بين قارة والنبكِ بنات الملوك تبكي

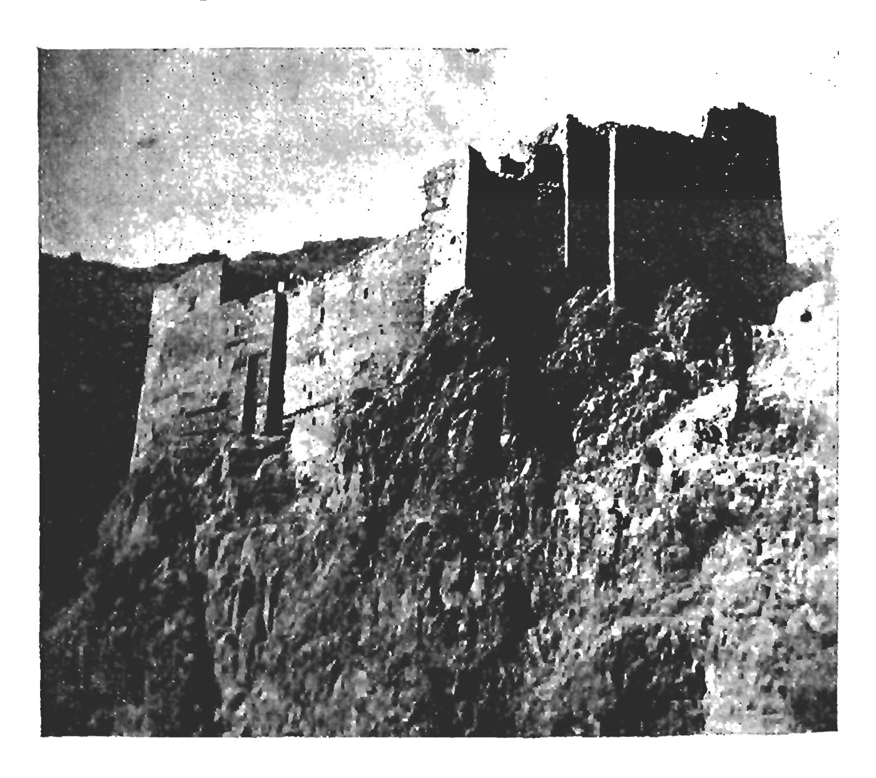
وقد اشتهرت بجودة صحة اهلها وقوة بنيتهم وخدودهم الورديّة اللون ونشاط ابدانهم . وهي ذات « بوّابات » اي ابواب كانوا يغلقونها في وجه العربان وغيرهم عند الاقتضاء . وظل البعض منها الى اوائل القرن الحاضر، وقد رأيته بأم العين

وموقع النبك، على هذه الربى والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرها الصافي، جعل سكانهـا يعمدون الى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية . فجاءت هذه المساكن منبسطة في منحدرات تلك الروابي بعضها اعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال . لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة

فاول ما يرى الانسان امامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذاك السهل الفسيح، وبعده تلال وربى ومنتهى سلسلة لبنان الشرقي باحراجه وثلوجه في الشتاء . ويتلذذ النظر بمرأى ما يكون على الطريق العـام المشهور، الذي يضرب بوضوحه المثل القائل : « واضح مثل طريق حلب » او « اوضح من طريق حلب » . فيرى كل يوم من مشاهد القوافل وعابري السبيل اشكالاً مختلفة ذاهبة آيبة، وقُطرات

من الجمال منسقة عليه تتلوى بسيرها كالأفاعي، وقوافل البغال وزمر الخيل و « كديش »، وفي أعناقها الاجراس الكبيرة والمتوسطة والصغيرة . وهذه الجلاجل تبعث مع الهواء من رنتها اللذيذة ما يطرب النفوس كأنه صادر من موسيقى منتظمة . وترى خيالة بسلاحهم، من رمح وسيف او بندقية ذات قداحة وصوانة قاصدين الشام والقدس والحجاز، وتجار الاغنام والخيل بقطعانهم آتين من بلاد الاناضول وغيرها مثل ارزروم ووان وبتليس حتى بلاد الاكراد، وعابري السبيل على مختلف اجناسهم ومقاصدهم : فالراكب والراجل، ومقتعد التخت، ومعتل متن الهوادج ، ومفترش الحزام « تخت روان »، كل منهم سائر على بركات الله

وكان يقصدها في ذلك الحين بعض العيال من مسيحيي دمشق للاصطياف، فينزلون « بدار الدير »، اي دير مار موسى الحبشي للسريان الكاثوليك ، لوقوعه بأعلى نقطة في البلدة وكثرة غرفه . ولهذا القديس دير ثان قديم مشيد على صخور شاهقة فوق هوة عظيمة في منتصف واد عميق، شبه قلعة منيعة يرجع بناؤه الى ما



دير مار موسى الحبشي

صيفها لطيف لا يعرف الحر الا قليلاً . وشتاؤها بارد قارس الى درجة قصوى، تسقط فيه الحرارة احياناً الى الدرجة ٢٠ سنتغراد تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف الى اعلى من ٢٩ س . فوق الصفر الا نادراً جداً . لكن بردها مع شدته خالٍ من الرطوبة لا يُخشى منه ضررٌ . ولقد تغنى به أحد الشعراء، فقال:

اذا هاجت الرمضاء ذكراك بَرَّدت حشايَ كأني بين قارةَ والنبكِ

ويقولون ان الشيخ عبد الغني النابلسي لما مرَّ بها اثناء رحلته الشامية ١٦٩٣ م (١١٠٥ هـ) قال :

خليلي خلّنا نبكي بنبكِ لان قعودنا فيهـا قليلُ
فواكهها اذا حملت وطابت بارض الشام ليس لها مثيلُ
فنطق اهلها لغوٌ صريح كذاك بناؤها يُشفى العليلُ

وكذلك يقول الناس في هذه البلاد بلغتهم العاميّة :

ما بين قارة والنبكِ بنات الملوك تبكي

وقد اشتهرت بجودة صحة اهلها وقوة بنيتهم وخدودهم الورديّة اللون ونشاط ابدانهم . وهي ذات « بوّابات » اي ابواب كانوا يغلقونها في وجه العربان وغيرهم عند الاقتضاء . وظل البعض منها الى اوائل القرن الحاضر، وقد رأيته بأم العين

وموقع النبك، على هذه الربى والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرها الصافي، جعل سكانها يعمدون الى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية . فجاءت هذه المساكن منبسطة في منحدرات تلك الروابي بعضها اعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال . لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة

فاول ما يرى الانسان امامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذاك السهل الفسيح، وبعده تلال وربى ومنتهى سلسلة لبنان الشرقي باحراجه وثلوجه في الشتاء . ويتلذذ النظر بمرأى ما يكون على الطريق العـام المشهور، الذي يضرب بوضوحه المثل القائل : « واضح مثل طريق حلب » او « اوضح من طريق حلب » . فيرى كل يوم من مشاهد القوافل وعابري السبيل اشكالاً مختلفة ذاهبة آيبة، وقُطرات

قبل الف سنة على بعد خمسة عشر كيلومترا من النبك الى الشرق. ولا يزال كهنة السريان الى اليوم يقيمون في كنيسته قداساً في عيده الواقع في ٢٨ آب، فيتوارد اليه



النبك من الجهة الشمالية

بعض الاهالي ويقضون هناك ليلة العيد ويرجعون في مساء اليوم التالي بين الاهازيج احياناً

بناياتها

كان النبكيّون قديماً يبنون مساكنهم بطبقتين، على وضع يستفيدون منه صحياً واقتصادياً . فيبنون نصف الطبقة السفلى بحجارة صلبة ونصفها الاعلى باللبن ويسقفونها بخشب « اللزاب » الذي يستحضرونه من صرود فليطة والمعرة لانه رخيص ومتين جداً . وكانوا يخصصون هذه الطبقة لدوابهم ودواجنهم وحفظ التبن والوقود وآلاتهم الزراعية . ويبنون الطبقة العليا باللبن، ما عدا الابواب والنوافذ فانها من الحجر « الكدان » الابيض المنحوت فيسمونه « نحيت » وهو من اراضي النبك ومقالعها. ويسقفونها بخشب الحور، وهو من منتجات ارضهم، وقد امتاز بصلابته فلا يسطو عليه السوس كغيره من الحور مهما طال عهده . فيسكنونها ويتمتعون منها بتلك المناظر الجميلة الموصوفة آنفاً . ثم يبنون ايواناً امام الغرف العلوية المتجهة نحو الجنوب، فتتعرض لاشعة الشمس عندما تنحرف الى جهة خط الجدي، وتظل الشمس حينئذ في الايوان الجنوبي وداخل الغرف من الصباح الى المساء . وهذا يخفف من شدة القر شتاء، فلا يحرقون وقوداً الا في الايام الباردة جدا . وظلّ اهل النبك يجهلون الزجاج الى ان اتُخذت بلدتهم مقرا للحكومة فاخذوا يستعملونه لنوافذ بيوتهم

ولعلَّ القارئ يعجب لسماعه انهم يبنون باللبن طبقتين من مساكنهم . فكيف لو علم انهم يبنون به اليوم ثلاثاً واربعاً ? فاللبن في هذه البلاد متين جداً، لان تربتها كلسية جبسيَّة يضيفون اليها تبناً بنسبة معلومة ويعتنون بصنعه جداً، فيصبح صلباً متيناً ويغلفونه بعد البناء بطينة لزجة من التراب نفسه فتزيده مناعة لسنين طويلة . ويقول الاقدمون انه كان في النبك في اوائل هذا القرن بناء عادي هدم يرجع تاريخ بنائه الى صدر الاسلام . وليس ذلك ببعيد عن التصديق، لاني رأيت بعيني داراً قديمة جداً ورثها جدنا عن جده، هدَمها ابناء عمي منذ خمس وعشرين سنة واعادوا ما اخرجوا منها من اللبن السليم الى بنايتهم الجديدة . وقد عثروا اثناء الهدم على وثيقة بحائطها تنطق ببيع دار من نحو مئتي سنة . وسمعت ايضاً ممن يوثق بقولهم انها قد هُدمت منذ ثلاثين سنة غرفة علوية وجدوا على « جسر » من « جسورها » تاريخاً يرجع الى ما قبل سبع مئة سنة

.

عمرانها

لبثت النبك في القرن الماضي محط رحال القوافل التي كانت تسير بين حلب ودمشق . وكانت محطة تنزل فيها قوافل الاعجام يوم كانوا يحجون الى البيت الحرام بهذا الطريق، وكان ذلك موسماً سنوياً قبل فتح قناة السويس، وقد اخذ يتضاءل الى ان مدَّت السكة الحديدية بين حلب ورياق فانقطع تاماً .

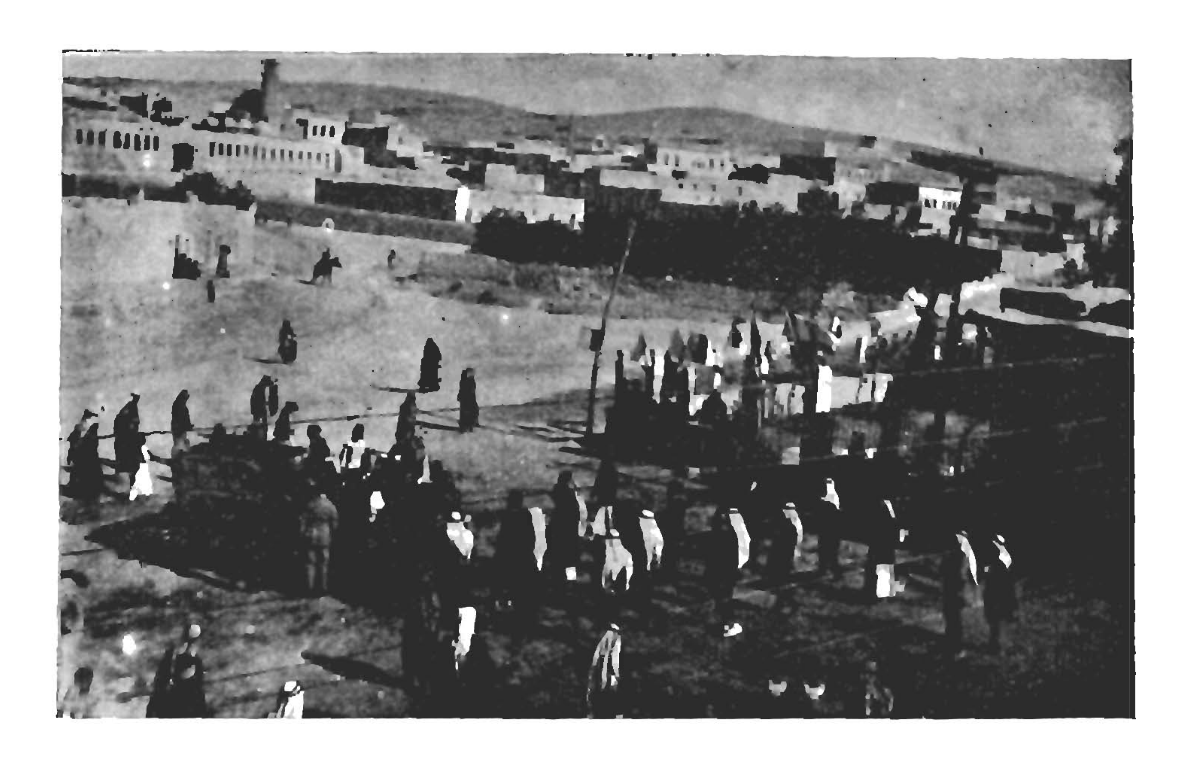
وكان الاعجام ينزلون في الشتاء عند الاهالي اصحاب البيوت القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد نحو ٥٠٠ متر عن البلد، بجوار مقام لأحد الاولياء يُدعى « الشيخ محمد الغفاري » . وبلغة اهل النبك « الغَفَري » وهو لا يزال قائماً حتى الان . فيبادر اهلها ويتوارد سكان القرى المجاورة ايضاً لابتياع السلع العجمية، كالسجاد والشال والجوارب والبسط واللباد والخيل والبغال والاقمشة الحريرية والصوفية وغيرها . وترى حتى الان في بعض بيوت النبك من الاشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه واتقانه : كالسجاد والبسط واللباد والشال . وكان هذا المقام منفرداً في الجهة الغربية من البلدة الى جانب الطريق العام، يجري امامه من الشرق نهرها بمائه العذب الصافي حتى انك ترى قعره وتعد حصاه . وتظلله شجرة جوز نبتت على حافة النهر الغربية منذ مئتي سنة كما

ولعل القارئ يعجب لسماعه انهم يبنون باللبن طبقتين من مساكنهم . فكيف لو علم انهم يبنون به اليوم ثلاثاً واربعاً ؟ فاللبن في هذه البلاد متين جداً، لان تربتها كلسية جبسيَّة يضيفون اليها تبناً بنسبة معلومة ويعتنون بصنعه جداً، فيصبح صلباً متيناً ويغلفونه بعد البناء بطينة لزجة من التراب نفسه فتزيده مناعـة لسنين طويلة . ويقول الاقدمون انه كان في النبك في اوائل هذا القرن بناء عادي هدم يرجع تاريخ بنائه الى صدر الاسلام . وليس ذلك ببعيد عن التصديق، لاني رأيت بعيني داراً قديمة جداً ورثها جدنا عن جده، هدمها ابناء عمي منذ خمس وعشرين سنة واعادوا ما اخرجوا منها من اللبن السليم الى بناياتهم الجديدة . وقد عثروا اثناء الهدم على وثيقة بحائطها تنطق ببيع دار من نحو مئتي سنة . وسمعت ايضاً ممن يوثق بقولهم انها قد هُدمت منذ ثلاثين سنة غرفة علوية وجدوا على « جسر » من « جسورها » تاريخاً يرجع الى ما قبل سبع مئة سنة

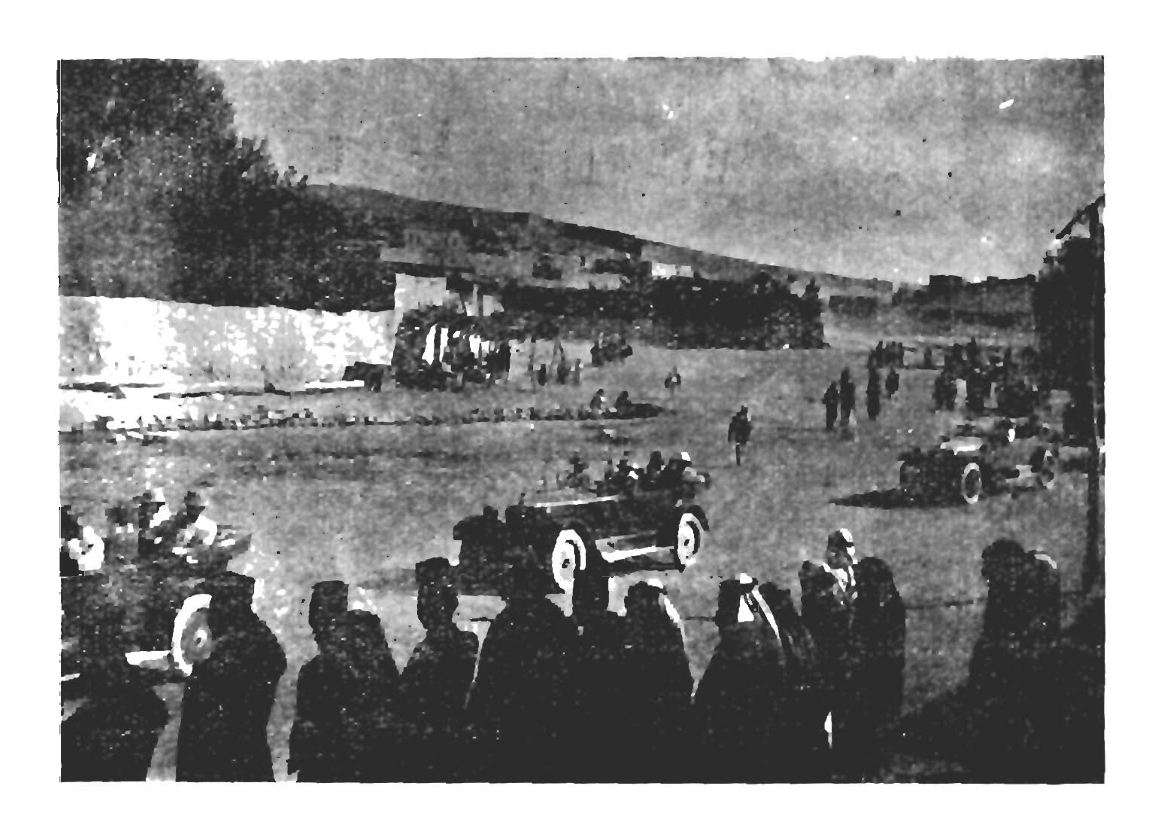
عمرانها

لبثت النبك في القرن الماضي محط رحال القوافل التي كانت تسير بين حلب ودمشق . وكانت محطة تنزل فيها قوافل الاعجام يوم كانوا يحجون الى البيت الحرام بهذا الطريق، وكان ذلك موسماً سنوياً قبل فتح قناة السويس، وقد اخذ يتضاءل الى ان مدَّت السكة الحديدية بين حلب ورياق فانقطع تماماً

وكان الاعجام ينزلون في الشتاء عند الاهالي اصحاب البيوت القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد نحو ٥٠٠ متر عن البلد، بجوار مقام لأحد الاولياء يُدعى « الشيخ محمد الغفاري » . وبلغة اهل النبك « الغَفَري » وهو لا يزال قائماً حتى الان . فيبادر اهلهـا ويتوارد سكان القرى المجاورة ايضاً لابتياع السلع العجمية، كالسجاد والشال والجوارب والبسط واللبـاد والخيل والبغال والاقمشة الحريرية والصوفيـة وغيرها . وترى حتى الان في بعض بيوت النبك من الاشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه واتقانه: كالسجاد والبسط واللباد والشال . وكان هذا المقام منفرداً في الجهة الغربية من البلدة الى جانب الطريق العام، يجري امامه من الشرق نهرها بمائه العذب الصافي حتى انك ترى قعره وتعد حصاه . وتظلله شجرة جوز نبتت على حافة النهر الغربية منذ مئتي سنة كما



مدخل النبك يوم مرور صبحي بك بركات فيها



مدخل النبك قرب القفري، من جهة طريق الشام

يعتقد شيوخ البلد، ونَمَت حتى اصبحت ذات جذع كبير تمتد فروعه بعيداً فتظلل مساحة كبيرة من الارض حولها، وقد غدت تلك الشجرة محط رحال القوافل وعابري السبيل في الصيف . وكان المسافرون يعللون النفوس قبل الوصول اليها بالراحة تحت ظلها الوارف وبجوار ذاك الولي . فاشتهرت في جميع الجهات القريبة والبعيدة وعُرفت « بجوزة النَفَري » . فكنت ترى القوافل كل يوم، بجمالها وبغالها وخيلها، يتفيأون بظلها ويتلذذون بما يأخذونه من الراحة تحتها، والاهالي يبيعونهم كل ما يحتاجون اليه من طعام لهم وعلف لدوابهم

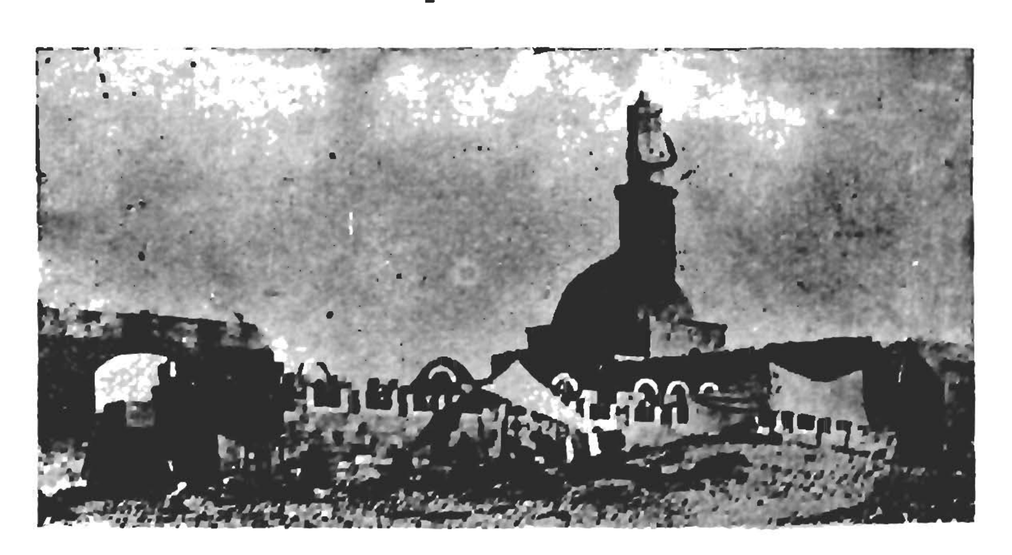
وكان يفصل هذا المقام عن البلد رابية تليها ارض واسعة تبلغ من الشرق الى الغرب نحو ٥٠٠ متر ولم تكن معمورة في ذلك الحين . وكان لا يُرى فيها سوى بناء ضخم من الحجر « المقصوب » يشبه ثكنة عسكرية ويحتوي على جامع حوله غرف للدراويش الغرباء في جهته الجنوبية، وعلى فرن وصحن دار فسيحة جداً كان في وسطها حوض يأتي اليه الماء من بئر بجانب بابه، من الجهة الجنوبية ايضاً، بواسطة « فراش » هوائي، وعلى قبو عظيم سقفه معقود بالحجر قائم على دعائم ضخمة كثيرة يستوعب جيشاً بخيله ولو كان الوفاً . ويقول البعض انه من آثار سنان باشا لما كان والياً على سوريا سنة ١٥٨٧ م (٩٩٦ هـ) . وهو المنسوب اليه انه انشأ اربعين مسجداً يُخطَب على منابرها في اقطار المملكة العثمانية ما عدا الجسور والخانات . وبنى ايضاً بدمشق جامع السنانية وجامعاً في سعسع وجامعاً في القطيفة . والبعض يقول انه من آثار محمد كوبريلي باشا لما كان والياً على دمشق عام ١٦٤٨ م (١٠٥٨ هـ) . ولعلّ الاصح انه من آثار سنان باشا لانه اقام في سوريا اربع سنوات ونيّفاً وخلفه فيها ابنه محمد باشا، بينما الكوبريلي باشا لم يُقم في سوريا اكثر من سنة واحدة . وقد كان هذا البناء قديماً « خاناً » لعابري السبيل تستثمره الحكومة العثمانية لخزينتها . ومنذ خمسين سنة، بعدما اتُّخذت النبك مقرّاً للحكومة بامر ابي الاحرار مدحت باشا، اقامت الحكومة على رأس تلك الرابية سرايا عظيمة من حجر، لم يكن لها مثيل في سوريا حتى اواخر القرن الغابر[1] . وباعت ما بقي من « الخان » مع الاراضي

(١) أُخذت حجارة تلك السرايا من البرج القديم القائم على رابية من رُبى البلدة تُدعى « رابية البرج » الى الآن ـ وكان هذا البرج قديماً مستوقداً للنيران التي كانوا ينقلون بواسطتها الانباء الضرورية ليلاً بين الشام وحمص ـ ومن الخان العتيق الملاصق للبرج من الجهة الشرقية، ومن مقالع البلد، ومن برج قاره القائم في منتصف الطريق تقريباً بين قارة والنبك



سراي النبك، وامامها الموظفون والاهالي يوم تتويج فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا

التي حوله فبنى الاهالي هناك مساكن وفنادق وحوانيت . واتصلت البلدة بهذه البنايات وامتد البناء كثيراً من حولها حتى اصبحت الان في وسط البلدة تقريباً . وامتد البناء ايضاً الى الشمال، الى مفرق طريقي دير عطيه وقارة، حيث اقمت



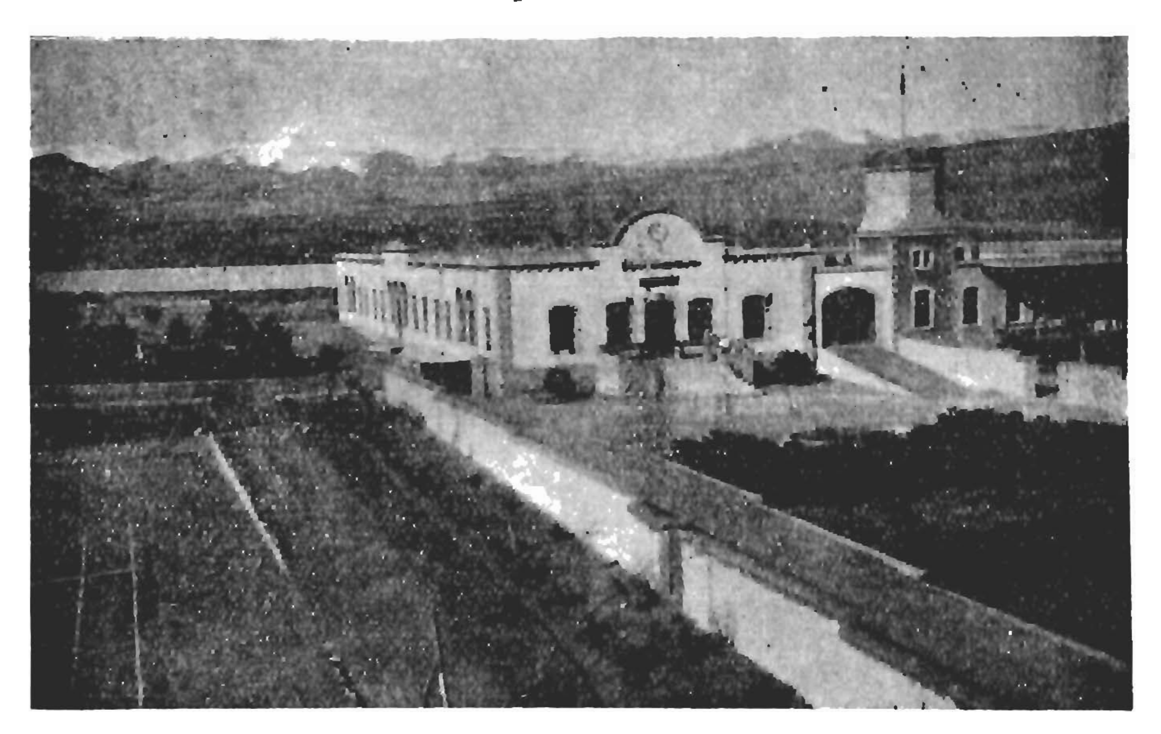
اثناء اصلاح الخان وجعله ثكنة عسكرية منذ ٣٠ سنة

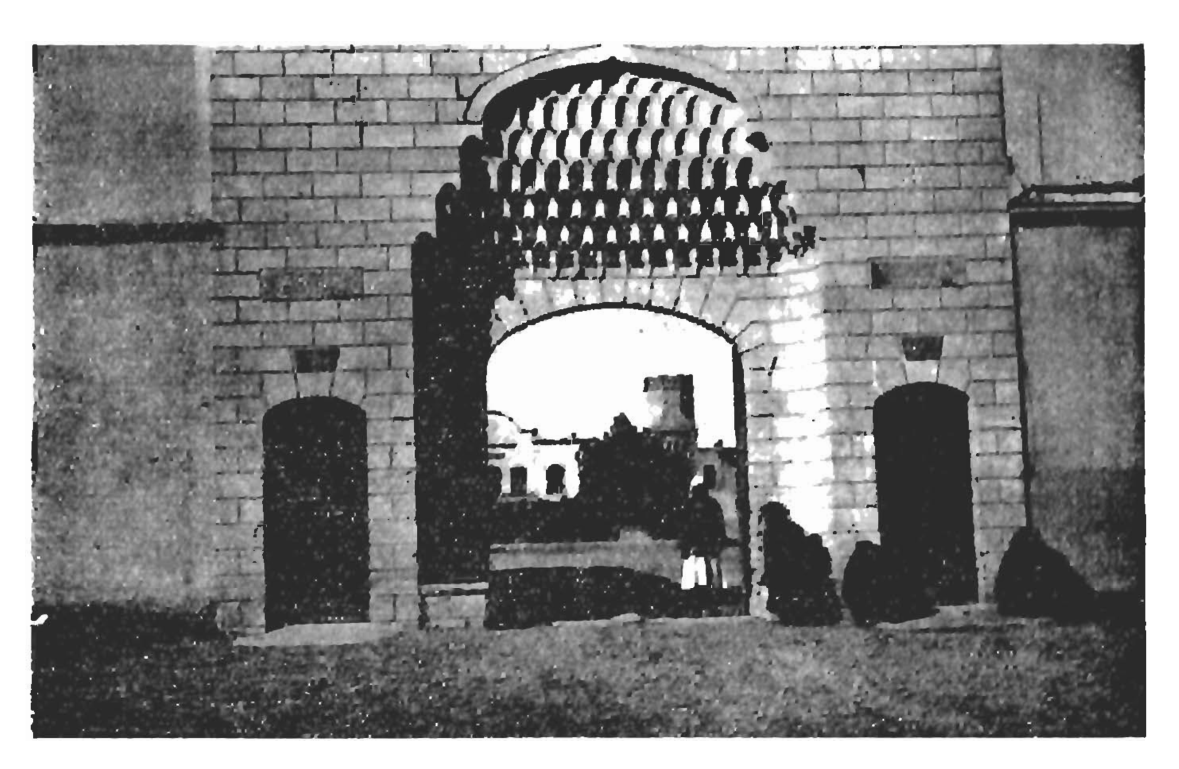


المستشفى الدانمركي

الذي اقامه المرسلون الدانمركيون الانجيليون في النبك سنة ١٩٢٧

وقلما تجد له مثيلاً في سوريا





يمثل الرسم الاعلى بنايات المستشفى من الجهة الشرقية الجنوبية

والرسم الاسفل مدخل المستشفى الذي يجمع بين الفخامة والأناقة

الحكومة في أيامنا مستودعاً للموادّ الملتهبة . واتسعت البلدة ايضاً الى الغرب، الى « سكة الوُلاق » المتصوّبة من قارة الى يبرود، التي كان البريد يمرّ منها قبلاً، وهي تبعد عن « الغفري » من ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر الى الغرب . وفي اواخر القرن الماضي اتخذ الخان المذكور ثكنة عسكرية في عهد الاتراك بعد ان اصلحت الحكومة ما كان متداعياً منه وانشأت فيه غرفاً عديدة . وظلّ بيد دائرة التجنيد التي كانوا يسمونها « دائرة الرديف » حتى عام ١٩١٨، اذ جلا الاتراك عن البلاد وحل الفرنسيون محلهم، فاتخذها الجيش الفرنسي ثكنة عسكرية للمتطوعين الجراكسة . ويقول الشيوخ انهم كانوا في بعض السنين الغزيرة الامطار يجدون كثيراً من الكماء على سطح قبوه الكبير

الحياة في القلمون بوجه عام

اشغال اهل القلمون

يتعاطى معظم سكان القلمون الفلاحة والزراعة، وفريق منهم يتعاطى « المكاراة » على الجمال والبغال واحياناً على الحمير، وقسم آخر تربية المواشي، من غنم وماعز، في جباله الكثيرة لانها ممتازة بجودة مرعاها ودفئها في الشتاء، مما يجعلها صالحة لتربية المواشي، على أن ماءها قليل . وقسم رابع يزاول عمل اليد بالطين والبناء . فيهبطون الى الشام سعياً وراء رزقهم

وكان في سالف الزمن الف وخمس مئة جمل عند اهالي النبك وحدهم، فكانوا يستخدمونها للتجارة بمختلف الاصناف، « ويكارون » عليها بين دمشق وحلب حتى اورفه ودياربكر . وكانوا يكفون الشام مؤنتها من السمن وحاجتها من القطن، يأتون به من الجهات الشمالية مثل حلب والجزيرة، ويسافرون الى ما هو ابعد منها حتى ارزروم ووان وبتليس شمالاً، والى عريش مصر جنوباً، والى دير الزور والموصل شرقاً . وكانت قوافلهم مشهورة بقوتها ومناعتها تجاه هجمات البدو والاشقياء وقطاع

الطرق . وقلّما أخذوا او كسروا، لانهم اشداء وذوو شجاعة ورجولية وعزة نفس، يأبون الذل والاهانة . وكان المسافرون يترقبون سفر تلك القوافل ليسيروا برفقتها مطمئنين على نفوسهم ومالهم من هجمات قطاع الطرق . وكان اولئك التجار، عند رجوعهم من اسفارهم البعيدة، وبلوغهم السيل العميق الذي يبعد عن النبك نحو ثلاثة او اربعة كيلومترات الى الشمال، يأخذون في اطلاق البارود دلالة على مجيئهم. فيخرج اهلهم وذووهم لملاقاتهم خارج البلد، فرحين بوصولهم سالمين، لكثرة ما كان ينتابهم في سفرهم من تعديات البدو والاشقياء واللصوص

ولا تكاد تجد بينهم الا عدداً قليلاً يحترفون بعض الصناعات، مثل النجارة والحدادة والصباغة ودباغة الجلود والندافة وعمل الحلاوة والحلاقة و« القصابة[1] » . ومعظم الصناع كانوا اسكافيين وبياطرة ونجارين وحاكة . ولم تكن المهاجرة الى اميركا حتى اواخر القرن التاسع عشر معروفة عندهم . ففي العام ١٨٩٢ سافر اليها اثنان من مسيحي النبك . ومن ثمّ اخذ الناس يهاجرون اليها بكثرة

مآكلهم

يعيش سكان القلمون عيشة بسيطة . اكلهم من منتجات ارضهم وما تدر به عليهم مواشيهم . فيأكلون من الحبوب الحنطة، خبزاً وبرغلاً ، والذرة الصفراء طعاماً . ويطعمون دوابهم الشعير والكرسنة . ولا يجسرون على زرع غير هذه الحبوب، لعدم سلامتها من آفة البرد والصقيع في الشتاء . ويغرسون من الاشجار الجوز و« النجاص » ، اي الاجاص الشتوي والملكي والعثماني والخلاني والجبلي والسكري، والعنب الاحمر وقليلاً من المشمش . وقد اخذ الاهالي في اواخر القرن الماضي يغرسون منه بكثرة . فكانت فائدتهم منه قليلة لانه لا يسلم من الصقيع في اكثر السنين . اما الإجاص على انواعه، فقد اخذ يتناقص حتى كاد ينقرض . فلم يبقَ منه الّا القليل بعد ما كانت اشجاره تعد بالألوف . وكان سبب انقراضه الخالوش والقارور . اما كروم العنب فقد كثرت عما كانت قبلاً . فاصبح الآن في النبك وحدها نحو مليون وربع مليون دالية او كرمة

---

(١) اي ذبح الحيوانات وبيع لحمها

تجد ايضاً من الاشجار الحور والصفصاف والدردار والنشب وقليلاً من التوت . ومن الخضر والبقول اللفت والجزر والفجل والقرع والكوسى واليقطين والبصل والثوم والبيقية والحلبة والفوة . وهذه الاخيرة نبات كان يستعمل للصباغة والادوية وكانت النبك تستغل منها فيما مضى ارباحاً لا يستهان بها كل سنة حتى انتشرت الاصباغ الاوربية فابطلوا زرعها في اواخر القرن الماضي . وعُرفت عندهم البطاطا حينئذٍ فاخذوا يزرعونها بكثرة وكان لهم منها مورد ذو شأن . واما باقي الحبوب والخضر والفواكه، كالحمص والعدس واللوبياء والفول والبطيخ والخيار والقثاء والزيتون والتفاح والخوخ والرمان والتين والبرتقال والليمون والطماطم (البندوره) والباذنجان وما يشبهها، فكان الاغنياء ولا يزالون يبتاعونها ممن يأتيهم بها من الخارج . فلا يكاد يصل البائع الى البلدة بنوع من هذه الاصناف حتى يأتي اليه الناس افواجاً . فيبدلونها بما عندهم من الغلال، او يشترونها بالنقود الرائجة . واما الفقراء فكانوا لا يعبأون بها كثيراً، ومنهم من لا يذوق منها شيئاً مدة سنين طويلة

ويأكلون من اللحوم لحم الماعز والضأن والبقر والجمال عندما يذبح القصّاب بأمر من « شيخ » (اي مختار) البلد . ذلك حينما كان يأتيه ضيف عزيز، او عندما يولم وليمة، او في الاعراس والافراح والاعياد والمآتم والمناحات . وكان المثرون منهم يعلفون الغنم حتى تسمن جيداً ويذبحونها ويخمِصون لحمها بأليتها بعد « فرمها » وتمليحها، ويصنعون منها كتلاً بحجم البرتقالة ويحفظونها لايام الشتاء، اذ يكون الذبح قليلاً جداً، فيستعملونها عند الحاجة . وهذه يسمّونها « قَوَرْمَه » وهي تركية الاصل « قاوُرْمه » ومعناها اللحم المحمَّص او المقلي

اما الاطعمة المعروفة عندهم فهي لا تختلف عن اطعمة باقي الاقطار السورية الا بعض الاختلاف . فالمآكل التي يدخلها اللحم لا تصنع الا في اوقات مخصوصة، كالاعياد والولائم والافراح، وللضيوف الاعزاء او « للفعاله » اي العمَلة ايام اعمالهم الزراعية، مستأجرين كانوا ام مساعدين

واما المآكل البسيطة الخالية من اللحم فهي طعامهم الدائم، « كالمجدرة » المشهورة التي طيّر ذكرها الشاعر الهزلي الشهير اسعد رستم في قصيدته المعنونة « بالمجدرة » حيث صور نفسه مريضاً وقد يئست من شفائه الاطباء . فقال فيها :

قلت الذي يشفي مخاطر علتي	شيءٌ وحيدٌ وهو صحن مجدَّرة
توني بهـا وحياتكم فتعودني	روحي واصبح بالحقيقـة عنترة
توني بها صحناً كبيراً عامراً	والامر افضل ان اتت بالطنجرة
توني بهـا بالزيت ام باللحم لا	فرقٌ بشرطٍ ان تكون مدردرة
ودعوا الدواء مع الطبيب بعرضكم	ان الاطبـا والدواء لزعبرة

والبرغل المفلفل، والبرغل مع الحمص الذي يسمونه « مقلّى بسفله »، والسميذ المرق وهو « كالمجدرة » تماماً غير انه ذو حساء مريق، والكبة حيلة، والصلص، والملقّسة، والعصيدة، والصرصورة التي هي حساء من ناعم البرغل، واللبنيـة بالذرة الصفراء، والقمحية بالقمح المقشور وما شابه

اما الاكلة المرغوب فيها عندهم كثيراً، بالرغم مما يعانون في صنعهـا من تعب وضياع وقت، فهي الكبة، وخصوصاً المطبوخة بالكشك. فانهم يفضلونها على جميع المآكل، ولاسيما في النبك، ويحبونها محبة جعلت اهل الجوار يتهكمون ويسخرون منهم قائلين :

اكلُ النبكي كبّه بكشكِ

ولذلك تراهم يفرحون عندما يتسنى لهم شراء اللحم الهبر . فتشرع ربة البيت في غسيل الجرن وتنظيفه وتنظيف الغرفة التي فيها الجرن لاستقبال ملائكة الكبة. لان اكثر النساء يعتقدنَ ان الملائكة تأتي عـلى صوت دق الكبة وترقص حول الجرن وتبارك الكبة ومن يدقها جيداً . ثم تأتي الجارات لمساعدتها . فبعد دقّ اللحم وجبله بالبرغل الناعم يصنعن منها اقراصاً صغيرة وكبيرة فيسلقن الصغيرة في حساء من الكشك في الشتاء، وفي الصيف باللبنية، ويشوين الكبيرة منها شيّاً او يقلينها بالسمن او الزيت، وهذه تسمى « المشاوي » . وهذه المشاوي تُقدَّم للعزيز المكرَم، كالصهر الجديد اوالطالب المصاهرة، او لصديق مخلص لاهل البيت اولاحد افراده، وقليلون الذين كانوا يصنعون الكبة بالصينية . ولذلك قالوا :

تضرب كبة الحيلة ومعها مجدرة	والعصيدة فوق منهـا مشتركْ
هات اللبن مع كبة الصينيـة	وجنب منها باطية من الشيشبرَكْ

وكذلك يقولون :

الصرصور للصعرور والكشك لباب الدار
والعصيدة للمصيدة والكبّة طول النهار

ويعنون بالاخيرة ان طعاماً غير الكبة لا يغذّيهم غذاء جيداً مقابل ما يفقدون من القوى اثناء شغلهم الزراعي المتعب. ويأكلون ايضاً الكبة نيئة مع البصل ويقال لها « دبابة » بلغة اهل الشام ولبنان . وقال بعضهم ان الكبة اكلة قديمة يرجع تاريخها الى عهد سليمان الحكيم وربما الى ما قبله بدليل قوله في سفر الامثال ٢٧ : ٢٢ : « لو دققت السفيه في هاون بين السميذ بمدقة لم يفارقه سفهه ». وقيل ان السميذ هو البرغل بعينه

وان لم يكن لحم فانهم يحتالون على الكبة، فيجبلون البرغل المنقوع في الماء مع قليل من الطحين لتتلاحم اجزاؤه، ويصنعون منه اقراصاً صغيرة ويحشونها امّا بقطعة من الدهن ومعها قليل من الفلفل والبهار، او بنوع من البقول ينبت في اراضيهم بين الزرع يسمونه « ام احمد » وهو يشبه الاسباناخ، يضيفون اليه قلب الجوز والبصل وحب الرمان الحامض . ثم يسلقون تلك الأقراص بحساء الكشك ويسمونها « كبة حيلة » او « كبة الراهبة » . ويصنعون منها اقراصاً كبيرة يشوونها ويغمسونها بالسمن، ويسمون القرص منها « شيخ » والجمع « شيوخ » . ويصنعون منها ايضاً اكلة « الصلص » و « الملقّسة » : وهي كتل بحجم حبة البندق يطبخون بعضها مع العدس والحمص والبصل ويضيفون اليها حامض السماق، او يقلونها بالزيت والثوم والكزبرة، ويسمونها « الصلص » . و « الملقسة » يطبخونها بحساء مطبوخ من اللوبياء والعدس والبصل بدون حامض

ويصنعون حينما يكون ورق العنب طرياً اكلة يسمونها « اليبرق »، وهي لفظة تركية لورق الشجر، فيلفّون به برغلاً متبّلاً باللحم « المفروم » لفائف بثخن الاصبع. وفي اوان الملفوف واللفت يلفون بورقهما لفائف كاليبرق ويطبخونها بحامض السماق . انما يضعون مع يبرق الملفوف كثيراً من الثوم اتقاء لضرره . اذ يعتقدون ان العرب ارسلوا في سالف الزمان الى الفرنج اغراس الورد هديّةً . فلما رآه الفرنج ذا شوك ظنوا بهم سوءاً وارادوا الانتقام فارسلوا الى العرب مقابل هديتهم بذار الملفوف الذي ينفخ البطن . فلما طلع الورد وتفتحت اكمامه ورأى الفرنج شكله الرائع ورائحته المنعشة، عادوا وبعثوا الى العرب بالثوم لكي يمنعوا ضرر الملفوف عنهم

ويأكلون من الحلواء الدبس العدسي الذي يصنعونه بيدهم ومن زبيب كرومهم . واحياناً يطبخون من البرغل المخلوط ببزر القنب المحمص او قلب الجوز واليانسون . ويصنعون منه الحلاوى الحمراء، وهي عبارة عن طحين الحنطة يحمّصونه بالسمن ويضيفون اليه الدبس ويكملون تحميصه معاً حتى ينضج ويأكلونه بارداً

ويأكلون « المغطوط »، وهذه طريقة صنعه . بعد ما يحلبون الحليب مساء يضعونه في اوانٍ واسعة عديدة ذات سطح مستوٍ، ويتركونه الى الصباح . فيصبح الحليب وعليه طبقة رقيقة من الزبدة . فتأتي المرأة ومعها الخبز التنوري وتطرح الارغفة فوق الحليب . فيأخذ الرغيف من الزبدة ما يُغطّى به وجهه . ثم تعود وترفع الارغفة وتطبق كل رغيفين معاً . وبعد مرور ساعة او نصفها يأكلون منه مع الدبس . وهذه اكلة لذيذة جداً لا يعملها الا من كان عنده عددٌ كبير من الماعز والغنم

ويضعون العنب، بعد تنقيته من كل حبة فاسدة او مجروحة، في غرفة مظلمة لا يدخلها الهواء كثيراً مفروشة بالتراب الابيض . فيرصفون العنب فوقه، كل عنقود بجذاء اخيه، ويغطونه بورق الكرمة، وفوقه ملاحف من الخام . فيبقى هذا العنب محفوظاً طول الشتاء حتى شهر نيسان . فيأكلون منه في سهراتهم، ويقدمونه لزائريهم وضيوفهم، ويتناولون منه كلما خطر لهم . واكثر ما يعوّلون في امر طعامهم الخاص على البرغل والخبز . لذلك كان الفلاح القوي منهم يسلق من البرغل كل سنة ما بين ٤٠ و٨٠ مدّاً من الحنطة (اي من قنطارين ونصف الى خمسة) ويدّخر مثلها للخبز . لان الخبز والبرغل والدبس والكشك كان منها اكثر طعامهم . وينفق الفلاح منهم كثيراً في ايام شغله الزراعي، كقلب الارض واقتلاع الاشواك منها وعزق كرومه . فعليه ان يهتم لامر اطعام « الفاعل » اي العامل الذي يساعده، وان يطعمه من اجود ما عنده لئلا تلحقه مذمة العَمَلَة له امام الآخرين فيوصم بالبخل

شغل النساء

كل ما ذُكر آنفاً مطلوب عمله من ربة البيت . فهي التي تجلب اللحم من حانوت اللحام، وتدق منه الكبة او تلف به اليبرق بمساعدة جاراتها، وتعمل جميع انواع المآكل . وهي التي تشرف على طحن القمح في الطاحون، وتعجن العجين وتخبزه على التنور، وتجلب الماء اللازم لبيتها بالجرّة على رأسها من مورده، وتغسل الثياب



امام الطاحون، ويرى القارئ عظم رأس جمل معلقاً فوق الباب دفعاً للعين الشريرة

اي الالبسة وغيرها، وتنظف البيت، وتعتني بالاولاد وتربيتهم، وترقع البستهم والبسة زوجها، وتساعده ايضا في الاهتمام بالدواب واطعامهم، واحياناً في اشغاله الزراعية . وهي تطيّن الدار وتبيّضها بالحوّارى، وتسلق البرغل وتجرشه الخ

في الصيف يجب عليها ان تستيقظ من النوم قبل شروق الشمس، وتذهب الى مورد الماء حاملة على رأسها الجرة مبطوحة وفمها الى الوراء، لكي لا يراه من يقابلها من الناس لانهم يتشاءمون منه . ويجب ان تحيي كل من تصادف من النساء الصادرات



النساء ترد الماء

وعلى رؤوسهن جرار الماء، وان تردّ التحية وهي صادرة . فتنقل ما يلزمها من الماء وتعود لاعداد طعام الصباح لعيلتها، حاملة في جعبتها مـا عرفته من اترابها، ممّا جرى في البلد في امس البارح وما قبله من خطبة او زواج او طلاق او فراق او ولادة او وفاة او سرقة او مشاجرة او تخاصم الخ، فتقصه على ذويها

ويومَ يُطلَب منها العجين او الغسيل، تستيقظ قبـل بزوغ الفجر، وتجلب الماء اللازم لذلك . وتذهب الى الكرم وتأتي بقفة من العنب البارد تحملها عـلى رأسها وتعود قبل شروق الشمس اذا كان الكرم قريباً . وعليها ان تدعو كل من تصادفه من الرجال اثناء عودتها الى تناول عنقود من العنب قائلةً : « تفضَّل لتحل البركه » . فيأخذ منها من يشاء

وبعد وصولها الى بيتها تشعل النار اذا كان لديهـا قدّاحة وصوانة، او تذهب الى احد بيوت جيرانها « فتشحذ » اي تقتبس ناراً وتأتي بها على غصنٍ من الشيح او في وعاء، فتشعل النار تحت الماء . فان كان الماء للعجين تأخذ « حمية » اي شيئاً من الوقود « لتربط » اي لتعيّن لها دوراً على التنور الاقرب اليها في الحيّ، ان لم يكن في بيتها تنور . واذا كان للغسيل، تضع في الماء كيساً صغيراً مملوءاً قلياً وتغتنم فرصة تسخينه لتجمع الالبسة الوسخة بعد ما يخلع زوجها واولادها ثيابهم . ولا تلبسهم غيرها الّا اذا كانت من نساء الوجهاء المثرين في البلد او من المشايخ، ثم تشرع في غسل الثياب

الغسل على النهر

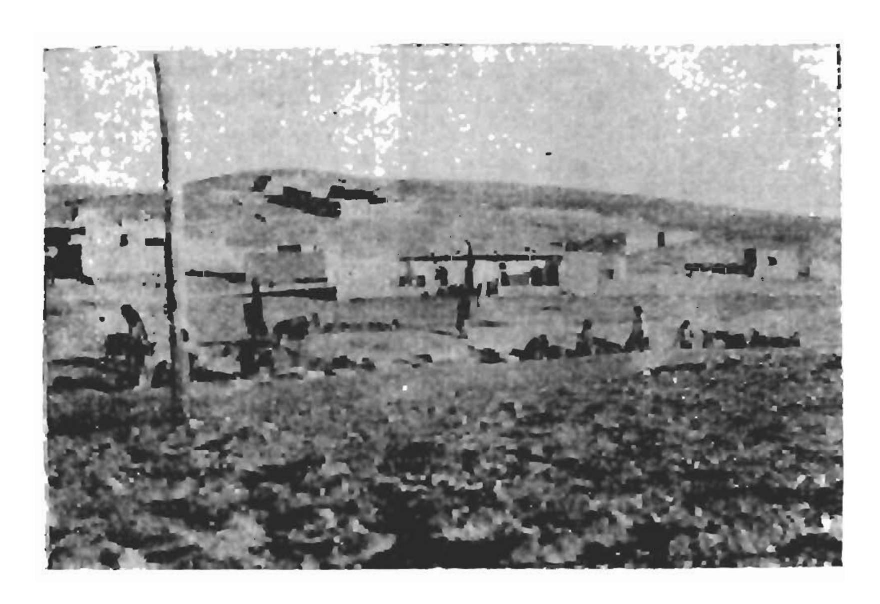
واذا كانت من عامـة الناس فانها تأخذ الالبسة الى النهر ومعها مخباط من خشب وكمية من مسحوق « الشنان » الاشنان اليابس[1] . فتأخذ تبل الثوب في الماء وترش عليـه من مسحوق الاشنان و« تدعكه » بيديها وتضمّ اجزاءه بعضها الى بعض فوق حجر عـلى حافة النهر وهي غائصة في الماء . ثم تجعل تخبطه بالمخباط وتقلبه راساً على عقب حتى ينظف على زعمها . وهكذا تعمل بكل ما لديها من

(١) وهو نبات برّي اذا أُحرق وهو اخضر يخرج من رمـاده القلي المعروف . وهو كثير في بلادنا وكانت تصدَّر منه كميات كبيرة الى المصابن في جميع جهات البلاد



امرأتان تخبزان على التنور

الالبسة وغيرها . و« تنفضها » اي تغسلها بالماء القراح بعدما « تدعكها » بيديها وهي في الماء . ثم تعود الى بيتها حاملة « غسيلها » على رأسها فتنشره في الشمس . وتزاول



نهر النبك

باقي اشغالها البيتية : فإما تأخذ طعاماً لزوجها ومن معه من العملة في الكروم، او تعدّه لمجيئه، او تُقبل على عمل خاص بها، كالغزل او تمشيط الصوف الخ

عمل الكشك

اذا كانت المرأة من عامة الشعب تعمل الكشك في الربيع اذ يكون « الحليب » اي اللبن كثيرا ورخيصا . واذا كانت من نساء الوجوه المثرين فتعمله في الخريف لكثرة الدسم في الحليب او اللبن . فتأخذ من البرغل مدا او مدين (ستة ارطال او ضعفها)، بحسب كثرة اعضاء الأسرة وحاجتها، وتنقعه بماء في معجن من المساء الى الصباح فيصبح لينا طريا . ثم تأتي بالحليب واللبن (الرائب)، بعدما تحل فيه خميرة من دقيق الحنطة والشعير، وكمية معلومة من الملح، وتصبه فوق البرغل اللين وتجبله به، وتتركه مدة يومين . فيتشرب البرغل اللبن ويختمر فيصبح حامضا . وتعجنه بيديها جيدا . وينقلونه من وعائه الى ملحفة كبيرة يبسطونها فوق فرشة من التراب الابيض . ويتركونه زهاء يومين، حتى يمتص التراب منه الحموضة ثم ينقلونه الى « خابية » كبيرة ويتركونه من ١٠ الى ١٥ يوما، وينقلونه بعدها الى السطوح . فتأتي النساء صباحا مدعوات من قبل صاحبة البيت، ويشرعن في « قرقطته » اي تقطيعه كتلا صغيرة: فتأخذ الواحدة منهن قليلا من الكشك في قبضتها، وتطبق يدها عليه، فيخرج الكشك من بين الابهام والسبابة كتلة صغيرة . فيرصفن تلك الكتل على بساط ويتركنها معروضة للشمس الى العصر، فيجف الكشك قليلا، فينزلنه الى البيت . وتدعى الصبايا والشباب لفركه بالايدي ليلا .



فرك الكشك

فيجعل هؤلاء يفركونه بايديهم، وهم ينشدون احيانا بعض الاغاني، كالمواليا وما يشبهها . وتنتهي السهرة بتقديم « السهرية » لهم، مما يتيسر وجوده من الفواكه او غيرها

والويل لمن تتقاعس عن عمل كهذا . فان جميع اترابها يصمنها بمختلف المذمات،

ويرشقنها بلواذع العبارات . ويقلنَ عنها انها ليست « امرأة بيت » بل هي « هطلة » او « رشله » او « وخمه » . ولا يكون لهـا بينهن مكانة او قيمة . ولا تحوز رضى زوجها

اعمال الرجال اليومية

كذلك الويل والف ويل للرجل الذي يتهاون في عمل من اعماله، شاقًّا كان ام هيناً، او للذي يميل الى رخاء العيش ورفاهة الحياة . فان مقامه يسقط بين الرجال ويصغر في نظر النساء ايضاً . فانهم يرشقونه بالسنة حادة موجهـين اليه الكلام القارص واللوم القاسي والتقريع اللاذع . وعليـه ان يعيش بكل ما يُستطاع من الخشونة وشظف العيش، متبعاً في ذلك الحديث النبوي القائل « تخوشنوا فان النعم لا تدوم » . حتى انهم يرضعون اولادهم الخشونة مع اللبن، ويربونهم على هذا النمط منذ الصغر . فيترك الرجل فراشه قبل شروق الشمس، ويتفقد دوابه، ويقدم لهم العلف اللازم، ويلقي نظرة على « مَرِّهِ » ومعوله وفأسه، ليرى في أي حالة هي . وبعد ما يتناول الفطور مع عيلته يستصحب اولاده القادرين عـلى العمل، ويحمّل الدواب الآلات الزراعية اللازمة له، ويذهب الى بستانه او كرمه او حقله ليقوم بما هو مفروض عليه من العمل بهمة ونشاط لا يعرفان الكلال . فمن الفلاحـة الى « التجريف » اي مساواة الارض، الى « القياص بالمرّ »، الى الحصاد، الى اصلاح الكرمة، الى السطاح، الى غير ذلك من الاعمال الزراعية المقدسة عندهم، بدون ان يأبهوا لتعليم اولادهم، ما عدا النزر القليل منهم

تعليم الاولاد

كان المسلمون، عندما يبلغ الصبي السنة السابعة او الثامنة من عمره، يبعثون به في فصل الشتاء، اي حينما لا يتعاطون الاشغال الزراعية ويكونون عاطلين عن العمل، الى شيخ الكتّاب ليتعلم القراءة . فيبدأ بحروف الهجاء على هذا النمط :

« أَلِف لا شين عليها » يعني ألف لا شيء عليها ـ « با واحدة من تحتها » اي

نقطة واحدة تحتها» - « تا تنتين من فوقها » - « ثا ثلاثة من فوقها » - « جيم واحدة في نصها » - « حا لا شين عليها » الخ . . .

وكان بعض المشايخ او المعلمين يعلمون الاولاد هكذا : « الف ما زالت قشلانه » بدلاً من « لا شين عليها » . فيتعلّم الولد حتى آخر الشتاء، اي الى ان يبدأ شغل والده، فيأخذه هذا معه ليتعلم منه الشغل الذي « يطعميه الخبز » ويتعوده لان القراءة والكتابة، على زعمه، لا تطعمه خبزاً. ويظلّ مع والده الى آخر الصيف، اي الى ان ينتهي شغله، فيسمح له اذ ذاك والده بالرجوع الى « الكتّاب » فيأخذ الشيخ يعلّمه القراءة كما في الماضي، ثم في اجزاء القرآن

الختمة

وبعد ثلاث او اربع سنين يعلن الشيخ لاهل الولد ختام تعليمه القراءة. فيلبس الولد لباساً جديداً اعده له اهله، فيزينونه به، ويحمل القرآن على راسه فوق كرسي صغير مخصوص يوضع عليه القرآن حين القراءة، منقوش ومزين بالورود والزهور، ويطوف به الشيخ والاولاد رفاقه شوارع البلد معلنين بذلك ختام قراءته وانه « خَتَمْ » القراءة وهم ينشدون

الحمد لله ربي فارج الكُرَبِ ثم الصلاة على المختار من عربِ

والشيخ يعدّد الادوار على هذه القافية، والاولاد يرددون اللازمة اي البيت الاول . وهكذا حتى الظهيرة . فيرجعون جميعهم الى بيت الوالد حيث أُعدَّ لهم الغداء . ويصبح الولد حينئذٍ خاتماً القرآن، وما عليه الا ان يساعد والده ويتمرن على الشغل والعمل تحت نظر والده . ويتقبل من الناس « التحويطات » والبسملات حوله وحواليه . فقد اصبح شاباً وعلى والده ان يخطب له

وهكذا كان المسيحيون، عندما يبلغ ولدهم السابعة من عمره، يبعثون به الى الكاهن فيعلّمه حروف الهجاء على النسق الذي ذُكر قبلًا والى آخر الشتاء ايضاً . ومن بعد ذلك القراءة بالمزامير والاكتوئيخس وغيره من الكتب الدينية، واخيراً في الانجيل الشريف . ثم قليلًا من الكتابة والحساب . ويستغرق هذا التعليم « شتويات » عديدة، اكثر ممّا لاولاد المسلمين . لان المسيحيين كانوا يسمحون لاولادهم

بأن يتعلموا اكثر من اولاد المسلمين . لذلك كنت ترى الاميين منتشرين بالاكثر بين المسلمين . فكان المسلم يزعم ان القراءة والكتابة لا تطعم الفلاح خبزاً كما قيل . والمسيحي يكتفي بان يعلم ولده « فك الحرف » اي قراءة الرسائل و« تعليق الاسم » اي كتابة الاسم في دفتر لا غير

المشايخ والفلاحون

في الشتاء يصبح الرجال بين الفلاحين بلا شغل، فيقضون اول النهار جالسين في « منازيل المشايخ »، اي في الغرف المعدة لجلوس الرجال، وفي دور « المخاتير » يشربون القهوة ويتحدثون عن مصالح البلد العامة والخاصة، وعن المواسم والمزروعات، وعن امر الاعشار والاموال الاميرية . ويصغون الى ما يقوله الشيخ ويلقيه على مسامعهم من تنبيهات وتهويلات وقصص سالفة . فيأخذون ما يسمعونه منه مصدقين ومؤمنين



بعض وجوه القلمون منذ ٣٠ سنة

وتكون اقواله عندهم كانها منزلة لا مرد عليها . فتراه بينهم كقاض يقضي ويأمر وينهى، وهم مطيعون موافقون على كل ما يبدو منه بدون ادنى اعتراض على اقواله، لما له من السلطة والسيطرة عليهم . ومع هذا تراه غير راض عن حياته معهم، فدأبه التذمر . وحتى الان لا يزال البعض يذكرون انه كان احد المشايخ جالسا في « المنزول » ومعه بضعة رجال بينهم واحد من الذين لهم دالّة لديه . فأخذ الشيخ يتذمر من فلاحيه، ويندب سوء حظه معهم ويعدّد اتعابه امامهم وما يقاسي من العناء والتعب في السهر على مصالحهم والذود عنهم، ويتأسف جد الاسف على وجوده بينهم . فقال له الفلاح المومأ اليه : يا شيخ، ان الفلاح الذي يملك فدانا واحداً من الحمير يفلح ويزرع عليه، ويعد نفسه سلطان زمانه وسعيداً في



فلاح عائد من الحقل

حياته، ويكفي بيته مؤنة وعيلته طعاماً ولباساً . فانت يا شيخ، تملك من ٧٠ الى ٨٠ فداناً تأخذ غلالها من « هالفلاحين » (هؤلاء الفلاحين)، فكيف لا تقوم هذه الغلال بأودك وأود عيلتك ؟ وعلامَ تتذمر ؟

وكذلك يذكرون عن شيخ قديم انه كان قد شاخ واصبح عاجزاً فسلم « المشيخة » الى ولده الشيخ الشاب . ولما رأى ان ولده يسيء ادارة الفلاحين قام يؤنبه ويوبخه بكلام قاس صعب على الشاب سماعه . فقال لوالده : علامَ توبّخني وتعنّفني وانت لم تخلف لي من الاملاك شيئاً يذكر ؟ فما نصيبي من ارث سيقاسمنيه

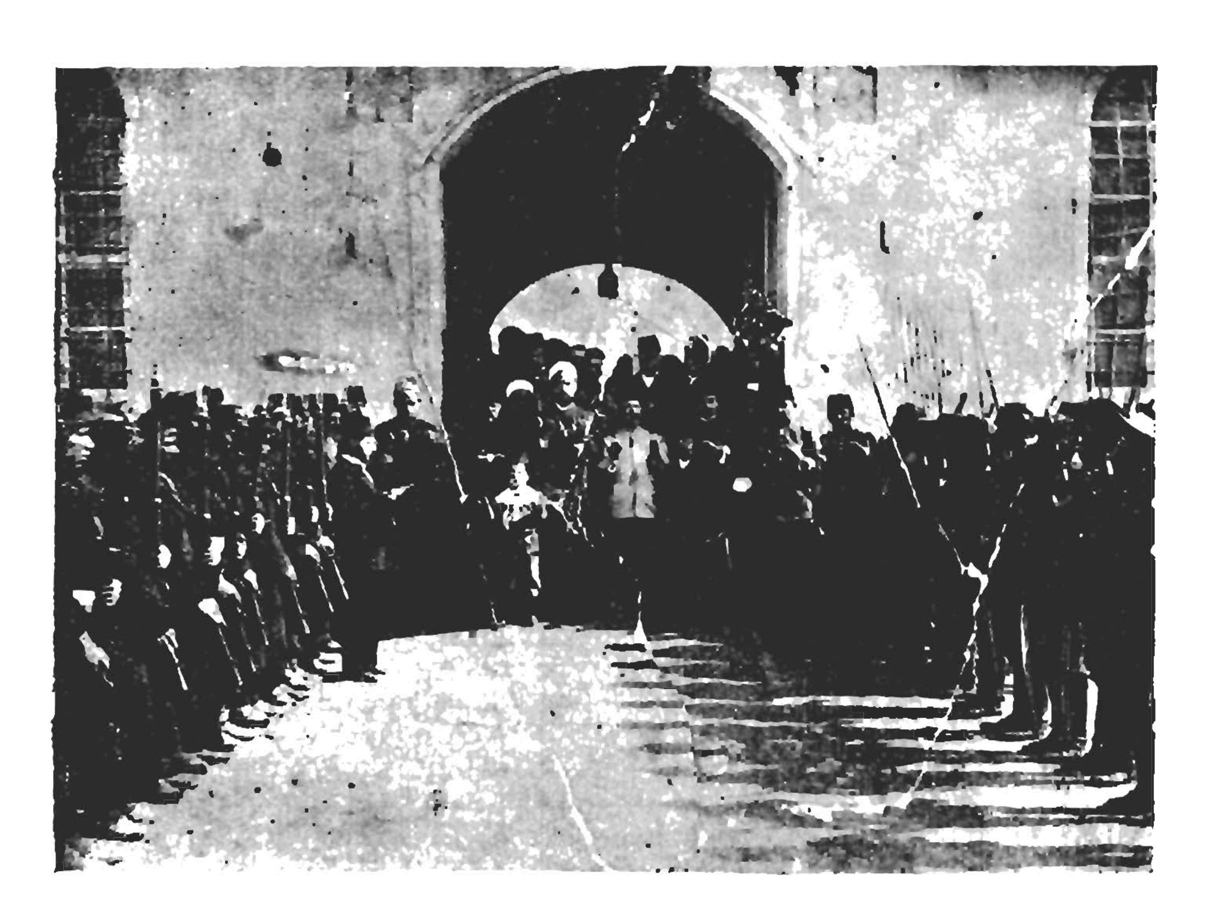


فرج من اشد الفلاحين بأساً في الخمسين من عمره

اخوتي واخواتي السبعة عشر ؟ فجابه الوالد : الا يكفيك ما اورثتك اياه من الفلاحين الذين يربي عددهم على المئة والخمسين فداناً (كذا) ، يفلحون ويزرعون على حسابك وانت تقاسمهم انعامهم وهم لك مطيعون . اصلحك الله يا ولدي . فهكذا ظلت حال المشايخ مع فلاحيهم حتى اواخر القرن العابر في النبك وفي جميع انحاء القلمون ، وخصوصاً في ايام التجنيد وجمع العسكر اي وقوع القرعة العسكرية

التجنيد

لم تكن في ذلك الزمن طريقة اخذ العسكر ، التي كان يطلق عليها كلمة « القرعة العسكرية » منظمة كما كانت اخيراً . اذ لم يكن احصاء للنفوس ولا قيود مضبوطة . فكانت الحكومة تضطر ان تعتمد على « المشايخ » اي « مخاتير » القرى والقصبات . فكان بيدهم الحل والربط ، فيبعثون من يشاؤون من اولاد الفلاحين الى الجندية ، ويبقى من يرضون عنه عند اهله . وكان للشيخ اليد الطولى في هذا الامر . اذ كان موظفو دائرة التجنيد يأتون من دمشق فيحلون ضيوفاً على المشايخ ، ويعقد رجال الحكومة اجتماعاً عاماً في دار الحكومة يحضره جميع مشايخ



صورة قديمة لقراءة فرمان التجنيد وما يتبعها من الدعاء

النبك والقرى التابعة لها ووجهائها، ويقرأون « الفرمان » اي الامر السلطاني العلي بأخذ العسكر في حفلة رسمية تجمع بين موظفي الحكومة من ملكيين وعسكريين.



عسكر احتياطي في زمن الاتراك خلف الثكنة العسكرية



امام الثكنة العسكرية يوم عيد جلوس السلطان محمد رشاد

فتصطف الجنود رافعة سلاحها حتى آخر قراءة الفرمان . فيقوم القاضي او المفتي بعده بدعاء الى الله ليحفظ الدولة العلية ويمد عمر ذي الشوكة السلطان عبد الحميد . ويختمونه بصراخ الحضور « بادشاهم جوق يشا » اي فليحيَ سلطاننا كثيراً

ثم يشرعون في انتخاب العسكر او الجنود وتعيين المدعويين للتجند . فيرمون القرعة في دار الحكومة، وتسحب الاوراق المصطلح عليها بحضور هيئة الحكومة ومشايخ البلاد ووجهائها . فكان يأتي الشاب ويمد يده الى كيس ويسحب منه « ماسورة » ضمنها ورقة ملفوفة . فيأخذها منه احد صغار الضباط ويقرأ ما فيها ويعلن قائلاً : « خالية » او « عسكرية » . فيرددها الحاجب الذي عند باب الغرفة .



ضباط رديف في زمن الاتراك منذ ٣٠ سنة

فتصرخ والدة الشاب، اما مزغردة او مولولة، لان الجندي كان يبعث في ذلك الزمن الى بلاد بعيدة، كبلاد اليمن او الروملّي او كريت او الجبل الاسود او بغداد او ارزروم او غيرها من ساحات الحروب العثمانية المخيفة

عصريات الفلاحين

يظل الرجال في « منزول » المختار حتى الظهر تقريباً . فيرجع كل منهم الى بيته . وعند العصر يذهبون الى ساحات البلد العامة . ومنهم من يذهب الى ساحة الخان، حيث يجلس مفترشاً الارض ملتفاً بعباءته يصطلي بشمس العصر، ممتعاً نظره بمرأى القوافل الآتية من الشمال والجنوب، محدثاً رفقاءه عن الحوادث الحاضرة والسالفة . فتارة يحدثهم عن « اشابه » البلد والجوار اي شجعانها، وطوراً عن مشاهير عرب البادية وافعالهم في غزواتهم، واخرى عن اشياء مستغربة ومستهجنة مما سمعه او رآه: كالتلفون وسواه، او عما جرى له اثناء سفرته القريبة العهد او البعيدة . ويظلون

هكذا حتى المساء فيرجعون الى بيوتهم

اما الذين يجلسون في ساحات البلدة فبعضهم يتسامرون كما ذكرنا وبعضهم يلعبون « بالمنقلة » . وهي قطعة من خشب الجوز بطول ٧٥ سنتمترا وعرض ٢٠ وسمك ٥ سنتمترات ، يحفرون فيها اربع عشرة حفرة في صفين متحاذيين ، وتسمى الحفرة منها « بيتا » فيضعون في كل بيت سبعا من الحصى الصغيرة الملساء يلتقطونها من النهر . وعلى هذه نظموا فيها هذا اللغز :

ارملة وقفت زوجين عميت بأربعتعشر عين
عاقر ما بتجيب ولاد بطنها ما فيه الا اثنين

يجلس اللاعبان على الارض متقابلين وهي بينهما . فيأخذ كل منهما بدوره في تفريق حصى البيت على البيوت الباقية . فاذا القت آخر حصاة من يده زوجا او زوجين اخذهما ربحا له مع ما ازدوج قبلها . وهكذا دواليك الى ان تفرغ المنقلة من الحصى . والغالب من جمع منها العدد الاكبر . فيحق له حينئذ ان يأخذ حصاة فيحدّ ويكشف عن زند المغلوب ويفركه باصبعه ثم يحاكي « يقلّد » الجرّاح في عملية الفصاد ، خشية ان « ينفر دم المغلوب الى رأسه » من تأثير الانكسار . وعندئذ ينهال الحاضرون على المغلوب بالتهكم



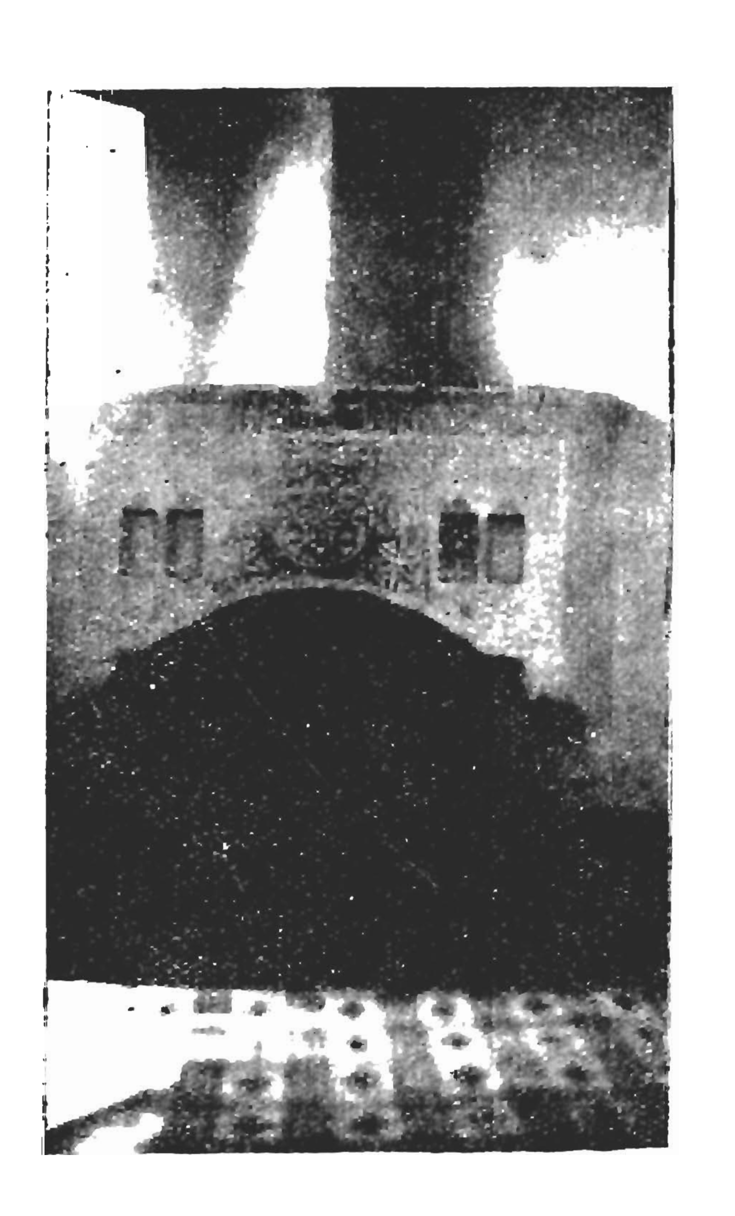
« عصرية » بعض الموظفين في لبنان في عصرنا الحاضر

الولائم

يدخل المدعوون الى غرفة من غرف الدار بعد ما يلقون السلام. ويخلعون نعالهم في العتبة المفصولة عن باقي الغرفة بحاجز من الخشب يسمونه « درابزين ». وتكون الغرفة مفروشة بالسجاد او البسط واللباد، وقد مدّت في جوانبها الفرش، وفوقها المرافق والوسائد المحشوّة بالخروق البالية يتكئون عليها . ولا يكاد يستقر الداخل في موضعه حتى يبادره الحضور، كلٌ بدوره، بالقاء التحية قائلين : « مرحبا » او « مسّيك بالخير يا ابا فلان » . فيرد عليهم التحية باحسن منها

الموقدة والوجاق

في احدى زوايا هذه الغرفة موقد بثلاث اثافيّ من الحجر الصلب مرتبط بعضها ببعض بما يبنون حولها . فتصبح كانها حجر واحد تتصل باسفلها من الامام بحجر مجوّف مقعر يدعى « الحوم » تجمع فيه النار . وفوق الموقد مدخنة من حجر ولبن وطين يسمون بعضها الوجاق، وهي كلمة تركية . والوجاق واجهة من حجر الكداني الابيض المنقوش نقوشاً عربية جميلة، بطول متر وربع وعرض خمسة وسبعين سنتمتراً وسمك عشرة سنتمترات مركزة بين الحائطين فوق الموقد على قاعدتين من اصل



الموقدة والوجاق

الحائط ومرتفعة عنه نحو تسعين سنتمتراً . ويسقفونه ببلاط من نوعه، ويبنون المدخنة منه الى سقف الغرفة حيث يصلونها بكوة يصعد منها الدخان . ففي الموقدة يشعلون النار من الحطب والشيح والفحم و« الجلّة »، وهذه كتل من روث البقر، و« الكرس»، وهو ما يتلبد من تراكم بعر الدواب واختلاطه ببولها

القهوة

اول ما يقع عليه نظر الداخل الى هذه الغرفة، النار وقد صفّت عليها اباريق القهوة والشاي الحلبي . وهذا مركّب من البهارات الحارة كالفلفل والقرفة والقرنفل والجنزبيل وجوز الطيب، المطبوخة مع السكر والمحفوظة اقراصا . ويصنعونها في حلب . وامام الموقد صاحب البيت او احد ابنائه او اقاربه، وبيده محمصة من حديد ذات ساعد بطول ثمانين سنتمتراً . والى طرف الساعد سلسلة صغيرة عُلّق بها قضيب من حديد ينتهي بشبه ملعقة يحرّك بها البنّ عند تحميصه . فمتى فرغ الرجل من تحميص البنّ يضعه في هاون من الخشب الصلب ليبرد، ثم يدقه بمدقة من الخشب عينه يسمونها « المهباج » دقاً موزوناً له ايقاع يستحسنه الحضور بينما الرجل يفتخر ويباهي بموسيقاه المطربة



محمصة البنّ والجرن والمهباج واباريق القهوة

حينئذ يأخذ في طبخ القهوة بشيء من الخمير المحفوظ في الاباريق (اي ما تبقى من القهوة المطبوخة سابقاً) . فيضيف اليه الماء اللازم ويغليه جيداً . ويسكب منه في ابريق مخصوص بالطبخ مع القهوة المدقوقة حديثاً . ويحترس لئلا تمس يده القهوة المدقوقة خوفاً من ان يعلق بها من يديه رائحة او طعم غريب يذهبان « بنكهتها » . وحينما تنضج يضع لها حب « الهال » مدقوقاً ويروّقها اي يسكبها في ابريق ثالث يختص بالقهوة « البكر »، كما يقولون، ثم يصب من ابريق الخمير فوق الابريق الذي طبخت فيه القهوة شيئاً من الخمير ويلحقه بالنار لكي يُطبخ

ثانية، وهذه يسمونها « التنوه » . ويصب من البكر قليلاً في الفنجان ويحركه حتى يتلوث داخله منها، ويصب ما فيه في الفنجان الثاني ويعمل به كما عمل بالاول، ويرمي ما فيه على الارض . وهذه يسمونها « حصة الشاذلي » لاعتقادهم ان الشاذلي هو الذي ابتدع شرب القهوة او هو اول من شربها، وانهم اذا لم يرموا هذه من الفنجان الى الارض ينقلب الابريق وتراق القهوة حتماً . ثم يصب القهوة بفنجان ويشربها هو نفسه على مرأى من الحضور طمأنة لهم . ثم يدور عليهم ويسقيهم اولاً وثانياً . وهم يشربون ويعيدون الفنجان قائلين : « دائمة »، اي عسى ان تكون قهوة دائمة . فيجيبهم الساقي : « صحتين »

وكانت القهوة في تلك الايام لا تصنع الّا في بيوت المشايخ والوجهاء المثرين، او في الافراح والولائم . وما كنت ترى اباريق القهوة الا في بيوت هؤلاء . وعند الحاجة اليها يستعيرها من يقيم الافراح في بيته . وكانت القهوة المشروب الوحيد الفاخر عندهم، وكانوا لا يعرفون غيرها من المشروبات المنعشة او الكحلية مطلقاً، بل كانت نفوسهم تشمئز من ذكرها، مسلمين كانوا ام مسيحيين، وظلوا على ذلك حتى اواخر القرن الغابر

تناول الطعام

بعد ما يكمل عدد المدعوين يضعون في وسط الغرفة « سفرة » من الخشب ترتفع عن الارض مقدار نصف ذراع . ويضعون عليها « المنسف »، وهو وعاء من نحاس كبير مقعر ملآن من الارز او البرغل المطبوخ بالسمن، في الوسط، وحوله صحاف فيها من انواع الطبيخ المختلفة، لكل مدعوّ من كل شكل صحفة مملوءة . ويضعون ايضاً من خبز التنور اكداساً، وملاعق خشبية على عدد المدعوّين . فيبدأ صاحب البيت قائلاً : « تفضلوا على الميسور » . فيجيبونه : « ميسور غانم » . ويدنون الى السفرة بحشمة واحترام الواحد بعد الآخر، كلّ بحسب منزلته، حتى تمتلئ المواضع حول السفرة . فيأخذون في الاكل بعد البسملة، بدون ان ينبس احدهم ببنت شفة . اذ كانوا يعتقدون ان الكلام حول السفرة حرام، ويقولون : « لا سلام ولا كلام على الطعام » . فيأكلون صامتين، فلا يسمع من في البيت غير صوت التهامهم الطعام . وكانوا يفضلونه حارّاً جدّاً حتى الغليان . فكان الواحد

منهم « يشرق » ما في الملعقة من الحساء « شرقاً » عنيفاً (أي يرتشفه ارتشافاً) فيسمع له صوت عالٍ، ويمضغ مضغاً لا يتفق مع آداب المائدة في ايامنا هذه . ويتسابقون بسرعة التهام الطعام . فمن اقوالهم المأثورة « كل اكل الجمل وقم قبل الجمل » وترى صاحب البيت واولاده واخوته واقفين، وبايدي بعضهم الماء للشرب، وبايدي الآخرين صحاف مملوءة من انواع الطعام . فيتفقدون الصحاف والمناسف لئلا ينفد ما فيها فيصبون في ما نقص منها قائلين : « يا مية اهلا وسهلا، ويا حلت البركة، صحتين وهنا، الاكل على قد المحبة يا جماعة »

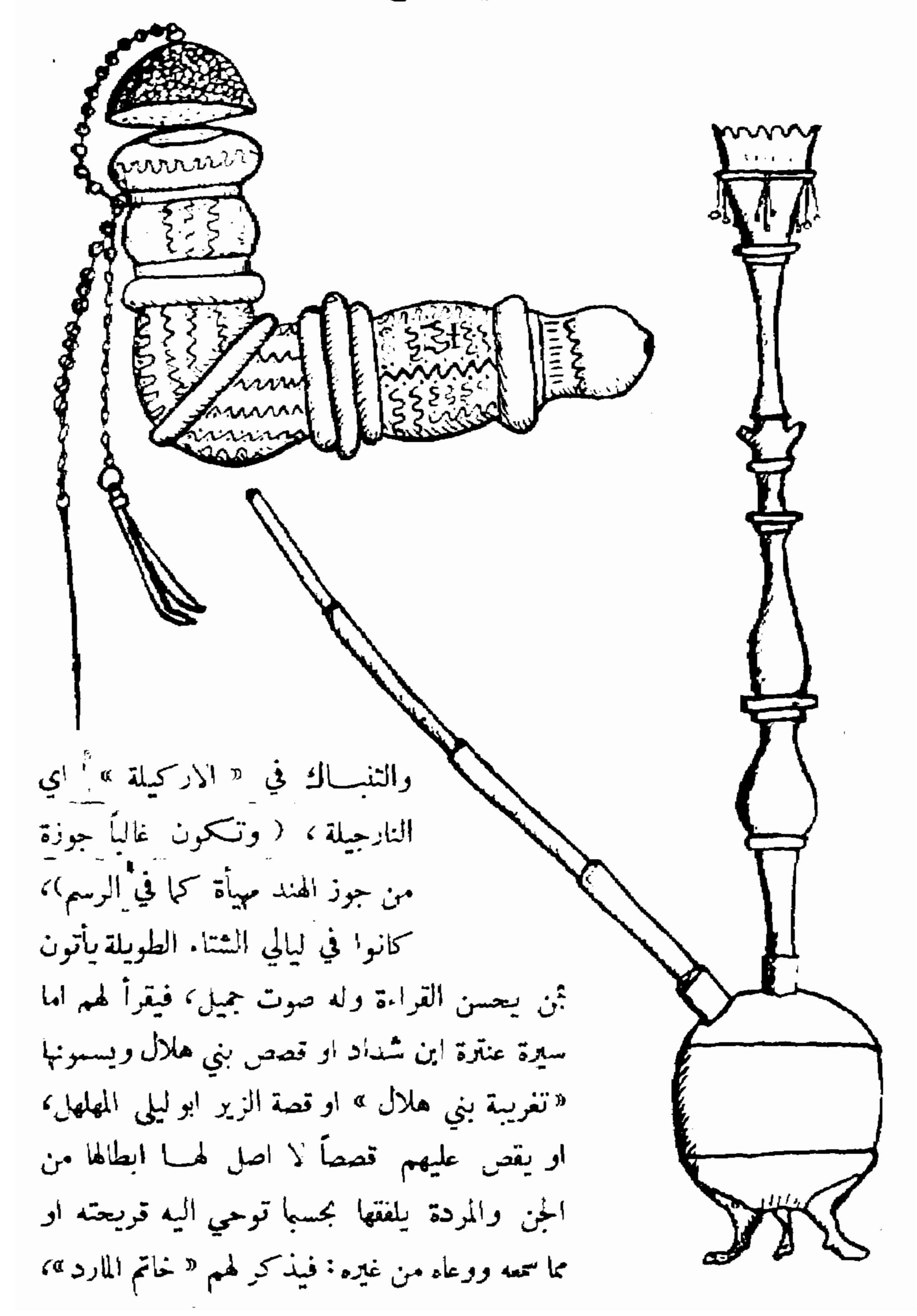


الاكل في ولائم الاعراس

وكلما قام واحد من المدعوين يلمس طرف السفرة بانامله ويرفع يده الى فمه مقبلا اياها، حامداً الله، قائلا : « دائمة ان شاء الله » . فيأخذ غيره محله، الى ان يأكلوا جميعهم ويرجعوا الى مجالسهم الاولى . وعندما ترفع السفرة وما عليها يقول المدعوون جميعا : « سفرة دائمة ان شاء الله » . ويأخذون يتسامرون، ويتجاذبون تلك الليلة اطراف الاحاديث

السهرات

بعدما يشربون القهوة والشاي الحلبي، والتبغ « بالسبيل » او « الغليون »،



والتنباك في « الاركيلة » اي النارجيلة، (وتكون غالباً جوزة من جوز الهند مهيأة كما في الرسم)، كانوا في ليالي الشتاء الطويلة يأتون بمن يحسن القراءة وله صوت جميل، فيقرأ لهم اما سيرة عنترة ابن شداد او قصص بني هلال ويسمونها « تغريبة بني هلال » او قصة الزير ابو ليلى المهلهل، او يقص عليهم قصصاً لا اصل لها ابطالها من الجن والمردة يلفقها بحسبما توحي اليه قريحته او مما سمعه ووعاه من غيره : فيذكر لهم « خاتم المارد »،

يفركه عند الاحتياج فيأتيه المارد ملبياً له كل ما طلب قائلاً « لبيك، عبدك بين يديك » . ويذكر لهم « طاقية الاخفا » لكي يلبسها عند الحاجة فتخفيه عن عيون الناس وهو يراهم . و « الشعرات السبع »، و « الريشة من الحصان او من الطير » ليحرقها عندما يقع في مشكل او في خطر، فيأتيه الحصان او الطير فيستخدمهما لكل ما يلزمه ليخلص من كل ضيق

لعبة الصينية

او يلعبون بلعبة الصينية . وعليها تسعة « فناجين » او اقداح صغيرة يخبئون خاتماً تحت واحد منها . وينقسمون قسمين . وعليهم ان يعرفوا اين مخبأ الخاتم، بموجب قانون هذه اللعبة . فمن غلب منهم يأخذ في تعيير المغلوب بأغاني وحركات هزلية لا تخلو من البذاءة والهزء والسخرية في غالب الاحيان . فيتقبل القسم المغلوب كل ذلك من الغالب برضى . ولا بد للمغلوب ان يغلب يوماً، فيثأر لنفسه

لعب الورق

او يلعبون بورق اللعب، لعبة المتتين . ومن يغلب منهم يحق له ان يزين المغلوب بالورق الزائد، اي ان يضع بين عقاله ورأسه ورقة كريشة العروس يوم « جلوتها » . وله ايضاً ان يسمعه كلام هزء وسخرية . وهكذا حتى آخر السهرة. فيأتيهم حينئذ صاحب البيت بالعنب والجوز والتين والبطيخ والبرتقال والاجاص الملكي او الشتوي، فيتناول كل منهم ما يشتهي ويريد. وهذه يسمونها « السهرية ». وبعد هذا ينفرط عقدهم، ويبقى من كان ضيفاً في بيت مضيفه صاحب الوليمة، الذي أولم على شرف الضيف واكراماً له

اللباس

البسة الرجال

كان الرجل يلبس اولا جلبابا اي قميصاً يصل الى ما فوق اقدامه . وتحته سروالاً من الخام البلدي الابيض يربطه بتكة فوق وركيه . وفوق القميص « صدرية » اي صدرة تحيط بالصدر والظهر بلا اكمام، لها ازرار على الصدر. ومع الصدرة « شنتيان »، اي سروالاً من الخام البلدي الكحلي المطرز بالحرير الاحمر والاصفر على جيوبه وعلى اطراف رجليه، يربطه فوق خصره بتكة من نوعه. وفوق « الصدرية » صدرة ثانية باكمام بدون ازرار يسمونها « اجلك » مطرزة ايضا كالشنتيان. وهذه الثلاثة من الخام البلدي[1] المصبوغ بالنيل باللون الكحلي او الازرق. ويتمنطق بمنطقة عريضة من الصوف الاحمر والازرق ينسجها بيده. وقد اخذ في اواخر القرن الماضي يتمنطق « بالكمر » المصنوع من الصوف حديثا . وفوق هذه كلها يلبس عباءة صغيرة تشبه « الاجلك » يسمونها « ربع »، انما تكون اكمامها الى المرفق . وفي ايام البرد يرتدي عباءة من الصوف الاسود الموشح بقليل من البياض، وقد يكون نسيجها ذا اقلام سود



لباس الفلاحين

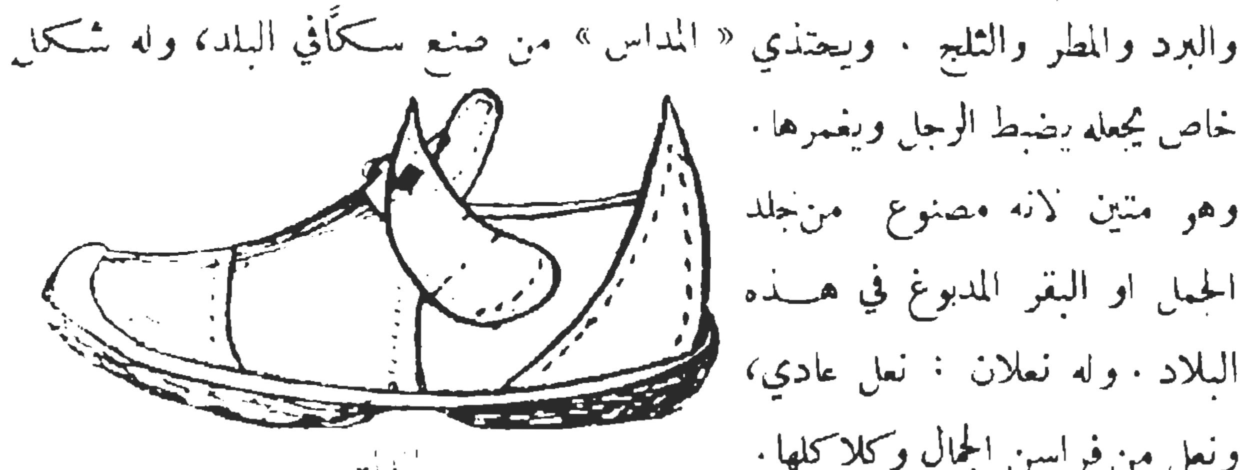


قلمونيون بملابس مختلفة الازياء

وبيض، واكمامها الى المرفق ايضاً، وهي تصل الى ما فوق الركبة، ويسمونها «زنارية» لانهم يتزنرون فوقها اثناء شغلهم

ويلبس الجمالة منهم رداء من جوخ عسلي اللون سميكاً ذا قبعة، يسمونه «كبود» او «دامر» ويضعون على رأسهم قطعة من القماش القطني ملونة بالاسود والاحمر والازرق او غيرها من الالوان، يلبسون تحتها «لبادة» من الصوف او «طاقية» تحوكها نساؤهم بايديهن، وفوق الجميع عقال مبروم من الصوف او الوبر بطريقة خاصة بالعُقّال . ويرتدون فوق الكل عباءة كبيرة من الصوف تنزل الى الرجلين، ليس لها اكمام، وهي عريضة تُلقى على الكتفين فتغطي الجسم كله وترد عنه الهواء والبرد والمطر والثلج . ويحتذي «المداس» من صنع سكّافي البلد، وله شكل خاص يجعله يضبط الرجل ويغمرها . وهو متين لانه مصنوع من جلد الجمل او البقر المدبوغ في هذه البلاد . وله نعلان : نعل عادي، ونعل من فراسن الجمال وكلا كلها .

رجل من [illegible] مع ولده



المداس

ولا يهمّ الجمّالة ثقل المداس وقساوته، لكثرة ما يقومون به من الاسفار البعيدة في الجبال والاراضي الحجرة

اما الشبان فيلبسون فوق القميص والسروال رداء «كالقنباز» يسمونه «صاية»

من الخام البلدي مصبوغ باللون الازرق . ويتمنطقون فوقه بسير من جلد في الصيف او بزنار من الصوف الملون في الشتاء . ويلبسون عباءة حمراء مقصبة « كالزنارية » المذكورة قبلاً ، وهي من صنع الزوق[1] . ويتحلّون بخواتم الفضية . وترى احياناً شباناً متزوجين ينيف عمرهم على عشرين سنة ، وفي آذانهم اقراط ذهبية . تهدى هذه الى البكر اذا كان غلاماً . ويكون عادة من اولاد الاغنياء او وحيداً لاهله . وترى حول وجوه البعض منهم ضفائر من شعورهم تتدلى على اعناقهم حتى الصدور ، فيباهون بها ويقلّدون عرب البادية . ويلبسون على رؤوسهم كالرجال ما خلا بعض تغييرات يتبعها الشاب بدافع التطور والترقي . وترى على رؤوس الشبان اشكالاً كثيرة متنوعة . فمنهم من يميل عقاله الى اليمين ، ومنهم الى



شابّان بلباس عربي قد رخيا شعورهما كالبدو

(١) بلدة في قضاء كسروان بلبنان مشهورة بأقمشتها الحريرية

اليسرى ، ومنهم من يقدمه فيضعه على جبهته ومنهم من يلقيه في مؤخر الرأس



وكان اولاد الاغنياء والوجهاء يلبسون القميص الابيض ذا الاردان المطرزة بالحرير الابيض ويتقلدون فوقه السلاح على الدوام ، وخصوصاً في ايام الاعراس والافراح

وكان الاغنياء والمتقدمون في السن يلبسون « البطر » وهو سروال فضفاض من الخام البلدي الابيض ، واخيرا اخذوا يستعملون



لذلك الاقمشة الاوربية التي يسمونها « بياضا » او « مقصورا » او « مضاما » . وقليل من كان منهم يلبس العمة البيضاء . وكنت ترى من الشيوخ من يتعمم بالشالة العجمية ، او بتشبيه ، او بعقال من الوبر يلفونه على رؤوسهم فوق الكوفية او الحطة الحريرية ، او بزنار حريري ملون كان يسمى « طرابلسي » لانه من مصنوعات طرابلس الشام

[illegible] يلبس [illegible] طرز الاردن



البسة النساء

اما النساء فكنَّ يلبسن ما يلبس الرجال من الالبسة الداخلية ما خلا بعض التغيير في ارجل السراويل التي تكون « مزمومة » الاطراف عند الارساغ، والبعض منها يربط تحت الركبة فيتدلى الى ما فوق الرسغ . ويلبسنَ فوق القميص قميصاً ثانياً بلا اكام يسمونه « خراطة » وهو احمر اللون، وفوقه « صدرية » لها ازرار تضبط على الصدر . وفوق الصدرة « قنبازاً » ذا ثلاث فتحات : واحدة من العنق الى القدم، واثنتان على الجانبين من الخصر الى القدم ايضاً . وهذا القنباز يضبط في وسطه الامامي تحت الصدر فتبقى « الصدرية » ظاهرة بازرارها الفضية المعلقة بحلقات من الفضة، من العنق الى الزنار

وترتدي النساء ايضاً ثوباً فضفاضاً من الخام الازرق يسمونه « تنورة » ويتمنطقن بزنار من صوف ملوَّن، او بشالة عجمية اذا كانت من الاغنياء او البالغات سن الكهولة . فتكون هذه الشالة للمرأة مستودعاً للقضامة والزبيب والجوز والتين، ولاشياء أُخر كثيرة تحتاج اليها المرأة لترضي بها اولادها الصغار . وتستعمل زنارها هذا محفظة للدراهم وللمرآة و« الكشتبان »، ولمفتاح صندوقها، ولمفتاح باب الدار الخشبي، اذ لم تكن الغالات الحديدية معروفة عندهم بعد، الا نادراً

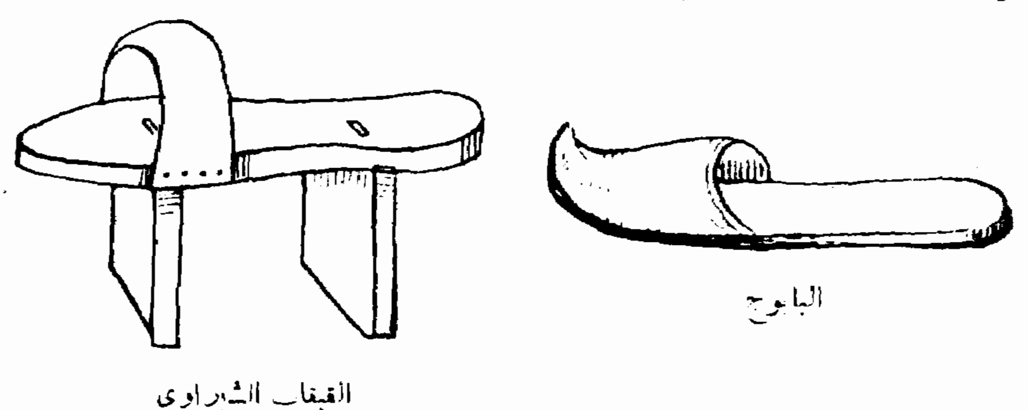
وفي الشتاء تتدثر « بالدامر » المطرز « بالقصب » اي بالاسلاك الفضية والذهبية، وهو يشبه « الاجلك » لكنه من الجوخ . او « بساكو » من الجوخ، واذا كان من المخمل يسمونه « بانطو » . وله اكام، وهو يصل الى ما فوق الركبتين او اليهما فيقيهما البرد

وتضع المرأة على رأسها طاقية سوداء تعصب جبهتها فوقها « بشملة » حريرية او عصبة قطنية سوداء . وتلف رأسها بمنديل طوله اربع اذرع وعرضه ذراع، ملون بالاحمر والاسود والاصفر من مصنوعات حلب، تطلق نصفه على ظهرها من فوق قمة رأسها فيصل طرفه نحو القدمَين، والنصف الآخر تلفه حول رأسها وعلى عنقها وتتلثم به بشكل يناسب البستها، فيرد البرد والهواء عن عنقها واذنيها . و« تسبل » اي ترخي « سالفيها » اي شعر مفرقيها على خديها حتى ذقنها، فيظهر

وجهها الى ما فوق حاجبيها مستديراً يستلفت اليه الانظار . وعندما تقصد ان تقي وجهها لذعات البرد القارس، او لأيّ غرض آخر، تأخذ مما لُفّ به عنقها من المنديل وترفعه الى ما فوق انفها، فيتغطى به معظم وجهها ما عدا عينيها . وهذا يسمونه « خمار » وهو اللثام . وكان النساء المسلمات والمسيحيات ايضاً يتجنبن كثيراً ان تكشف لبّتهن امام الرجال، ولو كانوا من ذويهن الاخصاء، ويحسبن ذلك محرماً وعيباً شائناً

وكنّ لا يستعملن لالبستهن الا الاقمشة القطنية والصوفية والحريرية المنسوجة بأيدي ابناء البلاد على انوالهم البسيطة، كالخام البلدي والعباءة والديما والكرمسوت والدامسكو والعصمانية والالاجا والحامديه وما شابه ذلك من مصنوعات دمشق وغيرها من البلدان . وظلت الاقمشة الفرنجية غير معروفة عندهنّ الا نادراً، حتى اوائل الربع الاخير من القرن الغابر . فهب يوماً رجل وفتح حانوتاً واخذ يجلب اليه من بيروت الاقمشة الفرنجية على اختلاف انواعها . فجعلن يتهافتن على لبسها منقادات بحبهن للجديد ونزوعهنّ الفطري الى التحول والتقلب والظهور بمظاهر غريبة عن المألوف، مأخوذات ببهارج الصناعة الفرنجية وزخرفها

وتحتذي النساء « البابوج »، وهو من الجلد الاصفر معقوف الرأس ذو كعب قصير جداً . وفي الشتاء يحتذين القبقاب العالي « الشبراوي » اي بعلو الشبر او اكثر احياناً، اتقاء للرطوبة والوحول



البابوج

القبقاب الشبراوي

وكانت البنات والنساء يضفرن شعورهن بضع ضفائر مع جدائل من الصوف ويرمين بها الى ما وراء ظهورهن . وكانت المثريات منهن يربطن اطراف جدائلهن بقطع من الفضة للزينة، او بقطع من النقود الفضية المتداولة، نظير نصف « الزهراوي »

وربعه يسمونها « رختاً » ويتمنطقن بمناطق من صوف او حرير ملون لها اهداب حريرية فيها خيوط الفضة والذهب

وكان الاغنياء المتقدمون في السن من كلا الجنسين يلبسون الجوارب العجمية من الصوف في الشتاء بعدما يبطنون اسفلها بجلد من « الخور » الابيض والاصفر، وبجلد احمر فوق اصابع القدم ومن وراء العقب، فيطول بذلك عمر زوج الجوارب الى ما يزيد عن الخمس سنوات

حلي النساء

وكنَّ يتحلين بالاقراط الذهبية . والقرط حلقة بدائرة « الريال » نصفها الاسفل من كرَيات صغيرة من الذهب مخرمة ومزركشة يعلق في كل منها « ربعية » اي ربع غازي، والنصف الاعلى سلك مربوط بالنصف الاسفل بمفصلة يُدخَل في الاذن حين التحلي به . ولذلك يسمونه « حلَقْ » ويصلون القرط بسلسلة من الذهب او الفضة منوط بها « غوازي »، وفي اعلاها كُلَب يُغرَز في الشعر والعصبة معاً فتتدلى الغوازي بعضها فوق بعض على جانبي الوجه فتزيده رونقاً وبهاء، ويسمون ذلك « حلق مشنشل »

ويتحلَّين ايضاً بالخواتم والاساور الفضية، وقليلٌ منهنَّ بالذهبية، والغنيات يلبسن مع الحلق المذكور قطعتين من الذهب الرقيق مثلثي الزوايا تدعيان « قراني ». و« القراني » مرصعة منقوشة تعلق بزرَد كزرَد الحلَق

ويتحلين ايضاً بالحجب الفضية والذهبية . وهذه تكون غلافاً « الكتاب »، او تميمة لوجع الرأس او « للقرينة »، التي يعتقد بها النساء انها قرينة لهن من الجنّ مضرة، تسبب لهنَّ وجع الرأس او العقم او موت الاطفال او غير ذلك من المصائب. وقد يلبسنَ التمائم اتقاءً لمضارّ الخوف او للخبَل

ويتحلَّين ايضاً « بالكردان » و« الصنوبرة » في العنق . وينظمن عقوداً من الخرَز الازرق وبينها « الغوازي » او انصافها يسمونها « اطواقاً » جمع طَوق . ويتحلّينَ « بالصف »، وهو من ارباع الغوازي الذهبية يخطنها على العصبة صفاً منتظماً فوق الجبهة . و« بالناطور »، وهو قطعة من الذهب مزركشة تشبه اللوزة

الصغيرة مرصعة بالخرز تناط بالعصبة فتتدلّى بين الحاجبين . و« بالسليتات» وهي سلاسل رفيعة من الذهب تلبس في المعصم كالسوار . ويتمنطقن، حينما يتزيّنَّ في الاعراس والافراح والاعياد، بمناطق من المخمل الاسود او الازرق او الاحمر يدخلنَ فيها قطعاً من الفضة المزركشة كاللوز

ويتحلينَ ايضاً بالخلخال فيلبسنه فوق الارساغ، وهو من الفضة يعلّقنَ به جلاجل صغيرة ترنّ عند خطو لابستها . و« بالخزام » في انوفهن، وهو يشبه نجمة مصنوعة من الذهب في وسطها خرزة زرقاء تعلّق بها رقائق صغيرة من الذهب .



سيدة من النبك بلابسها وحلاها القديمة

وللخزام « دبوس » يدخلنه في ثقب بأنوفهن كثقب الاذنين، وله من الداخل رباط يمنعه من السقوط

وفي اواسط الربع الاخير من القرن الغابر اخذت النساء تتزين « بالشكل » وهو سلسلة من الفضة او الذهب يبلغ طولها احياناً ذراعاً واحدة يعلقون في وسطها



قلمونيان تتوسطهما امرأة بزينتها البدوية

قطعة ذهبية من نقود النمسا يسمونها " قرنيصة "، وكانت قيمتها اذ ذاك ٣٠٠ قرش او ليرتين انكليزيتين، ويعلقون على جانبي " القرنيصة " عشرين او ثلاثين غازياً عتيقاً، ويلبسنَ « الشكال » في اعناقهن فيتدلى على صدورهن فتكمل به زينتهن

وكان الشبان والصبايا يتزينون بالوشم على ايديهم وزنودهم، والبعض على صدورهم، ويباهون به كثيراً

فلاحتهم وزراعتهم

يقسم الفلاحون في القلمون الى ثلاث طبقات : قوية، ومتوسطة، وضعيفة . فالفلاح الذي من الطبقة الاولى هو الذي يملك ارضا واسعة تسقى بالماء، ويملك ما يكفيها من ماء البلد[1] وارضا كثيرة في البرية لا تسقى الا بماء المطر . وهذه هي

(١) تقسم ماء النبك الى اربعة وعشرين « عدّان » . ويعتبرون النهار « عدان » والليل « عدانًا » . ويقسمون كل عدان الى ثلاث فِرَق . وكل فرقة تدوم اربع ساعات . فيكون مجموع الساعات ٢٨٨ ساعة . وهذه يسمونها « شدداً » . فمن كان له ساعة شدد يأخذ ثلاث ساعات زمنية من الماء كما هو مبين في الجدول التالي عن تقسيم الماء بين فلاحي النبك

اربعة وعشرون « عدان » او مصراع يتناوبونه كل اثني عشر يوماً فيصبح اصحاب العدّان الليلي للنهار و بقي اصحاب العدّان النهاري

النهار	الليل
عدان بيت الشيخ	عدان بيت الصيفي
〃 〃 المنجم	〃 〃 النهب
〃 الشخشير	〃 〃 ابو ابراهيم

الاراضي البعلية، وهي ملك مشاع بين عامة الاهالي غير مقسوم، ما خلا قطعاً صغيرة مملوكة ملكاً مطلقاً

والفلاح الذي من الطبقة المتوسطة هو الذي يملك مقدار نصف او ثلث ما يملك الفلاح القوي من سقي، وقدر ما يملك ذاك من ارض بعل

والفلاح الذي من الطبقة الثالثة هو الذي لا يملك من السقي الا القليل، وله من الكروم ما يقدر على إسقائه في الشتاء اذ يصبح الماء مباحاً للجميع

وقلَّ من لا يملك قطعة من الكروم او لا يملك دابة او دابتين مهما كان ضعيفاً او فقيراً . والدواب ضرورية للفلاح أيًّا كانت طبقته : اولاً للفلاحة والزراعة . ثانياً لجمع مزروعاته ودرسها ونقلها . ثالثاً لجلب الوقود في الشتاء الى بيته . رابعاً للمكاراة عليها في اوقات الفراغ . ولغير ذلك من الحاجات الضرورية

فانهم، على اختلاف طبقاتهم، ذوو همة شماء ونشاط عظيم، مشهورون باقدامهم على العمل وسرعتهم في انجازه، يكرهون البطالة والكسل ويقدمون على اعمالهم مدفوعين بعامل الأنفة والعزة، تخلصاً من الذل والهوان وهرباً من الحاجة والعوز . يقدسون الواجب ولا يأبهون لرفاهة العيش ورخاء الحياة، بل يحسبونهما كسلاً وخمولاً ويتجنبون تربية اولادهم عليها

تراهم يرقبون الفرص . فلا يكاد يأتي الربيع ببهجته حتى يهب الفلاح منهم مستصحباً دوابه و« العدّة » والسكة، اللتين ورث شكلهما عن اجداده السالفين، الى الاراضي البعلية . و« يكدن » اي يقرن زوجي بغال او بقر، او الجنسين معاً،

النهار	الليل
عدان بني مسلَّم	عدان بيت الشاقي
〃 بيت الاجرودي	〃 〃 قطيط
〃 〃 عابده	〃 〃 ابو الديك
〃 〃 خميس	〃 〃 البدوي
〃 〃 زهره وبني سعد الدين	〃 العساكره
〃 〃 عروق	〃 بيت مسكة
〃 〃 الدماشقة	〃 〃 الحاج مصطفى
〃 〃 العينيَّة	〃 الخرامزه
〃 〃 ابو يحيى	〃 بيت النكار

او الحمير، ويشدهما الى المحراث فيجرانه، وهو يمسك بيمناه عصاً بطول متر يسمونها « مسّاساً » اي منساساً يسوق بها الفدّان، ويقبض ويكبس بيده الثانية على « كابوس » السكة . فتشق الارض خطوطاً متحاذية، الى ان يفلح كفايته من الارض ويتركها للطبيعة تفعل بها ما تشاء مدة ثلاثة اشهر . وفي اواخر حزيران يعيد فلاحتها ثانياً . ويسمون عمله هذا « ثناية » ويتركها الى منتصف شهر آب . فتصبح تلك الارض صالحة للزراعة . فيأتيها الفلاح بالحنطة او الشعير ويزرع فيها ما تستوعبه من تلك الحبوب الموافقة لاراضي القلمون ومناخه وتربته . ويساعده على هذا العمل اولاده او شركاؤه من الفلاحين الذين من طبقته . فانهم يتشاركون فيفلحون ويزرعون معاً على بركات الله، منتظرين حلول رحمته تعالى بالامطار والثلوج طول الشتاء . فيجلبون الحطب والشيح من جبالهم الشرقية والغربية، والكرس من « مراح » اي مأوى الغنم والجمال فيها . وفي اوقات الفراغ يسافرون شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . فيأخذون من محصولاتهم، كالحنطة والشعير والدبس والزبيب والثوم والجزر، فيبيعونها ويبتاعون بثمنها ما يحتاجون اليه من سمن وزيت وزيتون وحمص وعدس ولوبياء وما شابه ذلك مما يلزمهم ويحتاجون اليه مؤنة لبيوتهم

الحصاد

ولا يكاد ينضج زرع الاراضي البعلية حتى يكاد صبر الفلاح ينفد مع مؤنته . فيهب مع اولاده اذا كان قوياً باولاده ودوابه، او مع شركائه اذا كان ضعيفاً، ونفوسهم ممتلئة املاً ونشاطاً . ويصلحون ما تعطل من (شباكهم[1]) من السنة الغابرة ويهيئون « الموارج » اي النوارج والرفوش والمذاري والقِرَب لاخذ الماء الى البرية خشية العطش . وياخذون معهم ما يلزمهم للمأوى ولاعداد طعامهم، « كالصاج » للخبز والطناجر للطبخ والبسط والفرش واللحف احياناً والاعبئة و« البواطي » . وهذه تحاك من الصوف سدى ولحمة، وتشبه العباءة الكبيرة بشكلها، غير ان لها اكماماً

(١) جمع « شَبَكة » وهي اداة يستخدمونها لنقل الزرع المحصود على ظهور الدواب

قصيرة جداً يلبسه الفلاح تحت عباءة زيادة التدفئة في سبرد تشرين ولاسيما في الليل حيث يعزبون في البرية بعيداً عن البلد

ويذهبون كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً شباناً وصبياناً . وكان الرجال قبلاً يخرجون ببنادقهم ذوات القداحة والجوزة للمدافعة عن انفسهم اذا هاجمهم عربان



عربان الزلمون باراضي النبك الشرقية

البادية او عربان جبل الدروز والصفا . وكان من دأب هؤلاء ان يشنوا الغارات على الفلاحين وعلى اصحاب المواشي في «مشاتيهم» وعلى الطرق فيقطعونها وينهبون ويسلبون ويقتلون، وكثيراً ما كانوا يدخلون البلد وينهبون منها ما تصل اليه ايديهم



بعد الرجوع من مطاردة العربان

غير مبالين بالحكومة اوانذ، ولا هيأبين سطوتها . فحينما كانت تنهب المواشي من « مشاتيها » كان يأتي من يخبر « مشايخ » البلد، وهولاء بدورهم يخبرون الحكومة ويصعدون « الخواط » اي خادم البلد الى المئذنة فيصرخ قائلاً : « يا قواسة، يا بغّالة، هيّوا » فيهب الرجال والشبان بسلاحهم وبغالهم، والبعض منهم راجلين، متزودين الخبز والماء . ويهبّ المشايخ والوجهاء ايضاً بخيلهم وسلاحهم، ويلحقون بالعرب مع جنود الدرك « الشراندرمة » . فتارة كانوا يدركونهم ويسترجعون المنهوب منهم، بعد موقعة دامية يتبادلون فيها اطلاق الرصاص، وتارة يرجعون بدون جدوى، واحياناً خاسرين منهم رجلاً او اثنين او اكثر . لذلك اضطرت الحكومة ان تعيّن فريقاً من الجند كانوا يسمونهم « عساكر موظفه » مرتبطة « بالشراندرمة »، تحت قيادة المرحوم محمد باشا الجيرودي المشهور بسطوته على عربان البادية وشجاعته الخارقة العادة وفروسيته التي لا يزال الناس يتحدثون بها الى الآن . فكان يلحق بالعربان هو وجنوده المنتخبون فيقتل منهم واحياناً ينكل بهم تنكيلاً رهيباً . وكان له معهم مواقع عديدة هائلة جداً . فانه كان اذا لحقهم برجاله يحرق من يخونه الحظ فيقع بين يديه حيًّا، ويرجع المنهوب في اغلب الاحيان . وقلّما رجع بدون جدوى او خاسراً من رجاله نفراً او اثنين . وظل البدو على هذا حتى اواخر الربع الاول من قرننا الحاضر، اي الى ان احتلت البلاد الدولة المنتدبة الفرنسية، فانتشر الامن في البلاد وصار الاهالي يروحون ويغدون في صحراء سوريا بكل امان

وكان الفلاحون يقيمون في تلك البقاع الزمان اللازم لحصاد زروعهم . فيستيقظون باكراً، ويشرعون في الحصاد بأيديهم وهم جالسون القرفصاء على صفٍّ واحد، ويتبارون في النشاط والصبر على مضض هذا العمل الشاق إبّان الحر المحرق . واذا كانوا يحصدون في حقل قريب الى طريق عام او الى طريق تسلكه الخيّالة فلا يتركون خيّالاً يمر بدون ان يلاقيه ولدٌ منهم او فتاة حاملة بيدها « شِمالٌ » اي قبضة من الزرع تطعمه لفرسه قائلةً له : هذا « شمالك » . فيعطيها ما تجود به نفسه من الدراهم : ثلاثة او اربعة قروش او ربع ريال مجيدي في ذلك العهد . فترجع هذه الى ربعها مسرورة فرحة بما اعطاها، وهم يتغنون باغاني الحصاد او غيرها متحمسين . فتارة يقولون :



عبد ... خازن

بيت الخصيبة كانو كرستا ... ومن هون من حصاد الحمص

فيجعل من يحسن فيهم القول يعدد الادوار على هذه اللازمة وهم يرددون

وتارة يقول : يا امالي ريتت جو ... يتت مرمى لارنا

---

(١) أي بيت

او يقول : يا هل طرنطاب هواكم طاب
ومعلمكم حاضر ما غاب

او يقول : شوش الجمال عقلي لمّن[1] شدوا عالرحيل

او : يا معلمتي يا حدندوقه خبز البايت ما دوقه

او : شو شلب يا شوشلب رأس العنقود انهلب

ويقولون لمن يقصر عنهم :

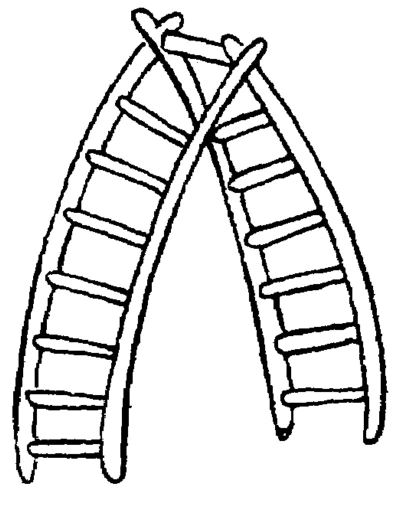
جالي ورانا خشخشه برغوت مدري برغشه

جالي ورانا غاره جربوع مدري فاره

ويقولون ايضاً : يا حصاد الحرمر جرني عالفيّ جر

ويتحدّثون باحاديث شتى عن الحوادث الحاضرة او الغابرة، كالافتخار والتعجب برجل من النبك او من القرى المجاورة لها، وخصوصاً اذا كان من اقربائهم واصحابهم وكان شجاعاً مشهوراً بمطاردة الاشقياء، ورد غاراتهم عنه وعن رفاقه او بتفوقه على بضعة رجال من غير النبك بقوة جسمه ونشاطه ورشاقته بالضرب اذا وقعت مشاجرة او مغالبة، او اذا كان من الادباء الذين يقولون المعنّى والزجل ويغنون على الدبكة وفي الاعراس . ويتحدثون ايضا عن حوادث خرافية متعلقة بالجان والشياطين، وتارة عن الاولياء والقديسين والانبياء، او عن عنترة والزير والملك سيف وبني هلال وابو علي الزيبق وما شابههم

يرمون ما يحصدون وراء ظهورهم « شمائل » . فيأتي الفتيان والصبايا ويلتقطونها من ورائهم ويجمعونها حزماً يسمونها « اغماراً » . فمتى تجمّع منها ما يكفي لحمل الدواب الموجودة لديهم يحزمونها احمالاً فيلقون كل حمل على شبكتين معدّتين لهذه الغاية ثم يحملونها على الدواب ويرسلونها مع ولدين او ثلاثة رجّادين ليرجدوها الى البيادر . ويدعى هؤلاء الفتيان « رواجيد » وهم يسيرون على اقدامهم وراء الدواب حفاة مسافة تختلف



الشحر

(١) اي لمّا

الزرع يُنقل الى البيادر

من نصف الساعة الى ثلاث او اربع ساعات. وعندما يصلون الى البيادر يجدون «الناطور» المعين لحراسة بيادر تلك البقعة ينتظرهم. فيساعدهم على انزال الاحمال وحلها وتفريغها من الشباك. ويعود الفتيان على الفور الى الحقل ليجلبوا نقلة ثانية وثالثة. ويتركون الزرع للناطور. فيكدسه «كومة» اي كدساً مخروطي الشكل في وسط البيدر الذي يسمونه «بيدر القش». ويظل الحصادون على ما هم عليه الى الظهر، فيتغدّون مما هيأته لهم النساء. ويعودون الى الحصاد بعد فترة قليلة. وفي المساء يتعشون ويجلسون وهم يتسامرون. ومنهم من يأخذ شبابته او مزماره ويوقع عليه ما يحسن من الالحان المعروفة عندهم: كالمواليا والعتابا والميجانا. او يؤلفون «تعليلة» يرقصون بها او يدبكون ترويحاً للنفس من عناء



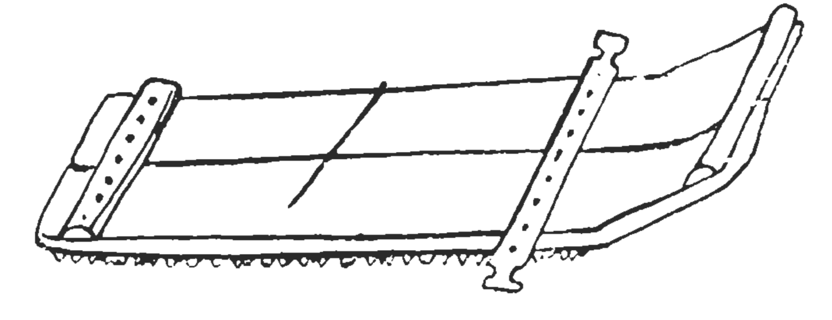
تنزيل الحصاد على البيادر

النهار، حتى يسطو عليهم سلطان النعاس. فينفرط حينئذ عقدهم ويأوي كل منهم الى مرقده، ويلتحف بعباءته و« بوظيته » ليأخذ قسطه من الراحة مجدداً قواه، لكي يعود في الصباح الى ما كان عليه قبلاً بجد ونشاط . ويقيمون منهم حارساً يحافظ عليهم وعلى متاعهم وينذرهم بما يهددهم من الخطر الداهم ويتناوبون في هذه الحراسة الى الصباح . وينهضون في الغد بهمة لا تعرف الكلال ولا يعتريها كسل، ويعودون الى حصد الزرع حتى يأتوا على آخره، فيتحولون الى حقل آخر . وهكذا الى النهاية

الدراس

عندما ينتهون من الحصاد يقوم صاحبه « بجورعة » اي بوليمة يطبخون فيها اللحم والبرغل ويأكلون منها ختاماً للحصاد . ثم يأتي الفلاح الى البيدر ويغرز في قمة الكدس عصاً طويلة، كما ترى في الصورة المقابلة . ويأخذ حبلاً طوله سبعة او ثمانية امتار ويعقد في طرفه انشوطة يدخلها برأس العصا لتدور عليها . ويأخذ بيده المذاري ، فينشل به مقدارا من القش ويفرشه حول الكدس، وهذا يسمونه « طرحة » . ويضع عليها نورجا او نورجين او ثلاثة بقدر ما عنده من الدواب . ويربط مقود البغل بالحبل الطويل المذكور، ويغطي عينيه باداة يسمونها « طاسات »، ويضع على كتفيه « الكدانة »، وهي لفافة من خيش او من صوف، وفوقها

« السفاقات » وهي من خشب . ويصل النورج به بواسطة حبل يمتد من صدر البغل على جانبيه الى النورج . ويركب فوق النورج احد اولاده الصغار ، او يضع عليه

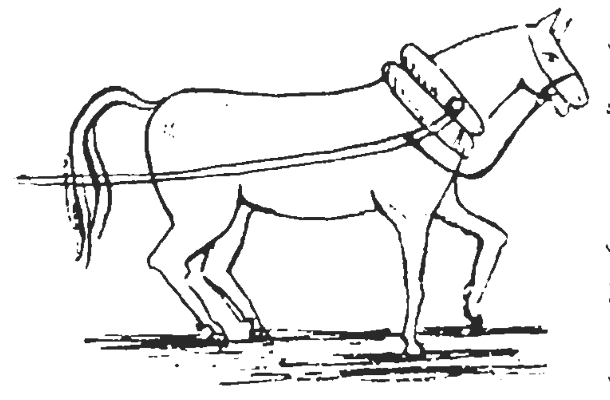


النورج

حجراً كبيراً يزن من ٤٠ الى ٥٠ كيلوغراماً ليصبح ثقيلا . ويسوق البغل فيدور على « الطرحة » جاراً وراءه النورج . وهو يقلب الزرع بمذراه حينا بعد حين حتى تتكسر « الطرحة » المفروشة فينقلها جانبا ويجعل منها اطاراً او سوراً حول البيدر . وهكذا الى ان ياتي على آخر



الكومة، فيصبح هذا الزرع حلقة من « دريس » خشن . فيعود ويتناول من



هذه الحلقة قسماً ويفرشه داخل الدولاب ويدرسه ثانية حتى يصير ناعماً ويعيده الى موضعه الاول في وسط البيدر . وهكذا حتى يصير «عرمة» من «الدريس» الناعم قابلا للتذرية ويتضح ان ذلك من الرسم في اسفل هذه الصفحة

ولا يكاد الفلاح ينتهي من دراس الزرع البعل حتى يأتي دور الزرع السقي فيذهب اليه بمنجله بعدما يشحذه جيداً، ومعه اولاده وبعض اصحابه يبادله يوماً بيوم واسبوعاً باسبوع . فيحصدون الزرع ويأتون به الى البيدر على ظهور البغال بغير الشبكة المار ذكرها بل بما يسمونه «شحراً» وهو مؤلف من سلّمين خشبيتين، طول الواحدة منهما متر وربع، متصلة احداهما بالأخرى بحيث تطويان وتفتحان عند الحاجة فتكون كل واحدة الى احد جانبي الدابة، وعليهما ينضّد الزرع المراد نقله[1] . ثم يفعل بزرع السقي كما فعل بزرع البعل . وقد يؤخر الدراس الى ان يجمع زرعيه البعل والسقي معاً



خمس دواب تدرس معاً كومة واحدة

---

(١) قد مرت بك صورة شحر في الصفحة ١٠ .



صورة شاب واخته يدرسان بقيامها الفرنجية

وبعدما ينتهي من التكسير والتنعيم جيداً يدعو الرجال والشبب من اقربائه واصحابه ليساعدوه على التذرية . وكذلك النسوة تدعو النساء والصبايا لمعاونتهن في الغربلة . والجميع يبادرون الى العمل بكل رضى

التذرية

لكل ناحية او موقع من البيادر هواء يهب في اوقات معلومة عند الفلاحين. فيترقبون هبوبه ولا يدعون الفرص تفوتهم . فيأتي الرجال والشبان بمذاريهم في الوقت المناسب ليلاً ، لان الريح الغربية تهب حينئذ متوالية . واحياناً يأتون عند العصر حين تهب الريح شمالية وشرقية قوية . فيضعون خشبة طويلة مقابل العرمة، مضادّة للريح، لتفصل بين الحب والتبن . ويباشرون رفع الزرع المدروس بالمذراة واطلاقه في الهواء، وهم يتغنون قائلين :

يا هوانا ما اطيبو عـلوا ونجنبو

فيسقط القمح والحصى وعُقد القشّ الثخينة (وهـذه يسمونها « قصل »). ويقذف الهواء التبن بعيداً عن القمح متراً او مترين . حينئذ يسمون المجموع من القمح « قضيبا »، لانه يبدو على شكل قضيب طويل غليظ . والمجموع من التبن يُدعى « تبان »

دورها في القسمة . فيغتنم الفلاح هذه الفرصة ويأخذ الشبان ينقلون التبن الى الدار

ثم يرجع الملتزم ومعه الكيَّال حاملاً مكيالاً يسمونه « مُدّاً » و« نصف مد »، والمد من الحنطة يزن عادةً نحو ١٨ كيلوغراماً . فيركع الكيَّال على ركبتيه بجانب الصبَّة، ويغرف منها بالمكيال مقدار نصفه ويقلبه بيديه الاثنتين على عقبه بعنف و « يبرمه » او يديره ويهزه . ثم يغرف بيديه من الصبة ويضع بالمد حتى يجمّه ويتكوَّم منه كومة مخروطية، بحيث لا يبقى فيه متسع لحبة واحدة . ويرفعه بيديه ويفرغه بجانبه او في العدل قائلاً : «بَرَكه»، يعني واحد . ويأخذ بتكرارها : بَرَكه، بَرَكه، منغماً بصوت عالٍ لكي لا يغلط حتى يملأ المد ثانيةً، فيفرغه قائلاً : « من الله »، قاصداً بذلك التيمن باسم الله والطلب اليه تعالى ان تحل بركته في الصبّة . ويظل يقول « من الله » على النغم ذاتــه حتى يفرغ الثالث فيقول : « ثلاثة » . وبعد الرابع : « اربعة » . وبعد الخامس : « خمسة » . وبعد السادس يقول : « يا الله سترك » او « الساتر الله » . وبعــد السابع يقول : « سمحه »، ويريد ان يلفظ سبعة لانهم يتشاءمون بها ويقولون ان السبعة مسبوعة . وبعد الثامن يقول : « يا الله الامانة » . وبعد التاسع : « تُسعد اذا صليت على النبي » . وبعد العاشر : « اللهم ارضَ عن العشرة »، يعني اصحاب الرسول

وعندما ينتهي من الكيل، او من « القسمة » كما يقولون، يأخذ الملتزم ما يحقَ له . ويلتفت الى كومة القصل ويمد يده الى قلبها ويحركها ويقبض منها شيئا وينظر اليه فيرى ما يتخلله من حبوب الحنطة فيطلب حقه منها . ويتفقون على شيء فيعطونه اكثر مما يحقّ له بسخاء ورضى، ولاسيما اذا كان الملتزم احد المشايخ او من الوجهاء[1] . ثم ينقل الفلاح حصة الملتزم على دوابه الى المذخر المتخذ لجمع غلاله، ويسمونه « الحاصل »

---

(١) وكان الشيخ يأتي احياناً ومعه رجل نبكي فلاح امّي يدعى حسن حمَّاده مشهور بنكاته وذكائه . ومن نكاته ان بعض الشبان عزموا على السفر . فما كادوا يشدُّون احمالهم حتى تلبَّدت السماء بالغيوم . فترددوا مخافة ان يداهمهم المطر وهم في الطريق . فقال لهم حسن : « لا تخافوا يا جماعة، فاذا اخــذ المطر يسقط قولوا لربنا : نحن نباكنه (جمع نبكيّ في عرفهم) . فينقطع المطر عنكم حالا » . وهو يريد بذلك ان السماء لا تجود على النبك بالامطار كما تجود على غيرها من القرى في اكثر السنين . والمشهور عن ذلك الفلاح انه فريد في تقدير « الصبَّة » بقدمه . فبعدما « يصببها » جيداً ويجعلها بشكل مخروطي يكيل محيطها بقدمه وهو حافٍ فيعرفها على الضبط وياخذ الملتزم حصته منها بناء على قول حسن المذكور لا غير

وبعد ذلك يأتي « ناطور » البيادر والناطور العمومي اي الـذي يحرس البعل والسقي والبساتين والكروم، ويأتي الحوّاط والشاوي اي ناطور الماء، والمنادي الذي يذيع ما يتفق عليه المشايخ في شؤون البلد الخاصة والعامة ويفتش عن الضائع بصوته الجهوري (فيقول فيما يختص بامور البلد : « ادفعوا مال ميري » او « روحوا لمنزول الشيخ » او « كلّ من يعزّل نهره » او « لا حـدا يروح مشرّق يا فلاحين » . وللضايع يقول : « يا سامعين الصوت صلوا عالنبي يا من لقي عليه او لقى له حمار اسود او عجل احمر او عبايه زنارية والحلوانه كذا قروش يا اولاد الحلال ») . فهولاء ياخذون اجرتهم السنوية بنسبة ما للفلاح من ساعات الماء او الفدان

ثم يأتي اللحام والحداد والنجار والبيطار والسكاف يأخذون حقهم من الحنطة حسب الاتفاق والشرط بينهم . ثم الحلاق والحمّامي ياخذان حقهما بحسب « الرؤوس » اي الاشخاص الذين يحلقون رؤوسهم وذقونهم ويستحمون من العائلة، ذكوراً واناثاً . فهولاء جميعهم يأخذون حقوقهم من الحنطة عن السنة بكاملها . فيعطيهم الفلاح عن قلب طيّب وكرم نفس . بل كانوا يعطونهم علاوةً على ما يحق لهم

ثم يأتي بعدهم رجل من قبل الشيخ اي المختار الذي ينتمي الفلاح اليه، فيأخذ من البيدر ما يُفرَض على كل فلاح مثله بنسبة ما لـه من ساعات الماء او الفدان، وهي حصة الشيخ من « المشيخة » اي مرتبه السنوي . وكذلك ياخذ من الشعير لعلف خيل ضيوف البلد ما يصيبه من ذلك . لان المشايخ كانوا يجمعون في ذلك الوقت شعيراً من الفلاحين في مستودع خاص . فاذا حل ضيوف عـلى المشايخ او الفلاحين، او جاءهم خيّالة الحكومة او جباة اموالها اخذوا علفاً لخيولهم من ذلك المستودع المسمّى « شونة » او « حاصل »

ثم يأتي الصغار صبية وفتيات، فيجمعون في « حروجهم » اي في مقدَم ثوبهم ما يعطونهم من الحنطة او الشعير . ويركضون فرحين ليشتروا به قضامةً او بطيخاً او خياراً وقثاء وما شابه ذلك من الفواكه التي يستلذونها . ويسمون ذلك « شرّية » . ثم يتوارد فقراء البلدة والشحاذون من الاعراب والنوَر وغيرهم من الغرباء الفقراء فيعطونهم بسخاء . ويعطون ايضاً من غلالهم « لمشايخ » الطرق اصحاب السناجق والاعلام، بسخاء وكرم، احتراماً لمراكزهم الدينية

نقل الغلال

وبعد ذلك يأخذ الشبان ينقلون الحنطة على بغالهم الى الدار في عدول تسع من ١٢٠ الى ١٥٠ كيلوغراماً . فعندما يصل الشاب الى الدار يأخذ العدل على ظهره، جاعلاً فمه الى اسفل، مباهياً بقوته ونشاطه وثقل حمله . ويدخل الغرفة المعدة لجمع الغلال . فتأتي امرأة او ولد ويحل رباط فم العدل فيفرغه وهو على ظهره . فيأخذه الشاب برشاقة وسرعة ويرجع به ليملأه ثانية . وهكذا يفعل غيره من الشباب حتى ينقلوا الغلة بكاملها الى الدار



وكذلك ينقلون التبن في « سرايج » (جمع سريجة) لا يقل وزن الواحدة منها عن الثمانين كيلوغراما . فيملأها اثنان جيداً ويرفعانها الى ظهر البغل ويسندها احدهما حتى يبلغ الدار فيجد على الباب مصطبة او صندوقا من خشب . فيسند عليه السريجة ويبعد البغل جانبا ويأتي هو تحت السريجة فيحملها على ظهره ويصعد بها على سلم خشبية لها درجات عديدة قد لا تقل عن الخمس عشرة او العشرين، مفتخراً بقدرته مباهياً بصعوده صعوداً خطراً . فيصل الى السطح حيث فوهة المتبن . فيفرغها ويقذف التبن برجليه الى المتبن، ويعود ليأتي بغيرها . وهكذا حتى ينقل جميع البيدر من حبوب وتبن وقصل و « عوز »، اي الزغبرة الرقيقة من التبن . والنساء يسبقن فيجمعن كلًا من هذه الانواع على حدة . ويحفظن القصل خاصةً، بعدما ينقينه من الحب والحصى، فيستعملنه وقيدا، ويستعملن « العوز » لتطيين البيوت والسطوح

وعند الظهر يأتي الفلاح الى بيته، مستصحبا معه جميع الذين ساعدوه في البيدر . فيتغدون من البرغل واللحم واللبن الرائب وغيرها . وينصرفون شاكرين قائلين : « عقبال كل سنة » . فيجيبهم اهل البيت : « وانتم سالمين . تسلم اياديكم »

صنع البرغل

ومتى انتهى الشغل خارج الدار تشرع بعض نساء البيت في تطيين السطوح وتبييضها « بالحوّارى » والبعض الآخر يصوّلن الحنطة السقي . فتملأ المرأة طستاً كبيراً من النحاس ماء، وتاخذ في الغربال الضيّق الثقوب كمية من الحنطة وتغطسه في الطست وتهزّه هزّاً خفيفاً، فتطفو الحنطة ويرسب الحصى والتراب والرمل في اسفل الوعاء . فتلتقط المرأة الحصى بملعقة من الخشب وتضعها بجانبها . وتضع الحنطة في محلٍّ آخر فتنقلها الصبايا على الفور الى السطوح وتفرشها هناك لتجف جيداً في الشمس . ومتى جفت يجمعونها ويذخرونها للطحن حتى نهاية السنة

سلق البرغل[1]

واما القمح الذي يسلقونه « برغلاً » فيأخذونه من المصوّل رأساً الى « الجعيلة » اي الخلقين . وهي مرجل كبير من النحاس يكون في الغالب لاحد الاوقاف او لارملة تاخذ اجرته ممن يسلق فيه البرغل، عن كل عشرة امداد من القمح « ثمنية » من البرغل الغير المجروش . ويبنون للجعيلة موقداً من اللبن في ساحة متوسطة من الحي ليسلق اهله برغلهم فيها

فتدعو المرأة جاراتها واقرباءها واصحابها . فتأتي الصبايا قائلات : « عالبركه سلاقكم » . فيجيبها اهل السلق : « حلت البركه » او « النوبه حلت البركه » او « هلّق حلّت البركه » . ويعنون « بالنوبة » و« هلّق » الآن . ويذهب قسم منهن لجلب الماء من النهر، وقسم ينقل الحنطة من البيت الى الخلقين الذي يسع من الثمانية الى الثمانية عشر مدّاً، اي ما بين ١٣٥ و٢٦٠ كيلوغراماً . وينقلن الحنطة على رؤوسهن في قفف او اطباق نحاسية كبيرة . وتشعل احداهنّ النار تحت الخلقين وترمي فيها وقيداً من الشيح والقصل مدة نحو ساعتين حتى ينشف الماء او يكاد، وينتفخ القمح، فيضيفون اليه من الماء ما يلزم حتى تنضج الحنطة جيداً فيبطلن

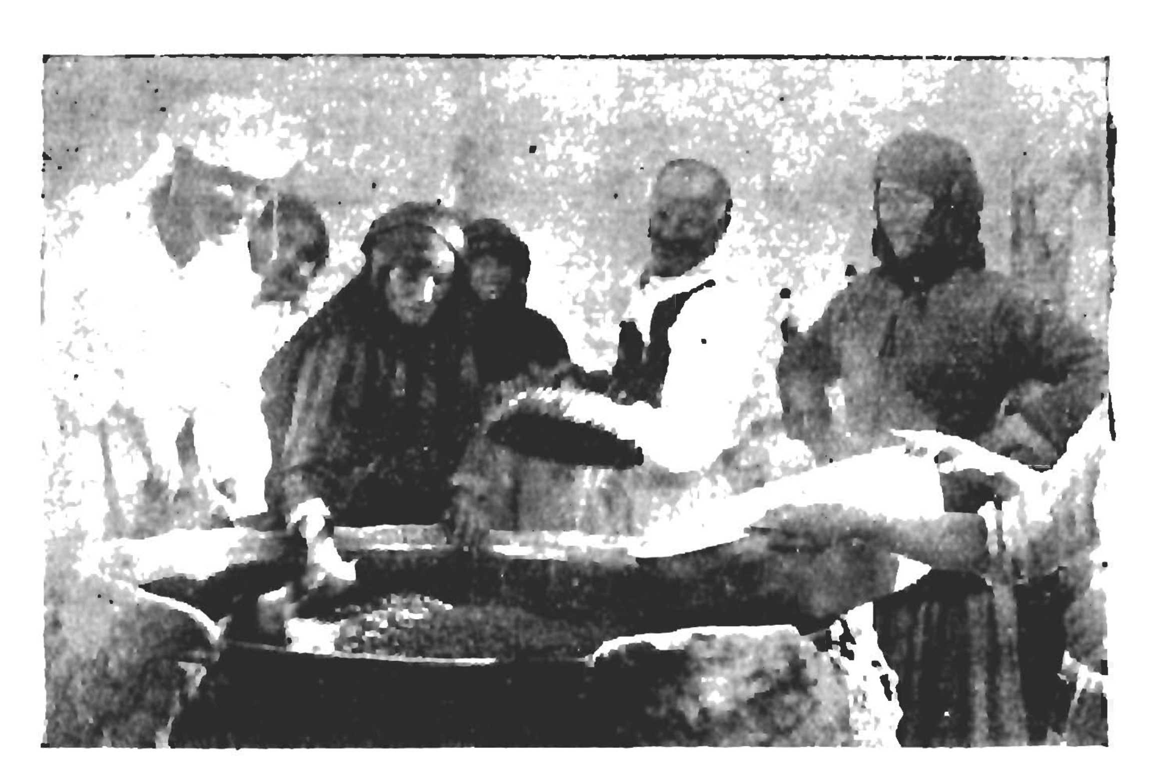
---

(١) لم اجد لكلمة البرغل اصلاً عربياً . فيلوح لي انها متخذة من كلمتي « برّ غُلي »، اي حنطة غليت في الماء حتى سُلقت فتحولت الى برغل

حينئذٍ الوقيد ويتركن القمح يغلي رويداً فوق تلك النار الهادئة « ويتهدى » كما يقولون

وتجلس النساء حول الحلقين ومعهن الصبايا يتحدثن بالاحاديث التي تدور حول الخطبة للصبية العزباء، وسؤال المخطوبة عن حياتها مع خطيبها، وعما بلغ اليه « مصروفه » اي انفاقه عليها، وعما وصلها من « حق رقبتها » اي من نقدها، وعن قرب ميعاد زفافها، وعن حياتها مع حماتها ومحبتها لها . ولا تخلو جملة من احاديثهنَّ من التحويطات والبسملات، مثل « يخزي العين » و « ما شاء الله » وغيرها مما يرد العين الشريرة عن الخطيبة والخطيب . وعلى كل امرأة تمر في تلك الساعة ان تقول: « يخزي العين، يخزي العين، عالبركه سلاقكم، ما شاء الله من عمًّا يسلق، الصلاة عالنبي » . وهذا فرض واجب، والويل لمن لا يقوم بادائه

ويكثر مرور الشباب من هناك وقتئذٍ فتكلفهم النساء ان يقلبوا ما في « الجميلة » رأساً على عقب بالمنشل الذي يسمونه « مشلاة » او « مشلي » وهو عصا بطول متر ونصف تقريباً، وفي طرفها قطعة من نحاس مستديرة لها ثقوب . وكثيراً ما يجلس الشبان بينهنَّ لاداء هذه الخدمة . واذا كان بين الجالسات صبايا يأتي الشاب مدفوعاً بامياله الغريزية، وينتظر نضوج الحنطة الذي يطلب ما لا يقل



يرفعون القمح من الجعيلة

عن اربع او خمس ساعات ، فيتحدث في اثنائها الى من يميل قلبه اليها ، ليختبر عن كثب صحتها ونشاطها وشيئاً من اخلاقها وصفاتها

وعندما تعلن الخبيرات منهنَّ نضوج الحنطة تأتي البنات باطباقهنَّ ، ويتسابق الشبان حينئذٍ بعضهم الى السطوح وبعضهم الى « المشلاة » . فتأتي الفتاة بطبقها وتضعه على دعامة من لبن مرفوعة الى جانب الموقدة عن يسار الشاب . فيغرف هذا « بمشلاته » من الحنطة المسلوقة ويضع في الطبق ما تقدر الفتاة على حمله ، ويساعدها على رفعه الى رأسها . فتحمله وتصعد به سلماً من الخشب ذات ١٥ او ٢٠ درجة . ويكون الشاب الثاني واقفاً في اعلى السلم على السطح ، فيأخذ الطبق عن رأسها بين يديه ، ويذهب به الى السطح ويفرغه كومة واحدة ويعيده الى الصبيـة ، فتذهب وتأتي بغيره . ويكون غيرها من الفتيات قد اتت بطبقها . فيظلون هكذا بين اخذ وعطاء واحاديث ودية وفكاهية الى ان ينفد ما في الخلقين . فيذهب حينئذٍ قسم من البنات لجلب الحنطة من البيت وقسمٌ لجلب الماء مـن النهر . فاذا كان ذلك ليلاً رافقهن شابان او ثلاثة الى النهر حتى لا يخفنَ . ويكررون العمل السابق كله حتى تسلق العيلة كفايتها

حينئذٍ ينعون الحضور من الذهـاب الى بيوتهم ويأخذونهم الى البيت حيث يقدمون لهم القمح المسلوق وعليه السكر الناعم والدبس ، وقلب الجوز وبزر القنَّب المحمَّص ، ويقدمون الخبز والجبن والعنب والتـين والزيتون . فيأكلون جميعاً . ثم يذهب كل واحد الى بيته قائلاً : « عقبال كل سنة » . فيجيبه اهل البيت « وانتم سالمين . الله يسلّم ديأتكم »

وبعد قليل تصعد صاحبة البيت الى السطوح وتفرّق كوم القمح المسلوق وتفرشها على السطح كله . وتثابر على تحريكه كل يوم في الصباح والظهر وعنـد العصر ، فيتقلب ، وتجعله خطوطاً . ويسمون هذا العمل « تثوير »

تقشير البرغل

وبعد خمسة ايام او ستة ، يصعدون الماء الى السطوح صباحاً ويتركونه في الشمس الى الظهر فيسخن . ويجمعون القمح المسلوق في اطباق ثم يصبُّون الماء فوقه . وتجعل النساء تفركه بأيديها حتى يتبلل وتنفصل قشوره عن لبه . ويعدن فيفرشنه عـلى

السطح ثانيةً ويتركنه يومين او ثلاثة ايام . ويسمون هذا العمل « تنميشاً »، وهو يساعد على ازالة القشرة الرقيقة عن البرغل . وبعد ما يجف جيداً ينزلنه الى البيت من « روزنة » اي كوّة في السقف معدّة لهذه الغاية

جرش البرغل

وفي اليوم التالي تذهب المرأة او ترسل احدى بناتها تدعو النساء والصبايا الى الجرش . وتكون قد اعدت من ثلاثة الى خمسة « جواريش » في غرفة كبيرة الى جانب البرغل . فتضع تحت كل « جاروشة » قطعة من القماش او الجلد تقي بها الارض من الوحى، وبقربها طبقاً من نحاس مملوءاً قمحاً مسلوقاً . فما يأتي اول الليل حتى تتوارد النساء والبنات والشبان قائلين : « عالبركه جرشكم . يجزي العين ثلاثاً » فيجيبهم اهل البيت ببشاشة : « اهلا وسهلا . النوبه حلت البركه »، مادّين صوتهم في لفظة « البركه »، « تفضلوا، تفضلوا ». فيجلس كل ثلاثة اشخاص حول « جاروشة » : اما شاب وفتاتان، او فتاة وشابّان . وقل ان يوجد حول الجاروشة ثلاثة من جنس واحد، ما لم يكن الشبان من حي بعيد عن الحي الذي يصير فيه الجرش . فيقعد الواحد منهم ويطوي رجله اليسرى ويمد رجله اليمنى، او بالعكس، فيحتضن الجاروشة، وكذلك الآخران، فتصبح الجاروشة بينهم وهم حولها كالسوار حول المعصم . ويقبضون على رائدها ويديرونها ويناط امر القاء القمح السالم في حلقومها بمن هو قريب الى الطبق ويُحسن العمل . ويأخذ الثلاثة يديرونها ويغنون الاغاني المطربة، كالموليا والدلعونا والعتابا وهيكالو ، وما يكون جديداً ورائجاً من الاغاني . ومعظمها تغزل وعتاب ومدح ووصف وحماس وفخر الخ . وكل من الحضور يغني على ليلاه

وهكذا يبقى كل ثلاثة حول « جاروشتهم » يغنون ويتحدثون ويتغازلون ويتداعبون، وباقي الشباب والصبايا جالسون في ناحية من الغرفة ينتظرون فراغ جاروشة لكي يستولوا عليها فيجرشوا كما جرش غيرهم، ثم يذهبوا الى جرش ثانٍ وثالث ورابع، قياماً بالواجب او تسليةً، لان الجرش سلفة ووفاء . على ان الفتاة لا تأتي الى جرش لم يدعُها اهله اليه، خلافاً للشاب فانه مباح له ان يدخل الى اي جرش كان . وفي اغلب الاحيان يتسابق الجارشون الى افراغ طبقهم « وطبه » على

رؤوس غيرهم من الجارشين المقصرين

اما النساء فيأخذن البرغل المجروش من حول الجواريش ويغربلنه بغربال مخصوص في زاوية من زوايا الغرفة، ويعدن الحبوب السالمة التي لم تجرش بعد الى أطباق الجارشين ويسمون هذه الحبوب المرتجعة « سرادة »

ومتى انتهى جرش كل ما عندهم من البرغل يأتون بالعنب والتين والبطيخ والجبن مع الخبز الى الذين ثبتوا في العمل الى الآخر، فيأكلون ويذهب كل الى بيته . ما عدا بعض الشبان الذين يذهبون الى بيت آخر لا يزال اهله يجرشون . وكثير منهم كانوا يبقون في الجرش الى ساعة متأخرة من الليل . وبعدما يأكلون « السهرية » يذهبون الى دورهم ويستصحبون حالا دوابهم، فيمضون الى الحقل ويبذرون الحنطة او الشعير ويردّون عليها التراب ويسمون هذا العمل « رداد »، ثم يرجعون قبل الظهر الى بيوتهم فيتغدون وينامون الى ما بعد العصر . ثم يفتقدون دوابهم وعدة فلاحتهم فيصلحون ما يلزم اصلاحه ويذهبون مساء الى طريق « الملايات »

« وطريق الملايات » هذا هو طريق اللواتي يملأن الماء من الصبايا او اللواتي يردن الماء مساء . فكنت ترى على هذا الطريق الصبايا حاملات جرارهن على رؤوسهن يتبخترن في مشيتهن ويفتخرن بقوامهن وجمالهن دون ان يمسكن الجرة بأيديهن . ولكل منهن خدن يبادلها

طريق الملايات

النظرات والاحاديث البريئة . وعند المساء يرجع الشاب الى بيته، فيطعم دوابه ويتعشى هو ايضا ويسرع الى البيت الذي يكون فيه الجرش

ويحكى عن احد الشبان انه صعد يوماً الى سطح عال فرأى اغلب سطوح بلدته مغطاة بالبرغل الغير المجروش . فقال في نفسه مغتبطاً « نيالنا نحن الشباب »، اي هنيئاً لنا، لاننا سنجرش كل هذا البرغل

واذكر على سبيل التفكهة ما كان يفعل الشاب الذي لم يرقه الجرش على احد الجواريش لسبب ما، وقد تقيد به في بادئ الامر . فقد كان يأخذ يرفع الجاروشة العليا برائدها عن رفيقتها، وهي دائرة، فيسقط البرغل صحيحاً غير مجروش، فيقصر الوقت بهذا العمل وينتهي الطبق سريعاً قبل اوانه . فيذهب الشاب الى فرقة اخرى او الى بيت آخر حيث يجد الاشخاص الذين تلذ له معاشرتهم بالاكثر، بعدما ينفض ما علق بثيابه وسراويله من جراشة البرغل وطحين السميد

اغاني الجرش

اغاني « دلعونا »

اللازمة

الله وامان الله يا دلعونا	ربي ظلمكم يا لظلمتونا

ويعيدونها بعد الادوار التالية :

قومي يا بنيّه والمسا اغرب	ياأم السوالف يا جناح غراب
غزلان وردت عالقنا تشرب	وين النشامى اللي يصيدونه
بنيّه يا بنيه وين ها لقعدي	مضت ليالي وحلت الوعدي
حطي السواره بالرهن عندي	لما الثويب اللي تلبسينه
قالت والله ما برهن ثوبي	وحياة ابي ما طوّل الغيبي
تحلف بابوها بنت الكلبي	صاير مقام الناس يزورونه
جتني تخطِّم هيا ما هيا	حطت بقلبي اتنعشر ردنيه
قلبي يحبك يا لتدمريه	بجدر العرين ومفرق سنونه
جتني تخطّم من عالسطوح	شبه الثريا بالسما تلوح

قلبي يحبــك يا بعد روحي ويا مُنى قلبي ويا نور عيونا
جتني تخطِّم من ورا الباكِ بنيَّه ظفيره تحب العــلاكِ
قومي يا بنيــه انا واياكِ خلي البرغل لاهله يجرشونه
جتني تخطِّم من ورا الصندوق بيضه غرورة والصدر مدقوق
دخلك يا حبي عــليَّ تمرق وارمي علامه غصن زيتونا
جتني تخطِّم من ورا الرابي كوت ضميري كي العطَّابي
يُمه يا يُمه لفون حبــابي لفى عشيري تعـوا هنونا
بنيه يا بنيــه لمن حبيتي لَبو الحطاطه وشروال الزيتي
ندراً عــليَّ أنْ جيتي لبيتي لَدْبحلك كبش باربع قرونا
جتني تخطِّم من قفا بيتــا بدمع عيــني الفرش بلّيتا
هيَّ حبتني وانا حبيتــا طقوا يا لعــدا يا لتبغضونا
مرَّت عــليَّ تقلّي دخيلك بنيه ظفيره وماني من جيلك
واصبر عليَّ حتى احكيلك على اللي جرالي مبارح واليوما
جتني تخطِّم والاسم ديبــه والكحل بعينَه يحضي عجيبه
وان كان يا بنيه دارك قريبه لانصب ما بيني وبينك تيلفونا

اغاني « موليَّا »

اللازمة

هيهات يا بو زلف عيــني يا موليَّا يشرب حصانك هنا ولو عكر الميَّا

ويعيدونها بعد الادوار التالية :

من يوم شال الظعن فارقت ابو جديله والحيل مني انقطع والثوب ما شيلــه
لعلّك يا قلب بالفــين تعليلــه حــتى يغيب القمر وتشع الثريا
من يوم شال الظعن اكلي وشربي نَوح هليت دمع ودمــا شالت سفينة نوح

دخيلكم يا خلق كادت تروح الروح وانـدهوا حبوبتي تقعـد حواليَّا
لروح بيت العرب واقعد حـدا اطنابه واقول بيت العرب يهـدم على صحابه
والياخـدك ريتي بالسيف قصابـه وادعي دمومه نهر تجري كما الميَّـه
ولف الرماني بالمحبـه وهو خـالي ظنيت حالي ملكته صبحت عالخالي
دشرت كل الخلق وهويت ابو الخالِ وقنعت بشوف النظر بس التفت ليَّا
يا دار يوم الرحيل مـا ودعوني ليش لبكي واهل الدمع وبطرف ردني مش
دورت شرقي النزل غربي النزل ما مش ابو جعود اربعـه من عيْنـه ليَّا
لروح للمصبغـه واصبغ انا ثوبي واقول يا مصبغـه عافراق محبوبي
يحرم عـليَّ الفرح والدق بالنوبه وما دام حي عزب وبطل انا بنيَّـه
مكتوب منكم لفى عالعين والراسِ يا خوي درب الجهـل لقلوبنا مآسي
دنياك مثل الدرج ناسْ تعـلى ناسِ ومصيبتك يا ولد قبلـك جرت بيَّ
مكتوب منكم لفى يا خوي نقرابه من دمع عيني لملِّي جـواد وقرابِ
باكر يفيض النهر بالك تجي قرابـه خايف عليكْ تغرق وتروح بالميَّـه
مطعون يا اهل الهوى باول هبوب الصيف منلي دراعه يا ولّو قول شمط السيف
وان كنت راعي هوى ومدوّنْ الكيف اركيلته عالقه ومن ايدهـا هيَّ
واثنين جني قرن لاحن ورا الصيباط يمشن ثبات بعقـل وبمرتبة ظبَّاط
كنهن سلايل بدو مسعد يا هالرباط وضحه كحيلة مهى وساره لحيفيـة
سهم النفذ بالقلب ما ظن احد يشفيه الا حبيب القلب هـذاك يعرف فيه
مالي رجا يا خلق وانا رجاي فيـه هذاك يشفي جروحاً حطهـا بيَّ
ايوب لما ابتـلي واحـد وانا التاني ويعقوب لمن حزن من بعض احزاني
تشعيل نار الخليـل منْ بعض نيراني ومشَّيت نوح النبي بـدموع عينيَّ
سهم النفذ بالقلب من لحظ ولفـاتي وايش ينفع كثر الندم بعد الذي فاتِ
دخيلكم يا خلق لا تطمروا رفاتي قبل ان تجي ريتي وتنـدب حواليَّ

صنع البرغل

سهم النفــذ بالقلب من حيناً مرّت ومن آنها يــا خلق بيَّ الحيا مرّتْ
ضاق الفضا بالنظر والارض بي مارت وصبحت دون الخلق مجنون ويــليَّ

مرضان بحبكم وانتم خبر مـــا من وانا الذي من ظَغر في دينكم ما من
يا هيه يا هل الفضل دخيلكم ما من يتوسطن بيننــا بلكي تجي ليَّ

مرضـــان بحبكم وانتم بليتوني والنـــار بضامري اشبـــه بالايتوني
يا هيه يا اهل الفضل من فضلكم توني منها نجـــبر يشفني من علــةٍ بيَّ

فرق البرغل

في اليوم التالي للجرش تقوم النساء لفرق البرغل وتنويعــه اشكالاً . فيجلبنَ الغرابيل المتنوعــة اللازمة، وتستلم كلٌّ من المدعوات غربالاً . فتغرف الاولى من كومة البرغل بغربالها الناعم وتهزه، فينزل منه على الارض طحين البرغل المسمى في اصطلاحهم « طحين سميذ » . وهم يستعملونه عادةً « اوانة » اي دقيقاً يذرّونه على الخوان المختص بالعجين لئلا يلصق به ، او يطعمون منه دجاجهم، وقد يلتّونه بشيء من الدبس ويتحفون به اولادهم . ويسمون هذه الاكلة « بسيسة »

وتعطي المرأة ما بقي في غربالها لرفيقتها، فتهزه هذه فينزل منه مــا يسمونه « العُيَيْشَة » . وهذه تطعم للدجاج ايضاً، او يقايضون بها على عنب المعرَّة عندما ينفد العنب عندهم

وتعطي الثانية ما بقي في غربالها لرفيقتها الثالثة، فتهزه هذه ايضاً فينزل منــه ما يسمونه « ابو آمنة » . وهــذا يُخلط بشيء من الدقيق وحبوب القنّب والبصل وحبوب الرمان الحامض ويُخبز خبزًا لذيذاً يؤكل غالباً بدبس، ويعــده الصبيات طعاماً فاخرًا لانهم قلّما يصنعون منه

وتعطي الثالثة ما فضل عندها لرفيقتها الرابعة، فتهزه هذه فينزل منه ما يسمونه « الصرصورة »، وهي تستعمل حساء لذيذًا كما اشرنا قبلاً

وتعطي ما بقي لرفيقتها الخامسة فتهزه، فينزل منه ما يسمونه البرغل « الرفيع » الذي يستعمل لصنع الكبة الشرقية

وتعطي هذه لرفيقتها السادسة الباقي فتهزه، فينزل منه «البرغل الدوري» الذي يُطبخ بسمن او بلحم، وهو المعوَّل عليه في مآكل الفلاحين كما اشرنا سابقاً. ويبقى في غربالها البرغل «الغليظ» ومنه تُطبخ «المجدرة» الشهيرة بين المآكل الشرقية

فيأخذن كل نوع من البرغل على حدة الى محل يهب فيه الهواء جيداً ويرفعنه في وعاء بايديهنَّ وهن واقفات، ثم يفرغنه في الهواء قليلًا قليلًا، فيتساقط البرغل على الارض فوق بساط مفروش لذلك، ويقذف الهواء القشرة الرقيقة الى مكان بعيد. وكلما فرغن من «نسف» نوعٍ يضعنه في خليته او «كوارته»

السطاح

كان الناس في القلمون يجرون في اعمالهم الزراعية على الحساب الشرقي اليولي كسائر أَهل البلاد، ولا يزالون كذلك حتى الآن. فلا يقصون شعور مواشيهم ولا يجزون صوف اغنامهم قبل حلول عيد الخضر اي القديس جاورجيوس (٢٣ نيسان ش و٦ ايار غ). ولا يقطفون ثمار كرومهم قبل حلول عيد رفع الصليب (١٤ ايلول ش و٢٧ ايلول غ). وبما ان بلدة النبك كانت تُصاب بالصقيع في معظم السنين، فلا يكاد يأتي اليوم العشرون من ايلول على الحساب الغربي حتى كان اهالي البلدة يهبّون كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، الى الكروم، لاقتطاف عنبهم، نضج ام لم ينضج، ليسطحوه زبيباً. فيقومون باكراً ويحمّلون دوابهم ماء القلي المغلي، واطباقاً من النحاس، وطناجر ومقالي وملاعق، وخبزاً وجبناً وبصلًا وسمناً وبرغلًا، وقففاً وصناديق من الخشب وغير ذلك، ويذهبون الى كرومهم. ويشرعون في قطف العنب بعناية واهتمام، محترسين الا ينتثر من العناقيد حبوباً على الارض. لان الذي يترك وراءه من حبّ العنب لا يسلم من التعنيف. ثم يجمعون ما يقطفونه كوماً بجانب الجفان، ويستمرون في القطاف حتى الظهيرة اذ يشتد الحر فيحملون اكوام العنب الى حيث اقاموا طستاً كبيراً ملأوه من ماء القلي الذي مُزج بقليل من زيت الزيتون حتى صار ابيض كاللبن. فيجلس وراء الطست شخص يغطس العنب تغطيساً

كاملا في هذا الماء ويلبد كل ورقة من اوراق الكرمة الظاهرة من خلال العنب لانها تمتص الزيت . ثم ينتشل العناقيد بعود ذي شعبتين خوفاً على يديه من ماء القلي الكاوي . ويبعث به الى شخص آخر فيرصفه هذا على ارض محصبة قد مهدت لهذه الغاية . فيصفون عنقوداً الى جانب الآخر حتى يتم سطح العنب المقطوف ويتركونه معروضاً لاشعة الشمس[1]



بعد السطاح

واذا كان كرمهم صغيراً فيقطفون ثمره وينقلونها الى كرم اكبر منه ويسطحونها هناك . وكلما انتهوا من كرم تحولوا الى غيره ، والا اكملوه في اليوم الثاني او الثالث . وقد يظل بعضهم عشرة ايام وخمسة عشر يوماً مشغولاً بسطح كرومه . ويطبخون كل يوم في الكروم . وقد يدعو بعضهم اقرباءهم واصحابهم لتناول العشاء معهم هناك

ويقضون هذه الايام في الافراح واجتماعات اللهو والسرور . وقد ترى البلدة

---

(١) ويقطفون ايضاً العنب النامي في اعالي الجفنات ويتركونه حوطاً معرضاً للشمس برهة ، ثم يأخذونه الى بيوتهم ويحفظونه مغطى بالورق بعيداً عن تأثير الهواء والنور بقدر الامكان ، ليتمتعوا بأكله في الشتاء . ويختارون ايضاً ضمة اغصان يكون في كل منها ثلاثة او اربعة عناقيد جيدة فيقطعونها من طرفها الثاني لصاب ويعلقونها بعناقيدها بالسقف او « بالرف » الذي يصفّون عليه الصحون والصواني النحاسية الزائدة عنهم ضمن الغرفة المفروشة ويحفظونها هكذا حتى آخر الشتاء

خاوية خالية، الا من الشيوخ والعواجز الذين لا يقدرون على الذهاب الى الكروم. وترى الكروم غاصة بالاهالي . وكثير منهم كانوا ينقسمون قسمين : قسمٌ يظل في القطاف والسطاح، وقسم يذهب الى جمع ما سُطح قبلاً . وتراهم يتسابقون في ذلك جد المسابقة، كانهم ينهبون العنب نهباً، خوفاً عليه من الصقيع الذي كثيراً ما يقع حول عيد الصليب فيفسد العنب ويضيع موسم الفلاح منه

التدبيس

بعد « لَمّ » الزبيب بشهر، عندما يجف جيداً، بحسب المثل السائر عند الفلاحين: « يبَسْ ودَبْسْ »، يختارون منه كل حبة سمينة وتامة النضج ويجمعون منها ما بين العشرين والخمسين رطلاً لمؤونتهم الشتوية . ثم يأخذون ما تبقى لديهم الى المعصرة « ليمعسوه » بواسطة « المدار » . وهو حجر ضخم يدور حول محور، يديره بغل يشد الى خشبة متصلة بالحجر المذكور، فيسحق ما تحته من الزبيب المنثور بينه قليل من الحوَّارى التي يطيّنون بها جدران بيوتهم، لاعتقادهم ان هذا التراب يذهب بما في الزبيب من الحموضة . ويجعلون من الزبيب المسحوق هكذا « كومة » اي كتلة كبيرة يحفظونها في زاوية من المعصرة ويكتبون عليها باصبعهم اسم صاحبها . وبعد مضيّ شهرين، يكون صاحب « الكومة » قد استحضر من البرية الشيح الضروري . فيغتنم شهر كانون المشهور عندهم بان ماءه يحلل كلَّ ما في « الدريس » اي الزبيب المسحوق من حلاوة، ويبدأ بعملية التدبيس كما يأتي :

يذهب الرجل الى المعصرة صباحاً . ويجعل يفتّ من تلك الكومة بالقدوم قطعاً صغيرة . وتجد في المعصرة احواضاً صغيرة يتألف كل منها من ثلاثة قدور خزفية بشكل نصف كرة مثبتة على بناء مرتفع مجوَّف ومثقوبة في سفلها، ومرتبة الواحدة بازاء الاخرى . وفي اسفل البناء، وتحت كل قدر قدرٌ اخرى تماثلها مثبتة في الارض ايضاً لكنها غير مثقوبة، وبينها وبين الاولى نحو نصف متر، ليجمع فيها « الجلاب » اي شراب الزبيب . فيأتي صاحب الدبس بقطع من فتيت الزبيب، ويضعه في القدر العليا بعد ما يسد الثقب . ويضع في اسفله قطعة من الشيح يسمونها

« عرنة » تثقل بحجر ويصب فوق الفتيت ماء قراحاً حتى تمتلئ القدر ويمضي . ثم يأتي صباح اليوم الثاني ويفتح « صمام » اي ثقب القدر الاولى ليجري ماؤها الى القدر السفلى . ويضع من الفتيت الجديد في القدر الثانية . ثم يأخذ « الجلاب » الذي نزل من الاولى ويصبه في القدر الثانية . ويسد « صمام » الاولى ويسكب فوق فتيته ماء جديداً ويتركه الى اليوم الثالث . فيفتح فيه صمام القدرين معاً، ويضع في القدر الثالثة فتيتاً جديداً، ناقلاً « جلاب » القدر الثانيـة الى الثالثة وشراب الاولى الى الثانية . ثم يصب ماء قراحاً على فتيت الاولى . وفي اليوم الرابع يفتح الثلاثة معاً . وياخذ « جلاب » القدر الثالثة الى الخلقين للطبخ، بعد ان علقت به حلاوة « فتائت » القدور الثلاثة

ويكل امر الوقيد تحت الخلقين الى شخص آخر من عيلته ويعود هو فيفعل كما فعل قبلاً . ويرفع من القدر الاولى الذي نفدت حلاوته او كادت ويلقيـه خارجاً فوق « الجزّينة » اي النفاية . ويكون الدبّاس قد شرع يضرب « الجلاب » الذي في الخلقين بمسواط من خشب . ويدوم على ذلك نحو ساعة حتى ينضج جيداً . فينقله حينئذٍ بقادوس الى طناجر معدة له، فتنقله النساء على رؤوسهن الى الدار . وهذه الطبخة الاولى تدعى عندهم « حلوية » .وقد يبقى قليل من الدبس في الخلقين، باشارة من صاحبه . فيذكي النار تحته ويحرّكه بالمسواط حتى يصبح شديداً . ويصب عليه « جلاباً » بارداً فيجمد ويقسو . وهو ما يسمونه « الشَبَرْبَقه » . وبعد ما يعرض صاحب الدبس من هذا الدبس الجامد على الشيوخ الجالسين حول النار يتدفأون، يأخذ ما بقي لاولاده الصغار كهدية التدبيس، فيفرحون بها كثيراً . وهكذا دواليك الى ان يأتي على آخر ما سُحق من الزبيب . حينئذٍ يقول الفلاح : « نيَّال من زرع العفير ودبّس ، وجلب من حطب الجرد وكردس، وخطب ابنـه وعرّس » .

ويظل الشيوخ والعاجزون جالسين حول النار « يسولفون » اي يتسامرون، وكل منهم يقص على الحضور قصة سالفة يثبتها ويبرهن عليها بتواريخ واهيـة مثل سنة « طوشة النصارى » او « الطوشة » او سنة التلجة الكبيرة او سنة الجراد او سنة الغلاء او سنة الوباء او سنة « نغده »، وهو محل وقع فيه قتال بـين الحكومة والاهالي، الى ما هنالك من تواريخ وقصص وهمية واهية، حتى اذان الظهر فينصرفون

الخطبة والزواج

عبارات المجاملة والتحويطات في الاحاديث

من عادات سكان هذه البلاد المجاملة، كمعظم اهل الشرق، بعبارات لها صيغتها الخاصة وطابعها الخاص يتبادلونها في افراحهم واحزانهم وفي جميع اطوار حياتهم

فاذا التقى اثنان يتبادلان التحية باسمين . ثم يسأل كل منهما الآخر بادب ولطف واخلاص عن صحته واشغاله واولاده وآله، مكثراً من الادعية والتمنيات ليحفظ له الله صحته ويطيل ايامه ويمد باجله حتى يفرح بزواج اولاده . ويبالغ في ذلك النساء اللاتي يرفعن اكف الضراعة الى الله ليقي الابناء اذى العين الشريرة

ويعتبرون فرضاً محتوماً على كل انسان، عندما يقابل احداً في الطريق او يدخل عليه وهو في عمله البيتي او الخارجي، ان يبادره بقوله : « يخزي العين . ما شاء الله . حوَّطتك بالله من عيني وعين خلق الله » او بملائكته او انبيائه ورسله واوليائه، وبسورة يس، وبسم الله، وبسم المسيح وبسم الصليب، والعذراء مريم، او مار مطانيوس، او الخضر الاخضر » يعني مار جرجس . ويكثرون من هذه التحويطات خيفة من العين الشريرة واذاها . وكانوا يعزون كل مرض او وعكة خفيفة او ثقيلة تعتري الشبان او الصبايا والاولاد الصغار او ما عندهم من المواشي حتى الاشجار، الى عيون الناس، حتى الى عيونهم انفسهم . فيقولون للولد الصغير : « حوطتك بالله من عين امك وابوك » . ويتخذون الوسائط اللازمة، مثل سرقة قطعة من البسة من يشكون فيه انه دخل عليهم او وقع نظره على احد اولادهم او احدى دوابهم، فيبخرون المصاب بدخان تلك القطعة فيشفى . ويلبسون من يخافون عليه من العين الشريرة بعض اشياء : كالخرزة الزرقاء، والشبَّة، وقطعة صغيرة من شجر الميس، وجوزة صغيرة، وناب الذئب، وقرون الحية، وعقصة، وما شابه ذلك، لكي يردوا عنه العين المؤذية

وللنساء في احاديثهنَّ جمَل وعبارات مألوفة بينهنَّ يعرنها اهمية كبيرة فمن

اهمل شيئاً منها أتى ذنباً لا يُغتفر. فعلى الواحدة اذا لفظت في اثناء حديثها كلمة « البيض » مثلاً، ان تشفعها حالاً بقولها « ما تشوفي الغيض » . او اذا ذكرت « الدق » او الهم او الغم او الكي، ان تشفعها بمثل هذه الاقوال : « ما تندقي »، « وما تنهمي »، و « ما تنغمي » و « ما ينكوي لك قلب على غالي » وكذلك في الكلام عن الارز : « ما تشوفي الرزية ». وكذلك قولهنَّ « بلا قافية »، و « بلا معنى »، و « بلا مؤاخذة » و « بلا ظفره » . وقولهنَّ : « من غير شر » و « بعيد عنك » و « تكرم عن طاريه » و « اجلَّك الله » و « حاشى نعمتك » و « ما ينذكر معه » و « ياخذ عمره » و « كش برّه سبع طرق » و « الله لا يقدر » و « الله لا يسمح » . وغير ذلك من العبارات والاصطلاحات، وكلها تدور حول الصحة والرزق وان تكون ديارهم زاهرة بالافراح والمسرات

مقدمات الخطبة والزواج

ولا تكون هذه الافراح الا بتخطيب الاولاد وزواجهم، وعلى الخصوص الذكور منهم، ولاسيما اذا لم يكن في الاسرة غير صبي وحيد. فيصبح امر الاسراع « بفرحته » اي بزواجه واجباً على والديه، وان لم يزل بعد صغيراً لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره . فيصبح هم الوالدين الوحيد، وهم اقربائه واصحابه ومعارفه، زواجه بأسرع ما يمكن حتى يأتي والديه بكنة تساعدهما في البيت . فلا يراه احد الا يحثه على الاسراع في الزواج بينما والداه في قيد الحياة، لكي يتم لهما الفرح والغبطة والسعادة والحبور، لان امنية الوالدين في هذه الحياة انما هي ترويج اولادهما

وبديهي ان تتنبه عواطف الصبي المراهق وتستيقظ افكاره لدى هذا الحث المتواصل والترغيب الملحّ الذي لا يفتأ له سامعاً اينما ذهب وحيثما حل، فيصبح ولا شغل يشغله سوى سعيه لانتخاب فتاة تشاطره اعباء الحياة، ويضحي وقد وقعت من نفسه فتاة، ويغدو وقد اقلع عنها الى غيرها، ويمسي وقد هفا قلبه الى سواهما. ويقول في نفسه : هذه ضالتي المنشودة، وهذه « فرحتي » المقصودة . ولا يزال على هذه الحال، يتعرض لهذه ويتصدى لتلك ويتودَّد الى اخرى، ولا يدع « سانحة » ولا « بارحة » تمر بدون ان يستفيد منها ولو بمداعبة او بنظرة. فاذا صادفهن في الطريق، واردات الماء او صادرات عنه، حاملات جرارهنَّ على رؤوسهن، يخطرن في مشيتهنَّ

ويتباهين بدلالهن ومهارتهن في حفظ توازن الجرار على الرأس بدون ان يستعنَّ لذلك بايديهن، وجد لنفسه مسوّغاً للتصدي اليهن . فيطلب ان يرافقهنَّ رغبة في قضاء برهة يتحدث فيها اليهنَّ . ولا يفوته مثل هذا الطلب عندما تكون الفتيات في البساتين والكروم، يقمنَ ببعض الاعمال . فيأتي اليهنَّ الشاب ويؤازرهن ويبذل لهنَّ المساعدة مخففاً عنهنَّ العناء، غير طالب اجراً عن ذلك سوى رضى اولئك الحسان ومودتهنَّ، متجنباً ان تُمس عواطفهن، حريصاً على ان يكون سلوكه بازائهنَّ شريفاً ليس فيه امتهان له او لهنَّ . ولا يمنعه هذا الحرص ان يسرح ويمرح معهنَّ ضمن دائرة الادب ويبادلهنَّ اثناء المداعبات البريئة بعض عبارات التصبب والوداد

واذا دعا داعي الفرح تراه يهب مسرعاً، اذ يتسنى له في مثل هذه الظروف ان يتقرب الى عروس محبته . فيتبادلان هناك خلسةً النظرات والابتسامات ويتجاذبان بعض اطراف الحديث اذا استطاعا ان يبتعدا عن انظار الوشاة الفضوليين . ولا يزالان بين اخذ وعطاء حتى تتوثق بينهما اواصر الود والألفة، ويتم التفاهم بين روحين وجدت احداهما في الاخرى وحدةً في النزعة والميول . ولا يزال الاتفاق ينمو ويكبر حتى تظهر النفسان المتحابتان للعيان، وتمتزجا لتقدما قرابين الحب، وتحرقا بخور الاخلاص، وتبرما عهوداً قاطعة بحفظ الامانة والمودّة، والسهر عليها وديعة ثمينة يحوّطانها بجميع اصناف العناية، ويبذلان لها الاقسام بسخاء، لثقتهما بان هذه الاقسام سوف يسعيان الى تحقيقها

فتى تألبت الجموع في الافراح، وأرفّت عليها ملائكة المسرات، ولعبت بالرؤوس خمرتها، وانصرف كلٌ يبحث عن سلوى يجلو بها همه، فراح البعض يرقصون، والبعض يضربون الدف ويمرحون، وآخرون يدبكون على صوت المزمار او الشبّابة، متكاتفين يدفع بعضهم بعضاً بالمناكب، يرقصون بخطى متزنة متواثبة بقوة وحياة ونشاط، حينئذٍ يصفو الجوّ للعزّاب وتشترك الفتيات في هذه الدبكة . فتأخذ كل واحدة منهن يد اخيها او قريبها او خطيبها او من ترى فيه عريس احلامها . وعندما يتماسك الشبان والشابات بالايدي، ويرقصون ويقفزون متلاصقةً اكتافهم يتبادل المتحابّون المداعبات البريئة وعبارات التودد خلسة وهم في مأمن من الوشاة

وقد ذكرنا غير هذه المواسم لتوطيد العلائق بين المتحابّين، كسلق البرغل وجرشه . لان الناس كانوا في تلك الايام يعيشون في نوع من الاشتراكية الممدوحة . فلا يقع

حادث في احد البيوت بدون ان يتوافد اليه الجيران والاصدقاء، فيساعدوا اهل البيت في قضاء حاجاتهم . فيجتمع هناك عدد من شبان البلدة وشاباتها، الامر الذي يزيد في شغف المتحابين ولا يلبث ان يتسرب الى ذويهم خبر تلك المودّة المتوثقة

واكثر ما تبدو هذه الاشارات على الفتى المراهق، لحداثة عهده في الحب وجهله حسن التصرف فيه . فتلاحظ عليه ذلك امه، واذا هو لم يفاتحها به بادرته بالاستفهام عن حالة قلبه وشجعته ليمضي في هذا السبيل . ولا يكاد يلمس من والدته هذا الرضى وهذا التشجيع حتى يندفع الى مذاكرتها بما جرى له . فتحمله الى والده فرحة طروبة، وتزف اليه بشرى تحمل الى قلبه الغبطة فيصفق لها ويهلل، ويهم بالاشتراك مع زوجته في انتخاب عروس لولده، مستعيناً على ذلك باقربائه واخصائه واصحابه، الى ان يتفقوا جميعاً ويقر رأيهم على فتاة يرون فيها الكفاية والاهلية لان تشارك ولدهم في حياته وتساعدهم على القيام بمهام البيت واشغاله

فيجعل العريس منذئذٍ يختلف مع والدته الى بيت الفتاة، ليدرس اخلاقها ويقف على صفاتها ويتحقق حسن صحتها ويختبر نشاطها واهتمامها ببيتها وطريقة « حوستها » اي ادارتها فيه، لان لهذا الامر اهمية كبرى، لاسيما وان اهل بيت حميها يرون فيها عوناً لهم على تطيين البيوت والسطوح ودهنها بالحوارى ودق الكبّة ولفّ اليبرق وصنع الخبز، الى ما هنالك من الاشغال البيتية والزراعية ايضاً، كالحصاد والقطاف والسطاح وفرك الكشك وسلق البرغل الخ . . . فتساعد تلك الزيارات على توثيق الصلات ورفع الكلفة بين الاسرتين . فتندفع النساء في المجاملات الى ابعد حد، وينتشر الخبر بين الناس، ويصبح حديثهم اليومي

ويدعو ابو الفتاة اخوته من جهته ويبسط لهم الامر، متمماً بذلك واجباً مقدساً يتحتم عليه قضاؤه مع آله وانسبائه . وكأنه بذلك يطلب اليهم السماح بأن تُزفّ ابنته الى من يطلب يدها . وهو يحسب استشارته هذه حقًّا لاخوته وابناء عمه، فقد يكون بينهم من يرغب في الاقتران بابنته اذ له فيها الحق الاول . فليس على ابيها والحالة هذه الا الاذعان لهذه الرغبة والنزول عندها . فيحمل ابنته على قبول الزواج بابن عمها، رغبت فيه ام لم ترغب، ما لم يرضَ ابن عمها بأن تكون اخت الطالب او ابنة عمه خطيبة له بدلاً من ابنة عمه، فتزف تلك اليه مرغمة راضخة لأمر والديها ولا يكون لها في اختيار رفيق حياتها اي نصيب . واذا كان ابناء

عم الفتاة المطلوبة غير قادرين على الخطبة في ذلك الحين او يتمنعون عنها لاحد الاسباب فيتنحون عن هذا الميدان برضى وانتظام لئلا يكونوا عثرة في سبيل ابنة عمهم فيعرقلوا مساعي والديها لإسعادها . فيقرّ رأي اهل الفتاة حينئذٍ على ان يعطوا ابنتهم لمن يطلبها . فيشيع في البلد بان فلاناً اعطى قولاً بابنته فلانة الى فلان ابن فلان

التمشية

بعد الاتفاق بين اهل الخطيبين على موعد معيّن وعلى عدد الرجال[1] الذين سيطلبون الفتاة للشاب، يستدعي ابو العريس اقرباءه الى بيته ويطلعهم على رغبته ويستشيرهم في الامر . فيعيّنون منهم وفداً مؤلفاً من شيوخهم المتقدمين في السن واصحاب المكانة في الاسرة، ويرسلون الى بيت اهل الفتاة « فيُمَشّون » عليها، اي يطلبون يدها رسمياً من اهلها . ويسمون هذه الليلة « ليلة لحس المقلى[2] »

فيذهب هذا الوفد الى بيت الفتاة ويطلبها من ابيها . فيعطيهم هذا قولاً، بشرط ان يذهبوا ويأخذوا قولاً من اعمامها واخوالها، جرياً على العادة المألوفة . فيقوم الوفد في اليوم التالي الى البيوت المشار اليها ويأخذون قولاً من اربابها بالرضى والقبول . وتقدم لهم « النقولات » من قضامة وزبيب وتين وجوز وغير ذلك من الفواكه علامة الرضى . ويودّعون حامدين شاكرين مثنين على حفاوة انسباء الفتاة وكرمهم وصدق طويتهم . ويقرر اهل المتحابين موعد الخطبة الرسمية

---

(١) يلاحظون في تحديد هذا العدد حالة اهل الفتاة وسعة دارهم وما لديهم من المحالّ . ولكثرة الرجال الطالبين يد الفتاة اهمية في اعين الناس

(٢) لا اعلم لماذا سُميت هذه الليلة بهذا الاسم، مع اني بذلت جهوداً كثيرة في البحث عن ذلك . والذي أظنه انهم كانوا قديماً يقدمون في تلك الليلة للخاطبين بيضاً مقلياً بالسمن فيأكلونه غامسين لقمتهم بالمقلى نفسه حتى يأتوا على آخره ويلحسوا المقلى ايضاً لطيب الاكلة . او انهم كانوا يشترطون على الخطيب بان يلحس المقلى وهي ساخنة محمية . فان اقبل على ذلك بجرأة راق في عيونهم وكان في نظرهم بطلاً شجاعاً . حتى اذا اقدم على العمل منعوه عن ذلك واعطوه قولاً رسمياً عن استحقاق منه وبكل رضى . وهذا امتحان لشجاعته وجرأته ومحبته للخطيبة، وهذه كان الشاب يفتخر بها قديماً كما يفتخر الشاب اليوم بعلمه واطفه

الخطبة والزواج

الخطبة

في اليوم المعين يدعو ابو العريس الرئيس الروحي والاقارب والاصحاب ومشايخ البلد واعيانها، الى تناول العشاء عنده والاحتفال بعقد خطبة ابنه الرسمية . فتتوافد الناس الى داره قبل الغروب زرافات زرافات، ويجلسون في ردهة من ردهاتها . وهي عادة غرفة كبيرة مفروشة بالسجاد والبسط ومرصوفة على جوانبها بالفرش والوسائد . وفي احدى زواياها موقد وفوقه مدخنة وعليها سراج من فخار ينار بزيت الخروع الذي كانوا يستخرجونه من اراضيهم . وفي كل حائط من حيطانها سراج مثله على « مسرجة » من خشب يستنيرون بضوئه، وكلما ضعف نوره اصلحوه بأن يفركوا الفتيلة باصابعهم ويرموا ما فسد منها . وكانوا يستعملون كتنبيه لاصلاح السراج هذه الكلمة المبتذلة « مخطوا هالسراج » . وفي الموقد نار وعليها اباريق القهوة والشاي الحلبي . فيصطلون متعاقبين افواجاً، يشربون القهوة ويدخنون التبغ والتنباك . وعندما يكمل عدد المدعوين تبسط السُفَط على الارض وتوضع عليها « مناسف » البرغل . فيجرون على ما ذكر في باب الولائم، متبعين آداب السفرة . فلجلوس الرجل حول السفرة اصطلاح، ولمسك الملعقة اصطلاح . ولا يجوز لايّ كان ان يخلّ بهذه الاصطلاحات، التي يقدسونها ويحافظون عليها كثيراً وينتقدون من يخالفها اشدّ الانتقاد جهاراً، بقولهم « هذا حرام وعيب » . وينسبون اليه الكفر والالحاد . واذا وجدوا شيئاً من فتات الخبز بالارض يسرعون الى التقاطه ويقبلونه ويرفعونه الى رأسهم ثلاث مرات ثم يأكلونه[1] . ويأخذون في تناول الطعام من الاطباق الكثيرة المشتركة فيما بينهم، بينما يقوم بخدمتهم اثنان او ثلاثة من اهل البيت وانسبائهم يقدمون لهم ما يحتاجون اليه من الماء ويحملون الى المائدة بدل ما قد نفد من اشكالها

وبعد العشاء يعودون الى ما كانوا عليه من شرب القهوة والشاي والدخان « بالاركيلة » و « السبيل » بحسب شهوة كل منهم . ثم يستأنفون حديثهم في مواضيع شتى حتى ينتهي بهم الكلام الى موضوع الخطبة . فيتقدم ابو العريس

(١) واني لا ازال اذكر معلمي وانا صغير، اذ كان يقطع الرغيف بسكينه ليأكله . فكنت مع رفقائي نستهجن عمله هذا كثيراً ونعده كفراً

ويعطي الرئيس الروحي غازياً او غازيين وشملة حريرية سوداء . ثم يذهبون جميعاً، رجالاً ونساء، الى بيت ابي العروس. فيخف اهلها وذووها لاستقبال الخاطبين بكل بشاشة وترحيب، ويحلونهم صدور مجالسهم، ويبالغون في الترحيب والاحتفاء بهم ويقدمون لهم القهوة والشاي . ويقدم اخو العريس او ابن عمه التبغ لمن « يشرب السبيل »، والتنباك لمن « يشرب الاركيلة » . وكان شاربو « الاركيلة » يجلسون بعضهم الى جانب بعض يشتركون في الشرب منها متعاقبين، اذ لم تكن « الاراكيل » وافرة في ذلك العهد، وكان كثير منهم يحملون « اراكيلهم » من بيوتهم ليتفردوا في استعمالها . فيدور الحديث على ما توحيه الظروف الحاضرة، ثم يتطرقون الى حالة الطقس وحالة المطر والمزروعات والمواشي، وينصرفون الى التحدث عن حادث مهم كالقتل اغتيالاً او اثناء غارة من قبل عرب البادية او حادث نهب او سلب[1]

ولا يزال المدعوون في مثل هذه الاحاديث حتى تحل الفرصة المناسبة. فيلتفت الرئيس الروحي الى ابي العروس وذويها ويلقي عليهم التحية المألوفة هكذا : « الله يمسيكم بالخير يا جماعة الخير. جئنا اليكم خاطبين راغبين ان ننتسب منكم . فلا تردونا خائبين . ونحن نطلب ابنتكم فلانة الى ولدنا فلان ابن فلان . عقبال الافراح عندكم جميعاً » . فيقول ابو العروس : « اهلاً وسهلاً بكم جميعاً على عدد ما مشيتو وجيتو . واذا لم تسعكم البيوت تسعكم القلوب . الا ان هذا الامر ليس بيدي، وهو منوط بعمها ابي فلان، وخالها ابي فلان، وجارنا ابي فلان، وصديقنا ابي فلان » . ويشير بيده قائلاً : « انهم هم اولو الامر والنهي » . فيجيبه الشيخ او الرئيس الروحي : « بارك الله فيك يا ابا فلان . عقبال فرحة اولادك » . ويلتفت الى من اشير اليهم من اقارب الخطيبة ويلقي عليهم التحية ويقول : « جئناكم خاطبين راغبين . عقبال الافراح عندكم جميع ». فيجيبونه :

---

(١) كان من دأب عرب الصفا واللجا وغيرهم غزو هذه المنطقة ونهب مواشيها، كما اشرنا سابقاً . فكانوا يقطعون الطرق ويتعرضون لسالكيها ويسلبونهم ويقتلون من يقاومهم . بل كانوا يندفعون في كثير من الاحيان الى اقتحام القرى المنفردة ونهب ما تصل اليه ايديهم منها . ما لم يكن لهم « خوّة » على البلد . و « الخوّة » هي اتخاذ بعض الاشخاص من ذوي النفوذ والمكانة بين عرب البادية اخاً للبلد ليمنع عنهم التعديات ويرجع اليهم المنهوب مقابل مبلغ من النقود وشيء من الملبوس كعباءة سعدونية وغيرها وكمية من البن سنوياً . فيأتي الاخ الى بيت الشيخ، وهذا يفرضها على اهالي البلد ويحصلها منهم ويسلمها الى الاخ المذكور سنوياً.

« وعندكم ان شاء الله . اهلاً وسهلاً . كلنا قدامكم وبين اياديكم وتحت امركم . » فيستدرك احد اعمامها ذلك ، ويقول مخاطباً اهل الخطيب : « ليس من مانع في ذلك ولكن ... (وهنا يأخذون في الفكاهة والمزاح) ... ولكن اخا الخطيبة وابن عمها مسافران، واخاها الصغير عسكري في بلاد اليمن، والاصغر منه وابن عمها الثاني مع الماشية في مشتاها، واخاها الكبير مسافر بجهات الموصل، ولا بد لنا من مشورتهم وسماع آرائهم . وانا نرى من المناسب ان تُرجأ الخطبة حتى يوم مجيئهم فنعرض عليهم ذلك، ونخبركم بما يقولون » . فيقترح احدهم على الحضور ارسال كتاب مع رسول الى اخوتها في سفرهم المزعوم، يسألون فيه عن رأيهم . ويعقب ذلك سكوت برهة قليلة . فيقول واحد من موكب العريس بهدوء وسكينة : « ايش عليه »، يعني بذلك : لا بأس، ارسلوا ساعياً لمن تشاؤون وشاوروا من تريدون فاننا نحن ههنا قاعدون . اننا قد فلحنا وزرعنا ودبّسنا ولم يعد اي شغل يشغلنا . « وايش عليه » لو ظلّينا عندكم نمضي آخر هالشتوية بضيافتكم ، نتسلى مع بعضنا بعض وننبسط من كرمكم ونقابل وجوهكم هالحلوه . راح نلاقي احسن منكم واحسن من بيتكم ؟ » فيجيبه واحد من ذوي العروس : « نحن لا نرى في بقائكم عندنا شيء يزعجنا . ونتمنى لو تبقون عندنا طيلة العمر . فاهلاً بكم وسهلاً . ولكننا لا نعطي ابنتنا لمن تطلبونها له، لانه لا يزال صغير السن لا قدرة له على الفلاحة والزراعة ولا يستطيع « القياض » بالمرّ، ولا في مقدوره اسقاء الكروم في ليالي الشتاء الباردة، وليس له الخبرة والمقدرة الكافية لكي يكون عوناً لبيت حميه على قضاء اشغالهم . فلا بأس علينا اذا اجلنا خطبته ريثما يشتد ساعده ويبلغ الشباب فنعطيه ابنتنا بكل طيبة خاطر ان شاء الله . ولِمَ هذه العجلة، فهي من الشيطان، ولا يزال الخطيب فتىً والخطيبة صبية »

وبعد الاخذ والرد واشتداد المحاورة والجدال والمزاح بينهم، وبعد ما يصل الخبر للعريس وهو في داره ان اهل العروس يمانعون في اجراء الخطبة الآن ويطلبون تأجيلها الى ان يأتي اخوها الكبير من سفره، فتضطرب افكاره ويحسب الف حساب اذ يبلغونه ذلك بطريقة جديّة، يتدخل الشيخ في الامر قائلاً : « الله يمسيكم بالخير يا جماعة . فليصلِّ كل على نبيه ويمسح وجهه بالرحمن . كل ما وضعتموه لنا من الشروط فعلى الله وعليَّ قضاؤها . وانا كفيل الغائبين بالرضى والقبول . واقطع

لكم على نفسي عهداً باقناعهم . اما مسألة صغر سن الخطيب فاني اضمن ايضاً بان سوف يعوّض عما يفوته من قضاء حاجات بيت حميه اضعافاً عندما يكبر . فما قولكم يا جماعة بهذا الحلّ ؟ » ويكون الرئيس الروحي قد اظهر لزوم ختام هذه الفكاهة وهـذا المزاح . فيقول ذوو العروس : « نحن قبلنا كفالة الشيخ واعطينا ابنتنا لطالبها ان كان الله اعطاه . اذ مـا هو الا ولد من اولادنا . واذا لم يكن لدينا عروس نزفها اليه فان من الواجب علينا ان نجـد له فتاة تليق به » . فيجيبهم الشيخ : « بارك الله فيكم ! فانتم جميعاً « قدّها واكبر » . قدّرنا الله على مكافاتكم »

فاذا كان اهل الفرح من المسلمين ارسل الإمام اثنين يسألان الخطيبة الى من تريد ان تكل امرها، ويعقد الخطبة او الكتاب حسب الشرع والعادة المألوفة . واذا كانوا من المسيحيين فيصطحب الكاهن اثنين من الحضور الى الغرفة التي جلست فيها الخطيبة واترابها . فيسألها امام الشاهدين هل تريد فلاناً خطيباً لها . فتجيبه بحياء وخجـل بالرضى والقبول، بإشارة لا تكاد ترى، كأن تهز رأسها او تومئ بعينيها دلالةً على رضاها . فيعود ويعقد الخطبة حسب العادة، بعد ما يعطي لابي الخطيبة الغازيين والشملة الحريرية « المقصبة » وينتهي الامر

ويقول المدعون لابي العريس : « جعله الله مباركاً . عقبال الفرحة الكبيرة »، اي الزواج . ولابي العروس : « عقبال فرحة اولادك » . وتزغرد النساء و « يروّد » الشبان . وتكون النساء قـد هيأن انواعاً من الضيافات ، فتمد السُمُط ويرصف عليها الارز واللبن والخبز وغير ذلك مما في البيت من الدبس والزيتون ، فيأكل المدعون . ثم يشربون القهوة ويعودون الى بيت العريس فرحين مرحين . فيلاقيهم الشبان بالتراويد، والنساء بالزغاريد والاهازيج . فيتفرق الشبان فرقاً كل اربعة او خمسة يهزجون ويروّدون هكذا :

كم راس قطعنـا	وكم جثـه رميناهـا
بالهـوج والمـوج	وضرب السيف خضناها
نحنـا ونحنـا	من سود اللحى نحنـا
نحنـا الصقـوره	ولو قُصَّت جوانحنـا

لا تركب الّا ثنيّه امـا رباعي اللحايف
مسكين راعي الرديّه قلبه من الموت خـايف

لآني مـن الهم مهموم ولآني باسرار بايـح
اضحك ولو كنت مغموم ولو كان فيَّ الجرايح

حمره من الخيـل يا هو وجلاهـا من قطيفـه
ركّابهـا فـلان يا هو يشبه الزنيتي خليفـه

لاها بلبس الطرابيش يا هو ولاهـا بدق القهاوي
هـذا رصاص مر يا هو يحتـار فيـه المداوي

بارودنا فجفج الدير يا هو صاحوا العـذارى عفاهم
صبيانا تفرج الهم يا هو جـابوا القلايع وراهم

يا نسر يا شايب الراس مالك عـلى الجوع قوّه
لو طلّت الخيل بالليـل عليـك باهـل المروّه

جـوز المليحـه نصب خيمه وعلاهـا
جـوز الشنيعـه هرب عـالشام وخلاها

عينيك يا ناقل العـود وحدك ولا لـك مشارك
والعمر لـه حد محدود دوس المنايـا وعارك

يا مـير ملحم ويـا شيخ الحاديـه
يا قبـة النصر فوق الشام مبنيـه

قلعـة بعلبـك بعون الله ملكناها
بالهـوج والمـوج وضرب السيف اخذناها

نحنـا العطـارف ومنزلنـا عـلى الطارف
مـا يـنزل الوسط الا النـذل والخايف

يا هر كله رحتوا مداعيس جتكم عواج الطواقي
خيالنـا بالف خيال يا هو والمـا يصـدق يلاقي

الخطبة

المهر مهري وانا بعرف طبايعه
والسيف سيفي على رقاب الرجاجيل

غيره

لا تاخذونا بكثرتكم وقلتنا كثير من الحب تطحنها الطواحين

وكذلك تزغرد النساء ويغنين هكذا :

أيها يا فرحة اللي الي عامين بنطرها أيها وسألت رب السما ان يكملها
أيها وتكملت يا علي يا ابن الكرام ايها وتكملت بعناية ربنا العالي

لولولو ليش (وتعاد هذه بعد كل من الادوار التالية)

ايها سروري سروري صبحت اليوم مسرور ايها لا ادري من الله لدري حلمت في نومي
〃 الحمد لله هالشهوه قضيناها 〃 والحمد لله اللي عشت لليوم

ايها اخوتي اثنين ويا عزي بالاثنين ايها واحد على الساقيه واحد على العيني
〃 نذراً علي وان جوزت الاثنين 〃 لدق طبل النور وارقص بكميني

ايها فلان يا اسمر ويا علبة السكر ايها يا من ربط مهرته في شجرة العنبر
〃 يا ما عيرونا بنات الترك يا اسمر 〃 كل المحبين ليلة فرحتك تحضر

ايها لمن هالباب الكبير العالي ايها لابو فلان دباح الحيال
〃 لمن هالفرس الاصيلة الواقفة 〃 لابو فلان دواس الليالي

ايها نحنا ونحنا ومن سود اللحى نحنا ايها نحنا نكيد الاعادي اين ما رحنا
〃 ما قلت لك يا فلان يا سيفنا نحنا 〃 روس الاعادي غنم دبّاحها نحنا

ايها علية ابو فلان عالعمدان رافعها ايها يا ريحة البن والقهوة مطالعها
〃 لا تذكر البخل يا عزي ويا سندي 〃 عادات بيك قبل منك مطالعها

ايها معجن ابو فلان ثمان ترطال رزاته ايها يا باشة الشام ما نقلت قماشاته
〃 يا سفرة اللي مدها بديأته 〃 اكل الاماره وكشح الخبز عاداته

ايها رجالنا هوبرت نسواننا غنت ايها ورواياتنا البيض من راس الجبل طلت
〃 ليت التي شافت هالشباب وما سمت 〃 تقبر صباها وبعد الشمس ما طلت

ايها سفرة ابو فلان ثقيله ما بتنشالي
″ سبع صنّاع ما شالوا حلقهـا

ايها معوَّدة عا صحون الرز والضاني
″ من المنزول الى بـاب الخزاني

ايها نحن بني عم عُصبه مـا بنفترق
″ اللي يحبنـا ينزل لساحتنـا

ايها لو جرى الدم عالعودان والورق
″ واللي بيبغضنا بنار الجمر يحترق

ايها نحن بني عم من حقا وتحقيق
″ جيوبنـا من المـال خشخشت

ايها وسيوفنا من ذهب دق المطاريق
″ ويا نهرّة رجالنا بتنشِّف الريق

ايها نحن بني عم ما مال الهوا ملنـا
″ سن سيفك يا فـلان وتكنى

ايها نحنا جميع الطوايف شاكره منـا
″ وحياة عمرك ولا تنسى حدا منـا

ايها فلان يا مفتـاح سوق الغرب
″ ما قلت لك يا فلان يا قوي القلب

ايها يا شمع مكّه ويا ضو القمر عالدرب
″ اقتل واضرب وانصب مشنقه عالدرب

ايها انا يا ناس مـا عزي بمـالي
″ انا عزي بفـلان لو ندهتـه

ايها عزي بالعمايم والرجـال
″ سخي الكف ابو زيـد الهلالي

ايها فلان يا ذهب في كفة الميزان
″ اللي راح للوالي وحكى بحقك حرام

ايها يا مواجه السلطنه يا مرافق الحكام
″ تقبره حريمه وتلبس اسود الرهبان

ايها فـلان لا تقول نسيتـك
″ انت الذي فضلك علينا كلنا

ايها انت المبدَّى يـا عزيز يا غالي
″ من يوم كنا في القماط صغـار

ايها ابو فلان يا فنجـان فرفوري
″ لمن ركب عالكحيله وقال لها دوري

ايها يـا جوخ احمر عالشبّاك منثور
″ وحياة عمرك اعطي للجمع دستور

ايها نحن بني عم عصبه والتجينا ليك
″ وان ردت شرّقنا وان ردت غرّبنا

ايها انت اكابر وهز الرمح بين ايديك
″ انت السكاكين ونحن اللحم بين ايديك

ايها ما قال فلان قوم لنشوف يا خالي
″ وان كسبت الخيل من حظي ومن فالي

ايها وتزّين الخيل من فضه ومن مالي
″ وان خسرت الخيل كله فداك يا خالي

ايها ما قال فلان قوم لنشوف يا ابن اختي
″ وان كسبت الخيل من حظي ومن بختي

ايها وتزّين الخيل بالرشمه وبالرخت
″ وان خسرت الخيل كله فداك يا ابن اختي

ايها فلان يا ثوب الحريري ايها وسيع الكم احلى ما يصير
ً ما احلى وقفته في باب داره ً بيأمر عالكبير وعالصغير

ايها فلان يا سبع السرايا ايها دخلت الشام رملت الصبايا
ً سيفك هالطويل الله يديمه ً على رقاب العدى يهري المنايا

ايها فلان يا جودي وموجودي ايها دارك عمار ودار الضد مهدودِ
ً يا بساط احمر وفي المنزول ممدودِ ً تحته الخرم وفوقه منسف العودِ

ايها تقولوا فلان مات ما مات ايها خلف خلايف مثل زهر النبات
ً خلف فلان الله ينصره ً وخلف فلان لمد السماط

ايها بيت فلان يا ميَّه وتسعينِ ايها يا نازلين على بعلبك وسرعينِ
ً يا نازلين على بعلبك وبا امرا ً يا داعسين على فرش السلاطين

ايها لا تحسبونا فنينا ما فنينا ايها رجال العز منا سالمينا
ً اذا سلم منا وحيِّدْ ً وحيّدنا عدال الاربعينا

ايها لا تحسبونا لاجل المال دلّينا ايها لا ندلّ ولا نشمِت حدا فينا
ً وان هوَّن الله يا فلان ونجينا ً نخلف ابونا ويرجع عزنا لينا

ويتغنون بغير ذلك من الاغاني، وكلها حماسة وفخر ومديح، ينشدونها في الافراح والاعراس اكراماً لفلان وابي فلان والشيخ الفلاني الخ

ويظلون هكذا الى ساعة متأخرة من الليل يرقصون ويمرحون . ثم يودعون اهل العريس متمنين للخطيبين السعادة والهناء، داعين لها بتمام مهمتها على خير قائلين : « عقبال الفرحة الكبيرة » . فلا يخلو البيت من الناس حتى يهب العريس مسرعاً، بعد نفاد صبره، الى بيت العروس، حاملاً لها منديلاً كبيراً مملوءاً من الاجّاص الشتوي والملكي او العثماني والجوز والتين والزبيب . ويقبل عند وصوله رأس حماته . وهذه فريضة يسمونها « بوسة الراس » . ويجدّد السهرة مع العروس وآلها فرحين مسرورين . ويرجع في آخر الليل الى بيته وقد امتلأ قلبه غبطة وسروراً ولذة وحبوراً

ومنذ ما يعقد للخطيبين يصبح مفروضاً على العريس ان يقضي السهرة كل يوم عند عروسه، ويحرَم عليه قضاء السهرة في غير بيت حميه الا عند الضرورة الماسّة

بعد الخطبة

في اليوم الذي يلي الخطبة كانت العروس تذهب باكرًا الى مورد الماء فتملأ جرتها وتأتي بها الى بيت حميها . فيستقبلونها بالترحيب والاكرام، ويتحفونها بقطعة من النقود الرائجة اذ ذاك، تتفق مع حالتهم، مثل « الفَنَس » وقيمته ٢٢ قرشاً ، والريال ابو عامود (٢٢ قرشاً) ايضاً، والزهراوي (١٠ قروش)، ونصفه وربعه، والغازي (وهذا من الذهب يساوي ٣٠ او ٤٠ قرشاً)، وحذاء اي « بابوجاً اصفر ». ويسمون هذه الهدية « عَبرَة الدار »، اي زيارة العروس الاولى لبيت حميها . ويبقونها عندهم ذاك النهار فتعاونهم على دق الكبة . ويدعون اهلها الى تناول العشاء وقضاء السهرة . فيجتمع فيها الاقارب والاصحاب ويقضونها بين الرقص والغناء والضرب على الدف والنقارات والنفخ في المزمار والشبابة . ويقابلهم بالمثل اهل العروس بعد ايام قليلة، فيدعونهم الى تناول العشاء عندهم . ويأخذ الناس يتواردون الى بيت العريس للمباركة بالخطبة . فيأتون عيالاً عيالاً قائلين : « مباركة الخطبة . عقبال فرحة الكبيرة » وهم يقدمون القهوة والقضامة والزبيب والجوز والتين وغيرها من النقول

ثم ينصرف العريس الى شراء الجهاز له ولعروسه . فيبتدئ بشراء كمية من القطن لا تقل عن العشرة ارطال . ويأتون بالندّاف، ويستعينون بالنساء للف القطن المندوف « فتايل » على قطع دقيقة من الخشب . ويجمعون كل عشر فتايل يعقصونها عُقصاً تسمى الواحدة منهن « كوكة » ويهيئونها للغزل والحياكة . وتشرع ام العروس في غزل القطن بمغزلها . فتصنع منه « شماميط » تحولها بناتها الى شُلل فواسير وقلما كان يخلو بيت من الدولاب او النول وسائر آلات الحياكة والغزل . فيحوكون خاماً او يكلفون احدًا حياكته مقابل اجرة طفيفة . فيأخذ من يحوك الذراع نصف قرش . ويصنعون من هذا القطن اشكالاً من الاقمشة : فمنه ما يكون من القطن الخالص، ومنه من « المدفف » او « المُحوشي[1] » . والاغنياء يحوكون قماشاً من القز الخالص . ثم يصبغون من قماش القطن ما يلزمهم باللون الازرق ليصنعوا

(١) كانوا يجلبون نفاية الحرير، وهي القز، مغزولاً ويصنعون منها المدفف والمحوشي . فالمدفف يكون اقلاماً من النوعين . والمحوشي تكون فيه حواشي الخام من القز ووسطه من القطن

منه الالبسة الخارجية، كالسراويل المطرزة والاجالك والصايات والصداري للرجال، والفساطين وغيرها للنساء . ويرتدون هذه الالبسة اثناء اشغالهم الزراعية والبيتية، وفي اسفارهم وفي ايامهم العاديّة . وانما كانوا يطرّزون قمصان النساء بالحرير الاحمر والاصفر والازرق والاخضر على صدورها واكمامها . ويعملون من الفرش واللحف عدداً يختلف بين الثلاثة والخمسة، وكثيراً من المرافق والوسائد

وكانت الخطبة تدوم من السنتين الى العشر، يكون العريس مكلفاً اثناءها ان يقدم للعروس لباس رأسها واحذيتها مهما طالت المدة . وكان عليه ان يقدم لها في الاعياد والمواسم الهدايا التالية : فلا يحل عيد القديسة بربارة مثلاً عند المسيحيين او عيد من اعياد المسلمين، حتى تهب ام العريس الى دعوة اصحابها واقاربها من النساء . فيوافينها وكل منهن تحمل زوجاً من الجوارب او منديلاً او شملة حريرية، وهي تأخذ ايضاً شيئاً من ذلك، فيقدمن تلك القطع هدايا للعروس في بيتها . ويأخذن معهنَّ صحفة مملوءة من القمح المسلوق قد نُثر عليها من قلب الجوز والزبيب وحب الرمان والقنب . ويتغدين في بيت العروس ثم ينفرط عقدهن . وكان على العريس ان يقدم للعروس، كلما ذهبت الى الحمام، اجرته وقطعة من الصابون . واما العروس فعليها ان تملأ جرّةً او جرتين من الماء كل يوم لبيت حميها، وان تساعدهم في اعمالهم البيتية في اوقاتها . وعلى الحماة ان تنظر الى صهرها نظرها الى اولادها، بل ان تخصصه بشيء من المآكل الطيبة، مثل « مشويّة » (وهي قرص من الكبة المشوية) كلما دقت الكبة في بيتها، او برغيف من « المغطوط » وغيرهما مما سبق ذكره

الجهاز

وعندما يتم عمل كل الالبسة يرسل اهل العريس وفداً من قبلهم الى بيت العروس، ليستخبروهم هل تمموا المطلوب فيسافروا لجلب الجهاز، وهل نشأ عندهم مانع ليزيلوه . ويتفقون على يوم يسافرون فيه الى الشام لشراء ما يلزمهم مما لا يمكن الحصول عليه في النبك او في جوارها : كالصندوق الذي هو من خشب الجوز المحفور او المصدَّف، والمرآة، وادوات زينة العروس كالازهار الصناعية والاسبيداج والحمرة والطيب والزباد، والبدلات الثقيلة، والحنّاء والشموع الخ . فتنزل العروس وامها والعريس وامه واخته، الى دمشق مع الجمَّالة، راكبين ظهور الدواب

وهي الطريقة الوحيدة للسفر في ذلك العهد . ويرافقهم اليها احد اقربائهم اصحابهم من ذوي الخبرة في شراء هذه الحاجات . وكان سفرهم هذا يدوم يومين كاملين ذهاباً ومثلها اياباً . فيظلون في الشام نحو اربعة او خمسة ايام يبتاعون فيها الاشياء اللازمة لهم، من جوخ وحرير وغيرها من البسة العريس والعروس الخارجية مما يتفق مع حالة العريس المادية . فاذا تم لهم ما يريدون شراءه قفلوا راجعين الى بلدتهم بعد ان ينبئوا ذويهم عن يوم رجوعهم . ويكون اهل العريس قد اعدوا العدة لاستقبال موكب الجهاز الآتي من الشام . فيدعون جميع الاهالي دعوة رسمية الى تناول طعام العشاء عندهم واستقبال الجهاز

موكب ملاقاة الجهاز

يدعو اهل العريس اهالي البلد . فيخرجون كلهم، يتقدمهم الخيالة بخيلهم المطهمة ورماحهم وسيوفهم، وهولاء يكونون من مشايخ البلد ووجوهها واعيانها . ويؤلف الرجال والشبان فرقاً عديدة، ووراءهم فرقة النساء . ففرقة تسير على ضرب الطبل، والثانية على نقر الدف، والثالثة تحدو حداء بدوياً، والرابعة من الشبان حاملي البنادق ذوات القداحات والصوانات، يطلقون بها البارود الذي اتى به اهل العريس بكثرة . وهولاء يسيرون وراء الخيالة، ويسير وراءهم باقي الفرق يهزجون ويرقصون ويحدون . والنساء وراء الجميع يزفتهن « يسحجن » اي يرقصن ويثبن بسرعة ويزغردن لهذه المواكب، وكأنهن بذلك يحمسنها للذود عن حياضهن عندما تهاجمهم الخيالة . فيجعل هولاء يطارد بعضهم بعضاً، ثم يكرون على هذه المواكب كأنهم يشنون الغارة عليها، فيقابلهم حاملو « البواريد » باطلاق النار بين ارجل خيلهم، فيرتدون عنهم على اعقابهم خاسئين بلا جدوى . ويعيدون الكرة عليهم ثانية متحمسين اكثر مما قبل، فيقابلهم الشبان باطلاق النار ويردونهم خاسرين . هذا بينما الفرق المذكورة، الرجال بحدائهم واهازيجهم، والنساء بزغاريدهن، تزيدهم حماسة ونشاطاً

ويظل الموكب سائراً حتى يلتقي بالجهاز ومن معه خارج البلد . فترى العروس واخت العريس في هودج على ظهر جمل مزين بالبنود « والسفائف » الملونة والسموط « المشنشلة » بالخرز والطرر من الشعر والصوف الملون والاجراس والجلاجل . تزغرد الفتاتان وتحمسان الخيالة وحملة « البواريد » معاً فيرجع الموكب سائراً على هذا



موكب ملاقاة الجهاز

النحو حتى يصل الى البلدة، حيث النساء مجتمعات فوق السطوح وفي النوافذ، يزغردن ويلقين على الموكب الجوز والتين والزبيب والقضامة، حتى يصل الى دار العريس، فتستقبلهم هناك النساء بالزغاريد والاهازيج ايضاً. ويستمر الشبان على اطلاق البارود فيها. واذا كان لها «فسحة» اي عرصة فسيحة تأخذ الخيالة تلعب بالرماح على ظهور الخيل ضمن الدار، كأنّ ذلك يزيد اهلها فخراً وشرفاً ويكسبهم عزاً، وهم يرون في ذلك سبيلاً لاظهار مودتهم ومحبتهم للعريس وآله. ولا يلبثون ان يتحولوا عن لعب الخيل واطلاق البارود والحداء الى الرقص والدبكة والسحجة حتى يأزف موعد طعام العشاء.

فتبسط السُمُط وتوضع عليها انواع المآكل. فيأكل الحضور أيا كان عددهم. ويعود الناس الى ما كانوا عليه من رقص ودبكه وضرب على الطبل والدف، ينشدون الاغاني والاهازيج والمعنّى. وينعزل بعض الشبان في غرفة يقومون فيها ببعض الالعاب الرياضية، فيتبارون هناك في المصارعة والمغالبة ورفع الاثقال. ويستمرون على العابهم هذه حتى آخر السهرة. وينصرفون مع الجمع وليس في نفس الغالب شيء من الفخر ولا في نفس المغلوب شيء من الحقد والبغض. فلا ينظر الغالب الى المغلوب باحتقار ولا يضمر المغلوب للغالب شراً. غير ان من تتم له الغلبة على اقرانه يصبح في نظر اهالي البلد جميعاً ذا مكانة ويشار اليه بالبنان حتى بين المغلوبين انفسهم

وفي اليوم التالي تتوافد الناس الى بيت العريس يباركون هم بالجهاز . فتحمل اليهم كل امرأة ثماني بيضات تقدم اليهم برسم المباركة[1] . فيقدم اهل العريس للمباركين زبيباً وتيناً وجوزاً وقضامةً في صحاف من نحاس يوضع من كل نوع منها صحفة امام شخصين او ثلاثة . ويقدمون لهم القهوة العربية والشاي الحلبي . ويكون يوم وصول الجهاز الى بيت العريس فاتحةً لسلسلة من « التعاليل » او الليالي الراقصة الساهرة، يقيمونها كل ليلة مدة شهر على الاقل وتمتد احياناً حتى يوم افتتاح العرس

وفي هذه الاثناء يرسل اهل العريس الجهاز الى بيت العروس لكي يتمموا خياطته، فيكلون ذلك الى امرأة تحسن الخياطة في البلدة . فمتى صار كل شيء جاهزاً تنبئ ام العروس بيت حميها بذلك، وتدعوهم الى حضور صر الجهاز مع غيرهم من الاقارب والاصحاب . ويكون ذلك اشارة الى بيت العريس بلزوم الشروع في اقامة العرس . فتذهب ام العريس، تصحبها بعض نسيباتها وغيرهنَّ الى بيت العروس لحضور صر الجهاز

صر الجهاز

تدخل نساء اهل العريس الى غرفة قد نُضِد فيها الجهاز . فتجلس ام العروس في وسطها واضعة بجانبها الالبسة « بُقَجاً » (جمع بُقجَة اي صرة) . فتأخذ واحدة منها وتضع ما فيها من الالبسة جانباً . وتبسط الصرة على الارض امامها وتتناول قطعة من البسة العريس وتقول مثلًا : هذا شروال الجوخ للعريس . وتصير تعدّد كل قطعة في الصرة، من اكبر ما فيها مثل الشروال الى اصغر قطعة مثل كيس التنباك والتبغ حتى الحذاء . وتصرّها قائلة : « هذه بدلة العرس عقبال بدلة عرسانكم . وتأتي بغيرها، ويكون فيها كالاولى القمصة وسراويل والبسة داخلية، فتفعل كما فعلت قبلًا ما عدا انها لاتقول هذا شروال جوخ بل هذا « قنباز» عصماني او قنباز حرير « ألاجا » او حامديّة . وتريهم اياها، ثم تصرها . وتأتي بغيرها، الى ان تريهم خمس بدلات للعريس او ثلاثاً . وبعد ذلك تريهم بدلة « الصمدة » اي « الجلوَة » للعروس، ثم غيرها . وتصر ثلاث او اربع بدلات للعروس . وتريهم

---

(١) لانهم سيحتاجون اليها في ايام العرس . فيجتمع عندهم منها ما ينيف على الالف بيضة يقدمونها كلها في ايام العرس مقلية بالسمن مع الكشك

القمصان والسراويل الداخلية العديدة للعروسين . وهكذا تعرض على الحضور كل الجهاز، حتى « الاجربة والطواقي والتكك » . واخيراً تريهم « سلم اللباقة » وهو مؤلف من بضع «كباسات »، اي كعكة من فضلات الاقمشة تضعها المرأة تحت الجرة عندما ترد الماء، وبضعة جيوب متصل بعضها ببعض مؤلفة من اقمشة مختلفة الالوان توضع فيها المشط والصابونة والكشتبان، وبمثل هذه الاشياء، اي بتركيبها وتخريجها وتطريزها تظهر العروس لباقتها . واخيراً تُري الحضور بدلة ابي العريس . وهي سروال من الجوخ معه باقي الالبسة الداخلية، او قنباز من الحرير، او شنتيان من الخام البلدي المطرزة ارجله بالحرير الملوّن وتصرها على مرأى من الحضور . وتختم ام العروس بقولها : «عقبال الافراح عند الجميع » . ثم تقدم لهنَّ الصحاف المملوءة من انواع النقول . فيأكلن ويعدن الى منازلهن شاكرات حامدات

العرس

كان محتوماً على من يعمل العرس في ذلك العهد ان يجعل موعده بين كانون اول وشباط . لان الناس يكونون اوانئذٍ قد فرغوا من جميع اشغالهم الزراعيـة ومن تأمين ما يحتاجون اليه من المؤونة لقضاء فصل الشتاء، فيمسي البيت زاخراً بالاشياء التي يجب ان تبذل في الاعراس، ويكون في استطاعة الناس ان يشتركوا في الافراح التي تقام في البلد، بدون ان يستهدفوا لضياع شيء من اشغالهم . فيكون العرس حافلاً بالاهل والاقارب والاصحاب وسائر اهل البلد، من مسيحيين ومسلمين، وكلٌ منهم يشعر بما يجب عليه ليحافظ على اتقان افراح هذا العرس . ولما كانت جبال القلمون في تلك الايام لا تزال سائدة فيها السذاجة والبساطة، وابوابها مغلقة بوجه كل تمدن حديث، ظلَّ اهلوها محافظين على عوائدهم القديمة لا يعرفون واسطة للفرح والانبساط الا الاعراس . فيهبون للتمتع بأفراحها بشوق وصدق واخلاص . فيشمل الفرح عامة الاهالي، كأن العرس لكل واحد منهم . ولم تكن الاعراس بالامر الهين الذي يُقضى في وقت يسير، بل كانت تستغرق مدة من الزمان لا تنقص عن الشهر، تقضى ما بين مذاكرات ومداولات واستعدادات للافراح المقبلة على الشكل الآتي :

المشورة الصغيرة

تبدأ المذاكرة بين اهل العروسين قبل العرس بعشرة ايام . فيعينون موعده . فيدعو ابو العريس عندئذٍ اهله واقرباءه الاخصاء ليلاً، ويخبرهم بتقرير موعد العرس، ويستشيرهم ليرى هل يجب ان يعملوا العرس كبيراً ام صغيراً . فاذا قر رأيهم على ان يكون كبيراً اغتنموا هذه الفرصة ليصالحوا كل من كان معهم على شيء من الشقاق والنفور، لكي يشترك جميع اهل البلد في الافراح . ويعينون يوماً يدعى فيه مشايخ البلد ووجهاؤها والاقارب والاصحاب للمشورة الكبيرة

المشورة الكبيرة

تتوارد الناس صباح اليوم المعين الى بيت العريس بدعوة منه . ويجلسون في غرفة كبيرة قام في زاويتها موقد قد صُفّت عليه اباريق القهوة والشاي الحلبي، كما ذكرنا قبلًا . وبعد ما يكمل عدد الجمهور وتدار عليهم القهوة والشاي مراراً، يسأل الشيخ الوجيه بينهم ابا العريس قائلًا : « يا ابا فلان، الله يصبّحك بالخير . دَعوتَنا لمنزلك العامر وها نحن قد لبينا دعوتك فماذا تريد منا ؟ »

فيجيبه ابو العريس : « اهلًا وسهلًا بكم . شرفتونا والنوبة حلت البركة . بدنا نستِر هالصبي (ويعني بذلك انه يريد ان يزوج ابنه) . عقبال الافراح عندكم جميعاً . والرجل لا يقدر على القيام بامر ما بدون اهله . واريد ان تمدّونا برأيكم ليتم هذا الشيء بمعرفتكم ورضاكم جميعاً . لان الافراح لا تتم الا باهلها (ويشير بيده الى الحضور) . وانا بدونكم لا اقدر على شيء »

فيجيبه الحضور : « كلنا قدّامك وبخدمتك يا ابا فلان . وانت صاحب الفضل على الجميع . وما يصعب عليك يهون علينا ان شاء الله » . فيجيبهم : « بارك الله فيكم . وان شاء الله نكافيكم بيوم الافراح عندكم »

فيسأله الشيخ : « هل تريد ان تعمل عرساً كبيراً ام صغيراً ؟ » فيجيبه : « انا تحت امركم . ولكننا انا وامه مشتَهين ومتشوقين ان نقيم فرحةً كبيرة في ديارنا قبل موتنا » . فيقول الحضور : « نحن حاضرين والشر غايب . ابشر بكل ما تتمنى وتريد »

ثم يسألونه هل يريد ان يدعو احداً من القرى المجاورة . فاذا اجابهم بالايجاب عيّنوا شخصين او ثلاثة منهم لدعوة اهل القرى وارسلوهم على الفور . ويعينون ايضاً يوماً لجلب الحطب والشيح، وموعد دعوة العرس العامة . ويكلفون لجنة من اهل العريس مع والده لاخذ خاطر الحزانى في البلد . ومن العادات التي كانت جارية حينئذٍ انه اذا توفي احد من الاهالي ايام العرس، فعلى اهل العرس ان يقوموا بتعزيتهم ويشاركوهم في حزنهم . وعلى اهل المتوفى ان يوفدوا الى بيت العريس من يشجعهم على المضيّ في عرسهم بقوله لهم : « ان افراحكم سبقت احزاننا. فالعريس ولدنا . والمتوفى ولدنا. فسيروا بافراحكم على بركات الله . فهو يتممها على خير وينجينا مما هو اعظم »

ويتعهد المشايخ بأن يحافظوا على الامن والسكينة اثناء العرس ويحولوا دون وقوع مشاجرات بين شباب الحارات . فكثيراً ما كان يحدث مثل هذه الخلافات لبعض ضغائن او لترهات صبيانية لا اهمية لها

وتنتهي هذه الشورى ويصير وقت الغداء. فيمد السماط على الارض في وسط الغرفة وعليه الطعام، وهو من البرغل المطبوخ بالسمن مع اللحم، ومن الكشك المصلّح باللحم والسمن، والارز المطبوخ بالحليب، والبيض المقليّ ومعه الكشك المجبول، والزيتون والدبس والحلاوة الطحينية والجبن . فيتناول الحضور طعام الغداء ويشربون القهوة ثم يذهب كل الى اشغاله . ويذهب كل من المكلفين الدعوة لحضور العرس والاخذ بالخاطر وغير ذلك لقضاء العمل المفروض عليه

وتذهب ايضاً ام العريس وام العروس لاخذ خاطر النساء الحزينات، ودعوة بعض العيال الى حضور العرس . ومن ذلك الوقت ياخذ الشباب في استعارة البسة العرس ممن يوجد لديه منها، وهم المتزوجون في السنة الفائتة او التي قبلها . وتستعير الصبايا ايضاً « المصاغ » والالبسة اللازمة لهنّ . وفي النهار نفسه تأتي النساء القريبات الى بيت العريس . فيخبزن الخبز الضروري اللازم للعرس، وهو لا يقل عن اربعة او خمسة امداد من الطحين . ويساعدن اهل العرس على قضاء حاجاتهم، مهيئات زاداً لمن يذهب لجلب الحطب والشيح، مؤونة يوم كامل، وهي حلاوة من الطحين المحمص بالسمن مع الدبس . فيأتي الشبان بعد العشاء ويأخذون زادهم كل على انفراد

جلب الشيح

يذهب الشباب بعد نصف الليل الى الجبال الشرقية حاملين بنادقهم خوفاً من غارات البدو عليهم اولاً، ثم لكي يستعملوها عند رجوعهم من الجبال باقامة « العراضة » عند دخولهم البلد . ويرجعون في عصر النهار التالي، بالشيح والحطب فيسبق واحد منهم حاملاً منه ورافعاً عليه علماً ابيض او احمر ويأخذه الى بيت العروس . فتعطيه هذه طاقية من البياض المطرّز بالحرير الابيض تطريزاً دقيقاً جميلاً قد امتاز به اهل النبك وجوارها، وهي مما يلبسه الشاب تحت الكوفية والعقال . ويخبر الناس بقرب وصول « الحطّابة والشيّاحة » . فيخرج الخيّالة بخيلهم ورماحهم، والشبان بعراضاتهم، يضربون الطبول، ويهزجون ويحدون حداء العرب، والنساء يزفتهنّ يضربن الدف ويرقصن سحجاً ويزغردنَ . ويسير الجميع بموكب حافل الى خارج البلد لملاقاة الحطّابة . ويرجعون جميعاً بعراضة ولعب خيل واطلاق البارود، حتى يبلغوا البلدة حيث تكون النساء على السطوح وفي النوافذ يزغردن ويرمين على الموكب القضامة والزبيب . فعندما يصلون الى دار العريس يدخلون الحطب والشيح الى البيت، ويرسلون الى بيت « الشيخ » اي المختار حملاً من الحطب وحملاً من الشيح . ويرسل الخيالة خيلهم الى بيوتهم ويلتحقون بباقي الشباب فيشاركونهم في الدبكة والرقص حتى الغروب .

حينئذٍ يقف واحد بباب الدار يمنع الناس من الخروج قبل العشاء . فيأكلون ويعودون الى الدبكة والسحجة و« التعليلة » . واخيراً ينصرف الشبان الى المعاركة والمغالبة، بينما الرجال يستمرون على انشاد المعنّى والزجل والعتابا حتى آخر الليل . ويكون هذا النهار موعد الحمام الاول للعروس، ويسمونه « الحمام الكدّابي » وفي اثنائه ينصرف المكلفون ان يدعوا الاهالي جميعاً الى حضور العرس، وقد قضوا مهمتهم . ويكلف اهل العرس لفيفاً من اقاربهم ليهتموا بتهيئة الطعام والقيام بخدمة المدعوين على المائدة في حفلات العرس . وهولاء يُطلق عليهم اسم « الحوّاسين » . واذا اتفق ان احد المسلمين أقام عرسه في ايام الصيام عند المسيحيين فعليه ان يهيّئ لهم من المآكل ما لا يفسد عليهم صيامهم . وكذلك اذا اتفق عرس احد المسيحيين في شهر رمضان فعلى صاحب العرس، ان يهيئ طعام الفطور اي العشاء للمسلمين في

وقته تماماً، اي عند المغرب، لكي لا يجعل لهم سبباً ليتخلفوا عن حضور العرس، ولئلا يبقى لاحد من اهالي البلدة عذر لعدم الاشتراك في الافراح العامة. ذلك انهم كانوا يعتبرون العرس ناقصاً اذا لم يشترك فيه جميع اهل البلدة، ما عدا الحزانى (اي الذين فقدوا قريباً احد اقربائهم)

الذبائح

وفي اليوم التالي تصبح دار العريس شبيهة بطعم، وبدار للافراح والدبكة والرقص، وبمحل للالعاب الرياضية . وتصير كعبة للاهالي يجب على كلٍّ منهم ان يؤمها ويعرض نفسه لمساعدة اهل العرس ومشاركتهم في اتعابهم كما يشاركهم في افراحهم . ويستثنى من ذلك المتقدمون في السن من الوجهاء والبعيدي النسب . وعلى اهل العرس ان يجعلوه مستكمل الشروط حاوياً جميع انواع الفرح موافقاً لاميال الجميع، مسلمين ومسيحيين، رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، ولاسيما اذا كانوا من الشيوخ اي المخاتير او الاعيان او الوجهاء المثرين

فترى في دار العرس الفسيحة اناساً يرقصون ، وغيرهم يدبكون، وآخرين يسحجون، وشباناً يتبارون في الالعاب الرياضية: مثل قذف الحجر، والنطّ، والمغالبة، ورفع الاثقال، وقذف البرتقال، وغيرها . وترى الصبيان يلعبون بالكعاب والجوز و « الدحاحل » اي الكرات، والبنات الصغار يلعبن بالخرز و « الخشطبة » الحصى وغيرها . وترى بين الشبان واحداً مشغولاً باختيار خطيبة له، وآخر يختبر صفات خطيبته، وغيره لا شغل له سوى الانتقاد وملاحظة خطيبته او شقيقته او ابنة عمه او ابنة خاله لئلا تفرط احداهن في علاقاتها الحرة . وترى هنا بائع البرتقال، وهناك بائع القضامة، وهنالك عطاراً وغيره من الباعة . حتى انك لترى الاولاد الصغار يعدُون بالمئات يلعبون العاباً متنوعة في تلك الدار وفي ما يجاورها

وفي صباح هذا النهار تُذبح الذبائح في الدار نفسها، على اطلاق البارود و « التراويد » والزغاريد . ويهيأ الطعام عند اهل كلٍّ من العروسين . لان النساء والبنات جميعاً ياكلن في بيت العروس ما عدا نساء وبنات اهل العريس . وتذهب النساء اللواتي يدعوهن اهل العريس مع امه وخالته وعمته الى بيت العروس ليأخذنها مع الصبايا بناتهنّ الى الحمام الثاني « الصحيح » باذن من ذويها . وعندما يصل

ومركبهن الى الحمام تقف امرأة من اخصاء بيت العريس في مدخل الحمام حاملة الصابون، فتعطي لكل واحدة منهن قطعة يبلغ وزنها نصف اوقيــة، وتعطي العروس اربع قطع تزن الواحدة اوقية . وعند الظهر يرِدُ الطعام الى الحمام من بيت العريس ومن بيت العروس، لها ولكل من معها، مع ان كل واحدة من المستحمات تأتي بطعامها من بيت اهلها او من بيت خطيبها

وتأخذ النساء والبنات في تحميم العروس ويغنين لها من هذه الاغاني :

شعركْ طويل احب النوم في ظلّــه | احلف يمين الشتا والصيف ما حلُّــه
راح ابوكِ الى البــاشا وبيَنلِه | شعرة من البيض تسوى عسكرك كلُّه

شعركْ سناسل ذهب يحـيّر الولهان | ما بين شعرة وشعرة ينبت الريحــان
يسلم ابــوكِ بعزه هالرفيع الشان | بَيَّ الاصيله عـلي شانه بكل زمان

يا عروسه يا بيضه ويا غضــه | يا سمكة البحر تسبح في حوض فضه
كم قدموا ناس الى بيك ولم يرضى | بالله اصلحوا بيننــا لا عاشت البغضه

يا عروسه مــا احلى معــانيكِ | انتِ ذهب خاص جنس العيب ما فيكِ
انتِ اصيله وكل الناس تشهد لك | يا جنة الخلد نيال الحظي فيــكِ

يا عروسه ويا ام العيــون السود | يا بنت امير العرب يال مالكيش وجود
وان كان مررتي على بيك ويا عروس | ويقول يا مرحبا ها كل شي موجود

بيضه وحمره وكرة مــال حط لها | والطير لو كان باعلى الجو حط لهــا
مهرة اخوك على كفي بنقلهــا | دشرت شغـلي وجيت اليوم اغسلها

ورد العرايس عنــد العصر بيندي | يا بلبل الصبح عالاغصان بيهــدي
احكيكِ يا نور العــين ما تردي | وحيــاة ابوك واخوك تحفظي ودّي

وتظل النساء يغنين لها من هذه الاغاني والاهازيج والزغاريد الى ان يتم تحميمها

الغداء

عندما يقرب الظهر يتوارد الرجال والشبان افواجاً الى بيت العريس لتنــاول

الغداء . فتستقبلهم اربع نساء يقفن قريباً من مدخل الدار، يزغردن ويغنين لكل من الداخلين اغنية توافق مقامه

فيغنين للمطران مثلاً :

ايهـا قلوستك وزرّيـه ايها وخـاتمـك وقيـه
« بنترجـاك يا سيـدنا « تبـارك عـالرعيـه

لو لو لو ليش (وتعاد بعد كل من الادوار التالية)

ايها سيدنا مبعوث لَيك مبعوث لَيك ايها وباعت البطرك يسلم عليك
« باعتلك بدله عـلى طولك « على طرافها صلبان تلبق عليك

ايها سيدنا لبقتلـك البطركيه ايها ما احلى وقفتك بباب الملوكيه
ما احلى وقفتك وقراية اناجيلك « يا ليت امك جابت مثلك ميه

واذا كان الداخل من الائمة او من مشايخ الطرق والرؤساء الروحيين من المسلمين فتقول المزغردات :

ايها شيخ فلان يا شيخ البـلادِ ايها سيفك مسقط بوسط الحرب بينادي
« كل المشايخ لابو فلان تشهدله « يا سور عكا حاوي جميع البلاد

ايها نحن بني جد والشيخ على جدنا ايها نحن قبب العاليه ما في حدا يهدنا
« نحنا اسود الكاسره ما حدا يردنا « نحن الشيوخ الحاكمه ما في حدا قدّنا

ايها شيخ فلان هالبـلاد بلادك ايها انت السمرمر والعـدو جرادك
« ناديت لك يا شيخ الله ينصرك « يا سبع حامي سهلتـك وبلادك

واذا كان من المخاتير المشايخ تقول له المزغردة :

ايها شيخ فلان جاك الحكم من استنبول ايها مع(قبّه‌جي)ترك مصرور في ورق مصقول
واللي بتدعي على عسكرك مكسور « تقبر صباها ولا يرحم لها مقبور

واذا كان من مشايخ المسيحيين تقول له :

ايها شيخ فـلان ويا شيخ النصاره ايها قبضـة سيوفهم فضه كساره
صيغ سيـوفهم وانعم عليهم « هما مكسبك مـا هم خساره

ايها شيخ فلان يا سياجنا ايها يا ناصب الميزان يا حقاني
« في غيابكم تبقى البلاد مخيفة « في حضوركم تبقى البلاد بامانِ

واذا كان من موظفي الحكومة فتقول له :

ايها فلان يا سبع السرايا ايها دخلت الشام وملت الصبايا
« سيفك هالطويل الله يديمه « على رقاب العدا يهري المنايا

واذا كان من اولاد المشايخ الشباب فتقول :

ايها فلان واخوه ايها يا لولو لضموه
« ويا تمر عراقي « ومن بغداد جلبوه

واذا كان من الوجوه والاعيان تقول :

ايها لمن هالباب الكبير العالي ايها لابو فلان دباح الحيالِ
« انت الذي فضلك علينا كلنا « من يوم كنا بالقماط صغارِ

وهكذا يغنين لكل من الشيوخ او الشبان او الحكام ما يليق به وما يعرفنهُ من هذه الاغاني . فمنها مديح ومنها فخر ومنها حماسة وتعديد مناقب صحيحة او غير صحيحة، لكنها مجاملات يتبادلونها في مثل هذه الاوقات . فهذا سبع السرايا او سبع الغاب، وذاك خيال الزرقاء او الحمره، وفلان سيفه ورمحه مشرعان، والآخر كرمه معروف وسفرته ممدودة ومنسفه كبير . فيدخل الرجل طروباً مترنحاً معتقداً بصحة ما قالت النساء عنه . فيقول لهنَّ : « يسلم تمكم (اي يسلم فمكم) . عقبال فرحة اولادكم والعزبان عندكم » . ثم تدخل الغرفة التي يأكل فيها الرجال ثلاث نساء ويأخذن يغنين لهم من الاغاني المختصة بهذا الوقت، وهي ترحيب وتشجيع على الاكل واظهار لكرم صاحب العرس، كالاغاني التالية :

ايها صحتين وصحه ايها واربع عوافي معها
« واللي ماتقول الكم صحّه « جوزها يدبحها لولولوليش

ايها سفرتنا يا ام الشراشيب ايها كلما نقصتي زيدي
« شوباش يا سفرتنا « ما عليكِ الّا الاجاويدِ لولولوليش

ويزجن الفكاهة بالترحيب فيقلنَ :

ايها تقاتلت انا وحماتي ايها ضربتني في الوقيه
" تغـدوا يا جماعـه " ولا تسرقوا الزبديه لولولوليش

ايها اهـلا وسهـلا ايها وبعينكم هالكحلا
" ويا نخلـه طويله " في باب داركم هالاعلى لولولوليش

ويكون الطعام حينئذٍ من البيض المقلي بالسمن . وقد صب عليه الكشك المجبول بالماء، وهو يشبه اللبن الخاثر . ومن اليقطين المطبوخ باللحم المفروم والحمص والبصل وحامض السماق . ومن الارز بالدبس والارز بالحليب والجبن والزيتون . يتوارد الرجال زرافات زرافات الى غرفة الطعام يأكلون مما بسط في وسطهـا على « شراشف » (سُمُط) . واذا نفد نوع من الطعام اسرع احد القائمين بالخدمة الى تأمين حاجة الضيوف منه قائلاً : « هاتوا احمر »، فيبادروه بالارز مطبوخاً بالدبس. واذا نفد القرع نادى قائلاً : « هاتوا حامض » . واذا نفد الارز بالحليب هتف قائلاً : « هاتوا ابيض » . وهكذا الى ان يتغدى الجمهور كله . وفي هذه الاثناء تكون الدبكات قائمة على قدم وساق . ويشترك فيها الرجـال والنساء والشباب والشابات، فرقاً تتبارى لتعزيز دبكتها او رقصتها او سحجتها

ملاقاة الضيوف

وبينما هم على ذلك يأتيهم من يخبرهم بأن اهل القرية الفلانية المدعوين جاؤوا الى العرس . فتعلو التراويد والزغاريد . ويخرج جميع من في الدار من رجال ونساء لملاقاتهم الى خارج البلـدة، بعراضاتهم وزفّاتهم، يحدون الحداء الحماسي ويهزجون بالترحيب ويطلقون البارود ويلعبون عـلى الخيل حتى يلتقوا مع عراضة الضيوف وزفتهم . فيرجعون بهم ويدعو كل من الرجال المستقبلين بعض الضيوف الى بيته. ويأخذ منه عربوناً على ذلك منديلاً او عباءةً لئلا يخلف في وعده ويستضيف سواه. وينثنون ادراجهم الى البلدة كما جاؤوا منهـا الى ان يصلوا الى بيت العريس . فيتركون الهدايا من السمن والحنطة وذبائح الغنم والماعز والحطب في بيت العريس، ويذهب كل منهم مع الذي « استعرضه » اي دعاه ليحل ضيفاً في بيته وينام عنده

تخفيفاً عن بيت العريس. على ان طعام الجميع يكون من بيت العريس ظهراً ومساء .
وهكذا يستقبلون المدعوين من باقي القرى حتى يجين وقت جلب العروس من الحمام

جلب العروس من الحمام

كان الشبان يؤلفون عراضة ويذهبون الى الحمام بعراضتهم هذه لجلب العروس.
وحينئذ تكتسب الخطيبة صفة العروس الحقيقية لانهم يلبسونها عندما تخرج من الحمام ازاراً ابيض ويحجبون وجهها بمنديل شفاف، وتمشي الى جانبيها النساء وامامهن الشبان بعراضتهم والبنات يزفتهن، ويسيرون موكباً الى دار العروس . فيرجع الشبان الى دار العريس، وتدخل النساء والبنات مع العروس الى دار اهلها، فيدبكن وهن ينشدن الاغاني التي توافق الدبكة الهادية مثل :

قراون لم السالف لغيرها ما والف
بدي حلو وبدي مر وبدي حامض لفاني
لموا العشيره واجمعوا الخلان يا نار قلبي والهوى رماني
يا اسمران اللون ليش الجفا يا عيوني

وتعدد واحدة منهن على كل اغنية ما تحفظه من نظم الادباء . واذا كانت من اللواتي ينظمن فتنظم شيئاً قليلاً حتى يسترحن، ثم يغيرن الدبكة الى اخرى مستعجلة تدعو الى الوثب والنط والقفز والحركة السريعة فيغنين عليها هكذا :

يا أم الحطة حطيتي بقلبي نار
ايش كلفك يا زين لوح الميجنا
ورد خد المحسنه من قلبه غير انا
يا دوس عالبيدر يا شبيب يا مغندر
حليوه وين كنت اليوم عيونك شارده للنوم

يسحجون فيغنون

يا شايل الصندوق من قاعته ردوا على الصندوق صناعته
برهوم وايشلك عندنا حوران والنقره لنا

شايل السيف مع جوز الرداني
حنا الحروب وتريد الحروبيـه
يا نجمة البراقـه والقمر طل بساقه

وعند ذلك يتسلل بعض الشبان ذوي النفوذ الى ما بين النساء، هذا بحجةٍ تافهة وذاك بعذر واهٍ فيدبكون معهن خلسةً ويرجعون الى بيت العريس. ويظلون على هذا المنوال حتى يتعشى رجال بيت العروس، وهم قلائل، فيكونون مثلاً عمها وخالها وابناءهم وبعض الانسباء والاخصاء. فتنصرف النساء والبنات الى تناول عشائهن مع العروس ثم يدخلن واياها الى غرفة يؤلفون فيها «تعليلة» فيرقصن رقصاً عربياً، ازواجاً وافراداً، ينتظرن مجيء بيت العريس بالحنَّاء.

اما في بيت العريس فينصرف الشبان، بعضهم للدبكة والبعض الآخر للسحجة. ويأخذ المدعوون يتوافدون الى بيت العريس ليتناولوا طعام العشاء. فتمد السُمُط ويُبسط عليها الطعام. فيتقدم الرؤساء الروحيون والضيوف والشيوخ والوجهاء الى غرفة الطعام حيث تكون النساء مزغردات كما في اثناء الغداء. ثم يليهم الشبان والنساء والصبايا والاولاد. واخيرًا يصرخ رجل من اهل العريس باعلى صوته قائلاً مرتين او ثلاثاً: «الذي باقي بلا عشاء ياهو يأتي للعشاء». ثم يعود ويصرخ مرتين او اكثر: «العيش يا جوعان». وعندما يفرغ الرجال من تناول طعامهم يجلسون في غرفة خاصة بهم يشربون القهوة والدخان ويتجاذبون اطراف الحديث ويتذاكرون في ارسال الحنَّاء الى بيت العروس كالعادة، بينما الشبان يسترسلون في دبكاتهم ورقصاتهم الى ان يُعلن ميعاد ارسال الحنَّاء.

اخذ الحناء

ولا يكاد يُعلن ذلك حتى يتجمع الشباب فرقاً، ينشدون التراويد، وتزغرد النساء ويعلو الضوضاء. ويدخل شاب الى غرفة الرجال قائلاً: «الذي يخف عليه يتفضل لاخذ الحنَّاء للعروس معنا». فيذهب من يشاء من الرجال. وتكون الحنَّاء مجبولة موضوعة في وعاء من نحاس، مزينة بالشموع والاجَّاص الملكي او الشتوي. فيسيرون، وقد حُملت امامهم المشاعل والانوار، وفي مقدمتهم الضيوف ومشايخ البلد ووجهاؤها، ووراءهم الشباب بعراضاتهم يحدون ويهزجون. وتأتي النساء والبنات

بعدهم بزفتهن، بينما المشايخ يحافظون على الامن والسكينة خوفاً من وقوع حادث بين الشباب. وعند وصولهم بقرب دار العروس يخف اهلها، رجالاً ونساء، لاستقبال موكب الحنَّا. بالزغاريد والاغاني والترحيب. فتدخل النساء غرفة خاصة بهنّ والرجال غرفة اخرى كبيرة مختصة بهم . وتدار القهوة والشاي ، ويقــدم للحضور التبغ والتنباك . اما النساء فيحطن بالعروس يغنين لها ويرقصن . وتجلس بقربها والدة العريس وعمته وخالته وتأخذ ام العريس منشدةً :

يا كنتي يا كنة الزينـــه — سبحان الله هلّي وصلك لينـــا
حلفت ما لبسك الا حريرينـــا — من عند عمك ان كان الشبر بألفينا

ثم طلت من القصر ريحة ندها فايح — تشبه غزال الذي من مرقده رايح
امرق على الورد لاقي الورد لك لايح — يا صيت بيك ومثل العنبر الفايح

او اصابعك طوال والحنَّا عليهم عال — يا اخت فلان يا لتسوي خزاين مال
وحياة بيّك وهالينشاف فيه الحال — يسوى لحكم القضاو كل شي بيحوى مال

او يا عروسه ريتهـــا مباركه الحنَّا — يا للي سبيتي الحواري الساكنه الجنه
يا للي سبيتي الحواري في بها حسنك — وجبين مثـــل البدر يا ناس جننا

او نحنا بنات العرب ما نركب الاخيل — وسيوفنا مسقطه وكمامنـــا للديل
عدوّ بيـــك يدق بوابنا بالليل — نرمل حريمه ندوسه في نعال الخيل

او يا عروسه ويا تفـــاح مليسي — انا جلبتك من ارض الشام على كيسي
ندراً عـــليّ وان جلست مجاليسي — لنقطك بالذهب ليفرغ الكيس

او بنت الاكابر ويا بنت الاجاويد — عا باب بيك الخدامين وعبيـــد
من شان عينك تراني اليوم فرحانه — وكرمال بيّك لخيك انا بايدي

او يا ما مشينا ورا الكحله ومشّينا — يا ما مشينا ودق النعل باجرينـــا
يا ما مشينا ورا بيـــك ويوعدنا — هذه الاكابر بيصبح وعدهم دينا

وغير ذلك من الاغاني المختصة بوقت الحناء . وتظل نساء بيت العريس يغنين مقدار ساعة من الزمن، وهن جالسات الى جانبها، بينما باقي النساء والبنات يدبكن

بين الشباب في صحن الدار . وهذه ساعة يغتنمها الشبان والبنات فيدبكون معا مغنين هكذا :

مكسب هالساعة مكسب   واكسبوها يا شباب

حتى يستلم الرجال بدلات العريس وطقم الحمام مع قطعة من الصابون المطيب تقدمه العروس الى العريس ولفائف الحنّاء . ويرجع موكب بيت العريس كما جاء بعراضاته وزفاته الى البيت

حناء العريس الكدابية

بعد وصول الموكب الى بيت العريس بقليل يجتمع الشبان حول العريس، حاملين الحناء المجبولة وشموع العريس ومروّدين، بينما النساء يزغردن . ويتقدمون مع العريس الى اوجه ضيف من الضيوف، مبالغةً في اكرامه واعتباره . فيأخذ الضيف من الحناء بقدر الجوزة بين اصابعه، ويضعها في كف العريس ويطبقها عليها ويلفها بمنديل لفًا سطحياً قائلا : « الله يتممها على خير » . فيتحولون عنه الى الضيوف الباقين، فالى رجال البلد بحسب وجاهتهم، فالى الشبان ذوي المكانة بينهم او الذين هم من غير حيهم . وترى حينئذ جميع الذين في الغرفة فرقاً « يروّدون » وهذه حفلة الحنّاء « الكدّابية »، اي الرمزية

وكانوا يعتبرون هذه المراسيم واجبة ضرورية جدًا لا بد منها لارضاء الناس كلهم . لان الحناء الحقيقية تتأخر الى ما بعد حمام العريس . واذا اتفق ان يهملوا تقديم العريس بين يدي واحد من الحضور الوجهاء في البلد، فانه يخرج من العرس حالاً غاضباً ناقماً، ويضطر اهل العرس الى مراضاته . ففي الغد يذهب العريس مصطحباً معه وفداً من الوجوه الى بيت الغاضب ليستعطف خاطره، ويرجعون به بعراضة فخمة جدًا . ويعملون ذلك لئلا يشوب العرس شائبة . وهكذا في كل من مراسيم العرس

حمام العريس

بعد برهة قليلة يرسل بيت العريس وفدًا يدعو من يريد من رجال العروس للاستحمام مع العريس . ثم يأخذه الشباب في موكب حافل بالعراضات والحداء

الحماسي المشبع بالافتخار والاهازيج الحربية المملوءة تهديدًا ووعيداً كما سيأتي بيانه. وهي منقولة عن عربان البادية او عن جبل الدروز والبعض من نظمهم. فيبدأون هكذا :

سيروا على ما قدّر الله — والكاتبه ربك يصير
وان هوّن الله ندبجه — ونُفخت طبول الوزير

يا نازلاً تل الكتيبة — يا شين قول لي وايش بلاك
خايف على روحك تروح — وحريتك تقعد بلاك
يا قاعدًا والشر عالق — والكون دشرته وراك

يا ام الوحيد ابكي عليه — والموت ما شيّم حدا
وان كان ما بكيتي عليه — لا بد ما تبكي غدا

يا شمّر بيعوا خيلكم — جتكم شلافنا ورماح
ردوا البيارق عاليمين — وخدوا الاعادي بالصياح

يا راعي الشلف العريض — خدلك عمود وخلّها
شلفاتنا دق العجم — ومخضبه بدمها
من شافها ما قدر ينام — كل النهار يهمها

يا حاضرًا سوق المنايا — عيباً على اللي ما يبيع
والعز بظهور السبايا — والعمر عند الله وديع

يا فيصل ربعك ضيّعوك — واسري على ضو القمر
لو تعتلم باللي خدوك — لبّاسة الجوخ الحمَر

يا حبسه حنا ما درينا — والعذر يا عيون المها
حنا على الباشا غزينا — ومن اجلكِ عفنا الحيا

يا ما حلى ركب الخيول — يا ما حلى هدب السهول
يا ما حلى لا ترحلوا — يا ما حلى جاكم نذير

لذلك كان يرافقهم المشايخ الى الحمام خوفاً من وقوع مشاجرة يؤدي اليها ما

يكون بين الشبان من ضغائن واحقاد سابقة تتولد من اهازيجهم وحدائهم لايقاظها . وكثيراً ما كان يحدث من المشاجرات بالرغم مما يبذله المشايخ والرجال العقلاء من جهد لحفظ السكينة والسلام

ولا يكادون يدخلون الحمام حتى يتسابق الشبان الى غسل العريس وتنظيفه . ويقدم اوانئذٍ اولاد المشايخ والوجهاء البرتقال للعريس وللشبان ايضاً، تأييداً لزعامتهم واظهاراً لكرمهم وحفاوتهم بالعريس . وحينما ينتهي الشبان من غسل العريس والاستحمام يحمل احد اولاد المشايخ الدف ويقف بمدخل الحمام . واول من يتقدم اليه العريس يضع له في الدف « زهراوي » او نصفه او ربعه بحسب حالته المادية . وكذلك الشبان، يضع كل منهم ما تسمح به نفسه من النقود الرائجة . فهذا يدفع قرشاً، وذاك نصفه، وذلك ربعه، حتى يدفع كل من اغتسل . ويكون ذلك مثل « نقوط » للحمام لا دخل له بالاجرة . لان العريس يكون مستأجراً الحمام « من بابه » كما يقولون، لاستحمام العروس وموكبها والعريس وموكبه، بمقدار ريال او ريالين مجيديين نقداً، يقدم معها سريجتين او ثلاث من التبن للوقيد

ثم يبرحون الحمام بعراضاتهم الى الدار فيستقبلهم اهلها بالزغاريد والاهازيج، وحالاً تُمد السُمُط ويبسط عليها الطعام . فيأكلون ويستريحون قليلاً، ثمّ يعلنون حنّاء العريس الصحيحة

حناء العريس الصحيحة

يجتمع الشباب وهم يروّدون ويهزجون . وتأتي النساء مزغردات، تتقدمهن والدة العريس واخواته وعماته وخالاته واقرباؤه . فيأخذون يغنون له الاغاني المختصّة بحناء العريس، مثل هذه :

يا عريساً ومد الكف وتحنى   وحياة عميرك ولا تجرح حدا منا
وحياة عميري وما بجرخ حدا منكم   يا سيف بيّي على رقاب العدى غنّى

فعندما تذكر المغنية اسم ابيه تزغرد النساء جميعهن : لولولوليش

ويأخذ الشباب يرددون مع النساء ما يغنين به، والمغنية تكرر اللازمة وتقول بدلاً من « سيف بيي » « سيف عمي » و « سيف خالي » و « سيف ابو فلان »

و« سيف الشيخ فلان» على رقاب العدا غنّى. ثم يبدلون اللازمة بغيرها فتقول المغنية :

يا عريساً ويا دباح الحيـال   وامرق بجيلك على وردٍ وريحانِ
امرق بجيلك عا راس العين واسقيها   وان كان ما في عليق بيّك بيـكفيها

ويأخذ الشباب يرددون اللازمة كما في المرة الاولى، والمغنية تعدد الشطر الاخير وتقول « عمك بيـكفيها » و « خالك بيـكفيها » و « الشيخ فلان وابو فلان بيـكفيها » حتى يذكروا جميع الاقارب والاصحاب والوجهاء الغائبين والحاضرين . ثم يستبدلون اللازمة بهذه :

ايش هالكفوف اللي تليق لهـا الحنا   وايش هالعيون الغزال ما تستحي منا
سنّ سيفك يا فـلان واتكنى   لا عاش عدوّك ولا مال القريب منا

ويذكرون اسماء الذين اشرنا اليهم من الاقارب والاصحاب والمحبين وغيرهم، حتى تتم حناء العريس

فيأخذ الشبان ايضاً الحناء وحينئذ يُعرَف الشبان الذين يكونون من شباب العريس وحاشيته . فالذي يتحنى منهم فهو من الحاشية ويسمونه « عزام ». والعزام هو الذي يتزين في صباح اليوم الثاني ويوكل اليه مع رفقائه امر دعوة الاهالي الى حضور حفلة الحلاقة والتلبيسة والغداء والعشاء وجلب العروس . وعلى « العزامين » ايضاً ان يحافظوا على العريس مخافة ان يختطفه الذين لا يتحنون ولا يتزينون . وهولاء يطلق عليهم اسم « البرشان » (جمع ابرش) . وهم لا يزالون يحـاولون اختطافه في الفترة التي تمتد من انتهاء الحنَّاء الى ان يلبس بدلة العرس، فيمتنع عنهم اختطافه ويتاح لهم ان يختطفوا عقالـه فقط . فاذا تمكنوا من خطف العريس او عقاله لا يرجعونه الا مقابل ذبيحة او هدية او ما يقابل ثمن الذبيحة . ويظل هذا الامر متاحاً لهم حتى يتم دخوله عـلى عروسه . وكثيراً ما كانوا يتمـكنون من اختطاف عقاله فيضطر شباب العريس الى افتدائه بما ذكر . ولذلك يفرض عـلى العزامين ان لا يفارقوا عريسهم بتةً وان يناموا حوله متلاصقين في تلك الليلة

حناء العروس

بينما يكون العريس وشبابه في الحمام تهتم النساء والبنات بحناء العروس. فتجتمع البنات حولها ويأخذن يربطن اصابعها بخيطان من القطن، او يرسمن على يديها وروداً

و « عروقاً » ورسوماً بديعة بذوَب الشمع العسلي، لكي يحَنِّينها فوق هذه الرسوم. فاذا ازالوا عن يديها هذه الرسوم تظهر الحناء بديعة جـداً . ويغنِّين لها الاغاني المختصة بحنائها كهذه :

اصابعك طوال والحنا عليهم عـال   يا اخت فلان يا لتسوي خزاين مال
وحياة بيك وهالينشاف فيـه الحال   يسوى لحكم القضا ولكل ما في رجال

واذا كانت العروس سمراء تقول المغنية :

ما احلى السمر لو وقفوا بباب الدار   والنقش في كفك غنى بيوت شعـار
هاتوا اللبن والعسل لنقطع الاسعار   لحسة من العسل تسوى من اللبن قنطار

ما قال السمر نحن حسننا فينـا   سود الحواجب مع العينين يكفينا
نحن خواتك يا فلان غلّينـا   يا تعس من باعنا يا سعد شارينـا

ما قال السمر نحن الخوخ في عناقه   يا ريقنا السكري يا سعد من داقه
قولوا لجوز الشنيعة يبرّد خلاقـه   قولوا لجوز المليحـة سبحان خلّاقه

قالت السمر نحن خوختـين بعود   والشب اللي يرانا ما يجيـه قعود
وحياة ذاك النبي هل بالسما موجود   والسمر حلوين لو كانوا عبيد وسود

ما قال البن للتتن إيش بك معاديني   لا انت من ثقلي ولا َنك من موازيني
روح يا تـتن يا بو الدخاخيني   انا انا البنّ مشروب السلاطـين

ويغنين لها من هذه الاغاني ومما يوافق المقام حتى تتمّ حنّاؤها . وتتحنى البنات كلهن والنساء والصبايا حتى اللواتي لم يبقَ فيهنّ شيء من الفتوَّة يتحنين ويحملن معهن حنّاء لاولادهن الصغار . ولا يزلن على ذلك حتى آخر الليل . فتذهب النساء الى بيوتهن ويظل اكثر البنات حول العروس، وينمن معها في غرفة واحدة الى الصباح

يوم الهوج والموج

في صباح اليوم التالي تذبح الذبائح على اصوات التراويد و« ضج » البارود والزغاريد . ويأتي شبان العريس بعد ما يتزينون ويلبسون احسن مـا لديهم او يستعيرونه من اقربائهم واصحابهم. وكان المسيحيون في تلك الايام يعيّنون للاكليل

يوم الاحد . فبعد ما تُذبح الذبائح يأخذون العريس الى الكنيسة بلباسه الذي يختاره رثًا عتيقاً [١] ثم توافيه العروس بموكبها . وبعد القداس يعقد لها الكاهن الاكليل . ويرجع العريس الى بيته مع الشبان، والعروس الى بيتها مع البنات

« العزامين »

ينقسم شباب العريس فرقاً يسمونها « عزَّامين او عزَّامة [٢] »، لدعوة اهل الحارات وجميع سكان البلدة الى الغداء، وحلاقــة العريس والباسه لباس العرس وجلب الفرشات، وتصويل الرز، والعشاء، وجلب العروس

دعوة اهل الحارات

فعندما تدخل فرقة منهم احد البيوت تدعو اهله الى ما ذكر، فيقدم لهم اهل البيت شيئاً من الزبيب والجوز والتين والبرتقال والاجَّاص او غيره مما يوجد لديهم، فيمسي منها مع كل واحد من « العزَّامين » كمية غير يسيرة

وفي هذه الاثناء يجلسون العريس على منصة عاليــة في صدر الغرفة . ويقف حوله اربعة او خمسة من الشبان حاملين السيوف والقامات والعصي يحافظون عليه . هذا و « التعليلة » قائمة والناس يتواردون ليهنئوا العريس بالحناء . وبعد «التعليلة» يعقد الشبان والرجال معاً في صحن الدار دبكة حافلة . فيجلس المشايخ والضيوف والوجهاء والاعيان في محل مرتفع « يتفرجون » على هذه الدبكة العامرة . ويقف القوَّالون والادباء في وسط الحلقة، فيتبارون وينظمون الزجل بداهةً، وكل منهم يفتخر بنفسه ونظمه ويأتي باحسن ما عنده من النظم

ومن لوازم هذه الدبكة الهدو والسكينة، ليتمكن الحضور من سماع الادباء وتفهم اقوالهم والاصغاء الى براعتهم وفنهم . فتراهم يبــدأون بمديح الضيوف والمشايخ والوجهاء، وياخذون في الاطناب بكرم صاحب العرس والعريس والدعاء لله بحفظها وتهنئة العروسين وما شابه ذلك . ثم يشرعون في الاغاني الفكاهيــة

(١) كان العريس قبل مباشرته العرس يلبس اعتق مــا عنده من الالبسة وهو يبغي بذلك ان يظهر بالبسة العرس اكثر بهجة واناقة

(٢) نسبة الى العزيمة، وهي في لغة العوام بمعنى الدعوة او الوليمة

والنكات، فيمازح بعضهم بعضاً ويلقي احدهم على الآخر احجي والغزاً يسمونها «على المرصود».



دبكة الشباب في قرية احفر في القلمون

والناس يهرعون الى حضور هذه الدبكة النادرة للتفرج ولسماع تلك الاقوال التي لا يزالون يذكرون بعضها حتى الآن. فيقولون: قد قال فلان كذا، وقال فلان كذا، واجابه فلان كذا[1]

---

(١) مثال ذلك انهم يذكرون عن شاب كان من القوالين البارعين جداً، وكان قد ورث القول عن ابيه. فاتفق له ان اجتمع هو وابوه في دبكة واحدة. فأخذا ينظمان، وكانت اللازمة هكذا:

حوّل يا نجم الهادي حوّل وان كان لك راده (اي ارادة)
هوى الاسمر جنني وسكّني بغير بلادي

فقال الشاب ملتفتاً الى ابيه:

اهتزي يا ارض اهتزي حتى شوف كيفي وعزي
انا رضّعتك من بزي ومشيتك دادي دادي

وبعدما رد الناس اللازمة صرخ الوالد ملتفتاً الى القوم وقال:

هالأديب من اين جابوه يخرب بيت اللي ربّوه
جحا اكبر من ابوه وانا اصغر مولادي (اي من اولادي)

فسر الناس وابتهجوا. ويذكرون ايضاً عن اديب مشهور كان قد اصيب منذ خمسين سنة بوجع في يده. فبعد ان عالج نفسه بما كان شائعاً من وصفات وعقاقير عجائزية بسيطة بدون جدوى، قصد الشام ونزل ضيفاً على شريكه في التجارة. وكان شريكه من ذوي المكانة وله فيها صديقان طبيبان يزورانه كل صباح فيشربان القهوة والنارجيلة كما كانت العادة المألوفة بينهم، وهما الدكتور ابراهيم مشاقه والدكتور تانيل بيك. فلما رأياه على هذه الحال اخذ الاثنان يطببانه بقدر ما كانا يعرفان. ومرت على ذلك برهة طويلة، من ٤٠ الى ٥٠ يوماً، بدون ان يرى العليل شيئاً من النجاح والتحسن. فحزن ويئس وترك الدار مساء يوم احد وذهب يفرّج

وبعد هنيهة تعود فرق العزامين الى دار العريس . فيلاقيهم الادباء بالترحيب والمدح والتحميس، نظماً على اللازمة التي يكونون بادئين بها مثل :

يا دار منآلك هالجود قالت من ابا وجدود
دام الله عزك يا دار كل شي لكْ يبقى موجود

او دهري وعمري فيَّ خان بعد ان كنت اقنص غزلان
بعتْ الباز وقلبي جاز وعفت الضيعه والسكان

او وان كان زرعك ماحل عليش تريد رواحل
خيك ما خلاش مطرح دايرها جرد وساحل

او يا صايد الاحجالِ من صوت حبي جالي

عن نفسه في مكان يُدعى « الصوفانية »، حيث كان شبان القلمون اهل النبك ويبرود ودرعطيه وقاره ومعلولا يجتمعون ويقيمون دبكة في مساء الآحاد والاعياد . وكان يومئذٍ عيد الخضر فاخذ يدبك معهم، وقال :

لولا مشاقه وتنبل بيك ما كان صار بايدي هيك
بدي أحرق بوهاد وهاد وبكره بكّر على فنديك(١)

فردد الشباب اللازمة . واعادها وكررها مرتين او ثلاثاً وقال :

لولا تنبل ومشاقه ما تعوقت هالعاقه
الحكمة بدها لباقة ما هي شغل تراب وكريك

ثم قال : هلي يا دموعي وزيدي من اللي عطلوا ايدي
خضر الاخضر يا سيدي تشفيني انا بين ايديك

واخذ يعدّ عليها مثل هذه الاقوال حتى آخر الدبكة. وفي اليوم التالي او الذي بعده جاء الدكتوران كعادتهما صباحاً الى بيت مضيفه، وهما عالمان بما نظم وقال في حقهما . واخذا يعاتبانه على ما جرى منه . فاجابهما على الفور : انني قلت هكذا :

لولا هيك وهيك وهيك ما كان صار بايدي هيك
انا داخل على مشاقة وواقع على تنبل بيك

فضحكا وسرّا من ظرفه ونكتته البديعية

وهكذا كانوا يقيمون الدبكات في الاعراس والافراح، واحياناً في الاعياد، ويتمتعون بها وبانتظامها ويتلذذون بسماعها وحضورها

(١) وهو الدكتور فنديك في بيروت

او يا مدقدق الدرعانِ كاس المرار اسقاني

او يا راوي فصِل وقيس تفصيلك ما ظن يخيس
واللي قوله ما بيعجب كيفما باع يبيع رخيص

او هيهات دهري والزمان يعودا لعنّ عنات الوتر عالعودا
هيهات دهري والزمان يداني لعنّ عنّ وتار عالعيدانِ
ياحسرتي كيف قصروا ميداني ركبوا المهار اوركبوني العوده

مرصود دهر العالم كله راح كرمك صحّ لعصر الراح
بلا نقط لولا صلح اولاد الكار ما العالم للعامل راح

او باب ببوّاب ببابين بقفل بمفاتيح جداد
باب ببوّاب ببابين بعنتر عبس بشدادين
بشدادين بعنتر عبس بعبسين بعنتر شداد

او شربت البحر ونشفته بحلف يمين ما شفته
ومشيت بارضه حافي ولا بلبل روس شفافي

او الخصر بيمرق من الدملج ما بيحمل ثقل الزنار
يا رفاقي لتّن بيموج اسرع من بابور النار

او داري زمانك داري الدنيا بدها مداريها
لا بد الزمان يعود الميّ تجري بمجاريها

او يا ريمة اللي باول الغزلانِ ترعى النفل والعشب والريحانِ

او بدي خد وبدي ند وبدي ورد استنبولي

ومن غير هذه « اللازمات » . فيأخذ « العزامين » يقدمون للادباء مما جمعوه من البيوت . فيستمر الادباء على مديحهم تارةً وتخميسهم اخرى . واحياناً يخصصون اناساً منهم باسمائهم ويعددون مناقبهم ويتمنون لهم الخير ، وان يحظى كل من العزامين العزِّب بعروس تليق به . واذا كان متزوجاً « يطعمه الله صبي » . واذا كان له حماة غير متفق معها فيدعون لله بقصف عمرها . وهكذا تكون تمنياتهم

وادعيتهم كلها ضمن دائرة نظمهم الزجلي بداهةً، ليقدم لهم كل واحد شيئاً كما ذكرنا . والذي لا يعطيهم يقشّبونه ويهجونه ويصمونه بتهم ما انزل الله بها من سلطان، ويغلظون له القول ويسخرون منه كثيرًا . وقلَّ من يسلم من شرّهم ما لم يعطِهم شيئاً مما معه . فيقولون للذي يعطيهم على هذه اللازمة :

يألْ متلبس يألْ عزّام	يألْ قايس حالك بالخيط
يألْ متلبس يألْ عزّام	ريته يسلم هالهندام
وين ألْ ما فتّ مكرّم	ويصير لك في البلد صيت
تكون مكرّم ومعزّز	وعن قريب بتتجوّز
وفي حياتك تتلذّذ	وتشبع تزيين وتمشيط

واذا تردّد احد العزّامين في العطاء او تمنع فيقولون له :

يألْ متلبس يألْ عزّام	تضربلك في هالهندام
وفلان بدّه حمام	دربه دغري على قليط[1]
فلان حمام بدّه	يجعله يلحق جدّه
عالفطيسه لهدّه	وياكل تشليخ وتمعيط

وهكذا حتى يأخذوا من جميع العزّامين

حلاقة العريس

وتدوم هذه الدبكة مقدار ساعتين او ثلاث، الى ان يحين اوان حلاقة العريس . فيزوّد الشباب، ويطلقون البارود، اعلاناً لحلاقة العريس، وتزغرد النساء . ويرسلون وفدًا الى بيت العروس يدعون البنات الى الحفلة . ويجلبون المناشف . فيجلسونه على كرسي اومقعد عالٍ اقاموه في فسحة الدار، وحوله الشباب والرجال والنساء ينقرون على الدف ويرقصون امامه . ويشرع الحلاق في حلق ذقنه . فيأتي والده مع والدته وهي « مزنرة » (متمنطقة) فوق منديلها، وهذه عندهم علامة منتهى الفرح . فيرقصان امامه . ثم يرقص اخوته واخواته وعماته وخالاته وجميع

(١) قليط نهر بدمشق تصب فيه مجاريرها القذرة وكل اوساخها

قريبته وانسبائه من رجال ونساء، كأن ذلك فرض واجب عليهم او كأنه نذر ليس لهم مناص من وفائه . ولا يزالون الى الان، عندما يسقي شاب رجلا او امرأة يقول له الشارب : « ان شاء الله اسقيك وانت مصمود » او « وانت تحلق » او « ارقص في يوم عرسك »

ثم يأتي وفد من بنات اهل العروس يزغردن للعريس ويغنين له مثل هذه الاغاني :

يا عريساً تحت في الجوز حلقوا لك   واولاد عمك على الشهبا يشدوا لك
لبسوك فروة السمور على طولك   من عند بيك وما راحوا استعاروا لك

وبينما الحلاق يحلق له تزغرد البنات والنساء ويرمين عليه الجوز والزبيب والتين والقضامة، واحياناً الملبس . والشبان كذلك يتبارون في رشق البرتقال على الجمهور اكراماً للعريس

ظل هذا الى اواخر القرن الغابر . فابدلوه بما يلي : يأتي الشاب حاملا عشرين او ثلاثين برتقالة، او منديلا مملوءا من الملبس وفستق العبيد والبندق والقضامة الملبسة وما يشبه ذلك من النقول . فيفرغه على « صدر » اي طبق نحاسي كبير موضوع داخل الحلقة لهذه الغاية . وتأتي النساء كذلك ويضعن ما يحملن من « النقل » او



دبكة صغيرة لشبان

دبكة نساء في جرابلس

« النقولات » عليه . واخيراً يوزّعون ما جُمع على الحضور . ويظل البنات والنساء والشباب يرقصون بالسيوف امام العريس حتى ينتهي الحلاق من عمله . فيعطونه اجرته ويتحفونه بطاقية من طواقي العريس « اكرامية » له

جلب الفرشات

بعد ذلك يذهب الرجال والشبان بعراضاتهم والنساء بزَفّتهنّ الى بيت العروس . فتقدّم لهم القهوة والشاي والاكرام . وبعدما يجلسون قليلًا يستلمون الفرشات ويحمّلونها على ظهور الجمال او البغال المزينة بالاجراس والبنود و « الطرر » المشكلة، ويرجعون بها الى بيت العريس كما جاؤوا . ويكون اهل العريس قد هيأوا الغداء، فيدخل الناس الى غرفة الطعام ويتناولونه كما وصفنا قبلًا . ثم يرجعون الى الدبكة او الى السحجة والتعليلة، والرجال المتقدمون في السن يعودون الى غرفتهم ليشربوا القهوة والدخان حتى ينتهي جميع مَن في العرس من تناول الطعام، فيعلنون حلول ميعاد إلباس العريس ويعيّنون المحل المعدّ لالباسه : في بيت عمه او خاله او احد اقاربه الوجهاء المثرين وذوي المكانة الرفيعة بينهم

الباس العريس

يأخذون العريس بعراضة فخمة و« زفة » عامرة الى المحل المعين . فيستقبلهم اهله رجالاً ونساء بالترحيب والزغاريد . ويجلس الرجال في غرفة من الدار يشربون القهوة والشاي، ويدخل العريس الى غرفة ثانية مع بضعة شبان من اصحابه الاخصاء وبعض النساء الكاملات للغناء اكراماً للعريس . فيلبسونه بدلة العرس على صوت التراويد والزغاريد . وهي سروال من الجوخ الكحلي او الازرق ذو تكة حريرية حمراء او خضراء ذات « طرر » مطرزة بالخيوط الفضية والذهبية، وصدرية مخرّجة بالحرير، وعليها « زرَد » من الفضة معلقة به ازرار من الفضة المزركشة بحجم حبة البندق، و« كبران » من الجوخ، وكبُود مُفتّكْ، وكوفيّة حريرية، وعقال على رأسه ويزنرونه بشالة عجمية او بزنار حريري . ويلبسونه الاجربة العجمية . ويضعون في

زناره خنجراً[1] . واحياناً كانوا يلبسونه طربوشاً مغربياً ذا طرة غليظة زرقاء يلقون فوقه شملة حريرية مقصبة ويلبسونه جزمة حمراء ذات طرة زرقاء او صرماية حمراء

تصويل الارز

ثم يركبونه فرساً . ويقف شبان العريس حوله والى جانبيه حاملين السيوف والقامات يحافظون عليه، والعراضات والزفات قائمة امامه ووراءه، وصوت البارود يدوي فيملأ الفضاء، والخيّالة تلعب بالرماح والسيوف على ظهور خيلها ، والنساء يزغردن سائرات ويسحجن وراءهم

وبعضهن يحمل اطباق الارز على رؤوسهن الى النهر الجاري خارج البلدة بجانب الغفري . فيشرعن في تصويله اي غسيله، بينما الخيالة يلعبون بالجريد وحمَلَة البواريد ينصبون هدفاً يسمونه « نيشان » ويتبارون في اصابته بالرصاص على بعد مئة متر . والشبان يدبكون والبنات يسحجن متعاقبات . فمتى تم تصويل الارز يأخذ الخيالة حظهم من لعب الخيل والجريد، والبواردية من اصابة النيشان . ثم يعودون ادراجهم ويطوفون في شوارع البلدة كما جاؤوا . فتلقي عليهم النساء من النوافذ والسطوح القضامة والزبيب الخ فيصلون الى دار العريس قبل الغياب، فيواصلون هناك الدبكة والسحجة والرقص . ويكون اهل بيت العروس قد شرعوا في تزيين العروس وتجميلها على النحو الآتي :

تزيين العروس وتجميلها

للتجميل والتزيين نساء معروفات في البلدة تُسمَّى الواحدة منهنَّ مُعدِّلَة، ويسمون التجميل تعديلاً . فيدعون مزينةً او اثنتين فتأخذان العروس الى دار قريبة من دار اهلها، ومعها من صويحباتها ثلاث او اربع حاملات جميع ما يلزم

---

(١) هذه البدلة كان يحصل عليها الرجل مرّة واحدة في حياته، ويطول عمرها كثيراً حتى تبقى محفوظة لايام شيخوخته، ولا يلبسها الشاب الا مدة عرسه وفي ايام الاعراس وبعض ايام اخرى تدعو اليها الضرورة . واما الاجربة فكانت غير معروفة عند الكثيرين منهم . وقد سمعت من شاب في الثلاثين من عمره انه سمع من جده انه لم يلبس الاجربة بحياته الا مرة واحدة، يوم عرسه فقط

من ادوات الزينة والبهرجة والتبرج والتجميل المألوف في ذلك الوقت . ويأخذن فوق الحاجة من الحلى و« المصاغ » النساني من عند اهل العروس ومن البنات الموجودات في العرس، لان ذلك مباح لهن فلا يمانع فيه احد

فيطلين وجهها بالابيض (الاسبيداج)، وخديها وذقنها وشفتيها بالاحمر، بمقدار زائد عن المألوف . ويضعنَ قطعاً مستديرة من الورق المقصب في منتصف الاحمر، وينقّطن نقطاً سوداء حول هذه القطع المقصبة . ويضعن من هذه النقط السوداء ايضاً صفاً او صفين متحاذيين مماً بين الحاجبين الى آخر الجبين الاعلى . ويرُشّشن على وجهها من مسحوق ذهبي لمَّاع برّاق يسمونه « بهرجان » . ويعصبن اعلى جبينها بعصبة بيضاء عُلقت بها رباعي ذهبية صفاً على عرض الجبين . وفوقها شملة حريرية مقصّبة سوداء او خمرية اللون، مناط في وسطها « الناطور »، فتغطي هذه العصبة البيضاء ما عدا « كناراً » منها رفيعاً عُلق فيه الرباعي. ويلبسنها الحلَق المشنشل بالغوازي مرفوعاً الى الرأس بسلسلة، كما ذكرنا. ويلبسنها القراني الذهبية والكردان والصنوبرة، ويضعن



عروسان وحولها اترابها في الحفر

على رأسها اكليلاً من الورود الصناعية، وفي وسطه ريشة او ريشتان من الريش المخصوص بالعرايس . وفي اواخر القرن الغابر عُرف عند الاهالي « الشَكَل »، فصاروا يلبسون العروس شكلَين او ثلاثة، ويلبسونها الاساور في يديها والخلخال في رجليها، والخزام في انفها، وعدة خواتم في يديها، وزناراً او زنارين من الفضة . ويهيئنها « للصمدة » اي الجلوة . وتذهب النساء والبنات لتناول العشاء ويرجعن وكلهن شوق الى جلوة العروس

جلوة العروس

تجلس النساء العروس على صندوق مرتفع عالٍ في صدر اكبر غرفة من دار ابيها، او من دار احد جيرانهم اذا كانت دار ابيها صغيرة . ويقف عن جانبيها بنتان تسمّيان « اشبينات »، تحمل كل واحدة منهن شمعة طويلة تضيء على وجه العروس . وتأخذ النساء يغنين لها الاغاني المختصة بالجلوة كما يأتي :

ايها جلستك يا عروسه جلسة البنّا — والنقش في كفك زقفتله[1] غنّى
" حط القدم عالقَدَم ما سمعت له رنه — يا ريت بطن الحملك مسكنه الجنه

لو لو لو ليش (وتعاد بعد كل من الادوار التالية)

ايها نحن البنيات نحن فلفل الغالي — مكتوب عاجبيننا ما ناخذ نذالِ
" ما ناخذ الا الشجاع صاحب الناموس — والنذل ما ناخذه لو زادنا مالِ

ايها يا عريساً ولا تندم على المالِ — حواجب عروستك كأنها هلالِ
" حواجب عروستك قوسين محنيّه — تسوى اهل حارتك نسوان ورجالِ

ايها بيضه وحمرا وتفرط حب رمانِ — والنقش في كفك ارنب وغزلانِ
" وحياة بيّك لا تشربي بفنجانِ — الا بكاس الذهب منقوش سلطاني

ايها نحن البنيات ما هو نقدنا هيّن — ما نلبس الا الحرير الاطلس اللّيّن
" نحن لمّا نلبس ونتزين — نخلي شبيب العزب يرهن ويتدين

ايها يا ما مشينا ورا الكحلا ومشّينا — يا ما مشينا ودق النعل برجلينا
" يا ما مشينا ورا بيك ويوعدنا — وعد الاكابر بيصبح عندهم دينا

من هنا يبدأن بالغناء على المردود . وكلما ذكر احد من اقرباء العروس تزغرد النساء .

الله يحيي بلاد الربتك يا زين — شوف كيف رماك الهوى من بلادكم لاوين
ان كان مررتِ على بيك ويا عروس — ويقول بالله أقعديلك عندنا يومين

---

(١) صفّقت له

يا عروسه ما احلى معانيكِ انتِ ذهب خاص جنس العيب ما فيكِ
انتِ اصيله وكل الناس تشهدلك يا جنة الخلد نيّال الحظي فيكِ

شعرك طويل احب النوم في ظلـه احلف يين الشتا والصيف ما حله
راح ابوكِ الى الباشا وبين لـه شعرة من البيض تسوى عسكرك كله

تدللتِ ويا بنت الدلالِ تدللتِ وما أخذتِ ندالِ
تدللتِ واخذتِ مثل بيّـكْ ويا لولو مع المرجان غالي

جلستك يا عروسة جلسة الستّات يا يوسف الحسن إله (له) في خدك غمزات
ناساً يقولوا قتل ناساً يقولوا مات وناساً يقولوا قطع جسر الحديد وفات

يا لواقفه عالجلي والسيف يجليكِ سألت رب السما العالي يهنيكِ
وسالت رب السما يحفظ لنا ابيكِ ينصر رجاله على قومٍ تعاديكِ

يا تركمان على المنهل وكيف راحوا ترعى المراعي وعند السر ما باحوا
كرمال ابوكِ انا لصير فلاحـه والحق ضعون الاصايل وين ما راحوا

يا زارع الورد بالاحواض يا عايق لمن زرعته على خدك طلع رايق
يا بو عيون الشهل والمبسم الشايق فيّقتني عالجهل ما كنت انا فايق

وتأخذ معظم نساء البلدة يتواردن زرافات زرافات لرؤيـة العروس والتمتع بنظرتها، كأن هذا الامر واجب مقدس لا يجوز ان تُحرم منه واحدة من النساء كبيرة كانت ام صغيرة . وعلى كلٍّ منهن ان تقوم به ولو تجشمت في سبيله كثير من التعب والعناء . ولا يخشَيْن في ذلك لومة لائم . فترى الامرأة، ولها من العمر ما يزيد عن الستين سنة والسبعين ايضاً ، حاملة بإحدى يديها عكازها وبالثانية فانوسها، حانية ظهرها آتية من شرقي البلد الى غربيها، واحياناً كثيرة تحت المطر والثلج، لكي تقوم بهذا الامر المقدس . وخوفاً من ان يفوتها هـذا المنظر او « الفرجة » كما يسمونها، تدخل الواحدة مع رفيقاتها، واذا كان بينهنَّ من يحسن الغناء فتزاحم الناس حتى تصل الى قرب العروس، فتغنّي لها هكذا :

يا سمكة البحر امشي وتقّلي رجلكْ امشي شويه وشويه لا يبان حجلك
وان سألتِ عن الاكابر انظري اهلكْ انتِ اصيله وكل الناس تشهدلك

يا ست فلانه ويـا ام العيون السود   يا بنت امير العرب يالْ ما لكيش وجود[1]
وان مررتِ عـلى بيـك ويا عروس   ويقول يا مرحبا ها كل شي موجود

وتأخذ تعدد : وان مررت على بيّك، وعلى اخوك، وعـلى عمك، وخالك، وفلان الخ وكلما ذكرت اسماً من هولاء تزغرد النساء الواقفات حولها . وهكذا يأتي غيرها وتغني لها ما تجود به قريحتها قائلةً :

يا ورد يـا ورد عالاغصان ميالِ   ايش هالثريا تلالي في سما العـالي
خصرك رقيق وشوفوا ما انسبه للميل   عاشان بيك وميلي يا ضنى حـالي

يا عروسة ويـا نجمـة وغراره   اذا رحلتي ومن يضوي عـلى الحاره
وان مررتِ على بيـك استعرضكِ   واصبح جهازك عـلى الدربين سياره

وتأتي غيرها وتقول :

يا عروسة ويـا جبنـة بتتعصّرْ   ويا صحن قشطة مرشوش فوقها سكر
واللي معه مال ياخذ مثلكِ واكثر   والْ ما معه مال عا حسنك بيتحسّرْ

شيلي رويسك ويـا مرفوعة الراسِ   لا عيب فيـكِ ومهما قالت الناسِ
شيلي رويسك الى بيك وقولي لُـه   نحن ذهب خاص واما غيرنا نحاسِ

ولا يمر على هذا قليلٌ حتى تمتلئْ الغرفة من النساء والبنات من اهل العروس والمتفرجات، الى درجة لا يكاد يصدقها العقل . فقد كان يكثر الازدحام في مثل هذه الليلة حتى يضيق معها جو الغرفة بالهواء الضروري لتنفس تلك الجموع . فلا تلبث السرُج والمصابيح التي يستنيرون بها ان تنطفئْ لقلة الاوكسجين الذي استهلكته مئات الصدور الزافرة في هذه الغرفة مهما كبرت . فاذا اقامت واحدة منهنَّ مقدار دقيقتين داخل الغرفة تخرج والعرق يتصبب منهـا بغزارة، لانك اذا دنوت الى بابها لا تجد فراغاً يسع واحدة، وترى البخار والروائح الكريهة خارجة كأنها من مدخنة

وكذلك في بيت العريس يتوارد الناس عند المساء للعشاء والنقوط . فيقف

---

(١) اي ليس لك مثال

رجلان بجانب باب غرفة الطعام، يحملان بيديهما صينية نحاسية كبيرة . فيتمشى الرجل ويدفع زهراويا او نصفه ويخرج. وهكذا يفعل كل من في العرس حتى ينتهي العشاء . وكذلك يفعلون في بيت العروس . وهذا النقوط يأخذه ابو العريس . وكذلك نقوط بيت العروس لابيها . ويسمونه نقوط العرس . وكثيراً ما كان يبلغ نقوط بيت العريس الثلاثة والاربعة آلاف قرش



المناسف مملوءة بالارز وفوقه قطع اللحم مهيأة للاكل ويرى الى جانبها صندوق مرصع لثياب العرس

ثم يجتمع الشبان في غرفة العريس ويقومون بتعليلة حافلة جداً . وعندما تبلغ الساعة الثالثة بعد الغروب يأخذ العريس شابين من اكثر رفقائه وفاء له ويذهب خلسة الى بيت العروس حيث يراها من الباب وهي «مصمودة» واقفة على المنصة . ويقوم بواجب عليه وهو ان «يستكثر بخير» بيت حميه ويقبل رأس حماته ويشكرها، ويرجع ادراجه الى ما بين الشباب. حينئذ يعلنون جلب العروس. فتزود الشباب وتزغرد النساء ويتهيأون للذهاب

جلب العروس

تتقدم العراضات وجهاء القوم مع الضيوف والمشايخ، والمشاعل امامهم، الى بيت العروس . ويدخلون الى غرفة الرجال بابهة وافتخار . وتدخل النساء الى غرفة العروس يغنين لها اغاني الجلوة . ويجلونها على السيف، فيضعون على حده شموعاً عسلية صغيرة، وتمسك بطرفيه الاشبينتان، وتأخذ نساء بيت العريس يغنين لها الاغاني الآتية على نغمها الخاص:

تمايلي بنت السخا والجودِ اهلك كبار وبسطهم ممدوده
الله يديملنا ابوك بظهرنا حتى تظل ظهورنا مشدوده



عراضة

ويأخذن يكررن الله يديم لنا اخوك، وعمك، وخالك، وفلان، وابو فلان، الخ والنساء تردد اللازمة وتزغرد كلما ذكر اسم احد المذكورين . وتتحول المغنية الى غيرها فتقول :

يا عروسه بالنبي المصطفى	دبلي عيونك ولا تعطي قفا
وان مررتِ على ابوك يا عروس	يدبجلك ميتين كبش معلفا

ويكررن ايضاً وان مررت على اخوك، وعمك، وخالك الخ . ويتحولن الى غيرها . فتقول المغنية :

قالوا المغنيه	اهلك حديديه
يا ورد ما حلّك	قطافك على نيّه

يا مرحبا طلوا من الخردين	سود اللحى ومبرشمين الخيل
يا مرحبا لو كان ابوكِ معهم	يشبه امير بخدمته عبدين

ويفعلن كما سبق، وينتقلن الى اغنية اخرى فتقول المغنية :

في نصّ هالحاره تربى غزيّلي	والخد احمر والعيون كحيّلي
ما قلت لك بحياة بيك ميّلي	لنصف هالبستان ارعي وقيّلي

ثم

كيف بجليك ويا لعلوعتي	يا شعاع الشمس يا ضو القمر
كيف اجليك وبيّك ماحضر	يواجه الحكام ويعطينا امر

واخيرًا يقلن :

نخّ الجمل قومي انزلي يا نايفه   والخيل تعبت والمناصب واقفه
قالت ما بنزل ولا اعلى الجمل   حتى يجي بي كبير الطايفـه

وتأخذ تعد : حتى يجي عمي، وخالي، وفلان كبير الطايفه

وتأخذ العروس في البكاء منذ ابتداء الجلوة . وبعض النساء يضربن الارض بأرجلهنَّ ضرباً مضبوطاً يوافق هذا النغم . والبعض منهن يصفّقن بايديهنّ ويرددن اللازمة . والعروس تتمايل كالغصن وهنَّ يعددن مناقبها ومناقب اهلها من كرم وجاه وعز قائلات :

يا واقفة بالجلي والسيف يجاليكِ   سألت رب السما العالي يهنيــك
وسألت رب السـما يحفظ لنا بيك   وينصر رجاله على قومٍ تعاديكِ

خصرك رقيّق تلوّى ياعريق الآس   والعين سوده طويلة والشعر بسباس
وان كان مورتِ على بيك استعرضك   ويقول هـذا غزالي عاد لي يا ناس

يا زهر يا زهر فوق النهر يا غالي   يا زهر عـالي علينا والثمن غالي
ما قال خيّك ونحن سباع في غابه   نحن سباع وما نخشى سوى العالي[1]

خشف النظرته يا خشفه باول العان   والتم خاتم ذهب وشفاف مرجانِ
وحياة خيك يا خشفه والتعزّينه   لنصب لكِ بالفلا شادر وصيوانِ[2]

حسنك ضناني ويا حسنا دخيل الله   ودخيل عيسى معه موسى كليم الله
بالله يا ناس قولوا كلكم قولوا   يا عنق حسنا انـا حوّطته بالله[3]

ايش هالثريا آل تلالي في سما عالي   شبه القمر لو اعتلى ابن ثمن ليالِ
يا خصر فلانه شوفوا ما انسبه للميل   عاشان بيــك تميلي يا ضنى حالي

ورده وورده وضمّة ورد عاشفافك   ياطول حبل المرّس شعرك على كتافك
وآن مررتي عـلى بيك ويا عروس   طقطق فناجين العجم حين الذي شافك[4]

---

(١) هذا قيل لعروس اسمها زهره والناظم اخوها

(٢) وهذا قيل لعروس اسمها خشفه والناظم اخوها

(٣) وهذا لعروس اسمها حسنا والناظم واحد

(٤) وهذا نظمه المذكور اعلاه لابنة خاله واسمها ورده

ايش هالعروس بنت قوم الخيرين مشمره وتومي باليمين
قالت للضعون اظعن ليمي واهلي عالضيوف معودين
لا تبكي يا نور العين لا تبكي مانك غريبه ولا بيّك مغربك
انا لضمك لصدري وانتحب وابكي واقول فرقة بنيتي يا ما اصعبك[1]

واذا كان للعروس اخ شماس فيقولون لها :

يا عروسه ويا اخت الشماميس والدير يرهج وتندق النواقيس
والدير يرهج الى خيّك وفوتاته وان شا الله بعد مدّه يصير قسيس

هذا والشباب يدبكون في صحن الدار ويسحجون، والرجال يشربون القهوة والشاي ويدخنون التبغ والتنباك . وبعد ما يرتاحون قليلاً يطرحون امر اخذ العروس على بساط البحث، ويأخذون في الفكاهة والمزاح . فيضعون امام اهل العريس العراقيل والمعجزات . ويشترطون عليهم شروطاً شديدة ما انزل الله بها من سلطان . ويطلبون منهم اعمالاً غير ممكنة كما في يوم الخطبة حتى يحرجوا موقفهم . فيبعث الله لهم من يحل هذا المشكل بطريقة وهمية او بوعد واهٍ، فيُسمح لهم بالعروس . فيطلبون من والدها تنزيلها عن عرشها المزعوم . فيكل الامر الى اخيها الاكبر او عمها، فينزلها هذا وهي تبكي . وهنا يعترض « الحواط » اي خادم البلدة الواقف في باب الغرفة منعاً لدخول احد الشبان اليها . فلا يدعهم يخرجون بالعروس حتى يعطوه حقه . فيأتي واحد من قبل بيت العريس وينقده زهراوي او اثنين . ويأتون بها الى الغرفة حيث ابوها مع الرجال فتودّعه مقبلة يديه، وايدي والدتها واخوتها وأخواتها، وأيدي اعمامها واخوالها، وهي تنتحب لفراقهم . واخيراً يلبسونها الإزار ويركبونها متن فرس مطهمة . ويضعون عليها فوق الازار عباءة سعدونيَّة او فروة « بكدليَّة »، خوفاً عليها من البرد والهواء، لانها خارجة من تلك الغرفة المزدحمة حيث تبلغ درجة الحرارة حدّاً عالياً جدّاً، بعد ما أقام فيها هذا الحشد على الحالة التي ذكرنا نحو ثلاث او اربع ساعات، والنساء حولها كالبنيان المرصوص، لا يقل عددهن عن المئتي نسمة او اكثر . ويضع

(١) هذا تغنيه ام العروس عند بكائها

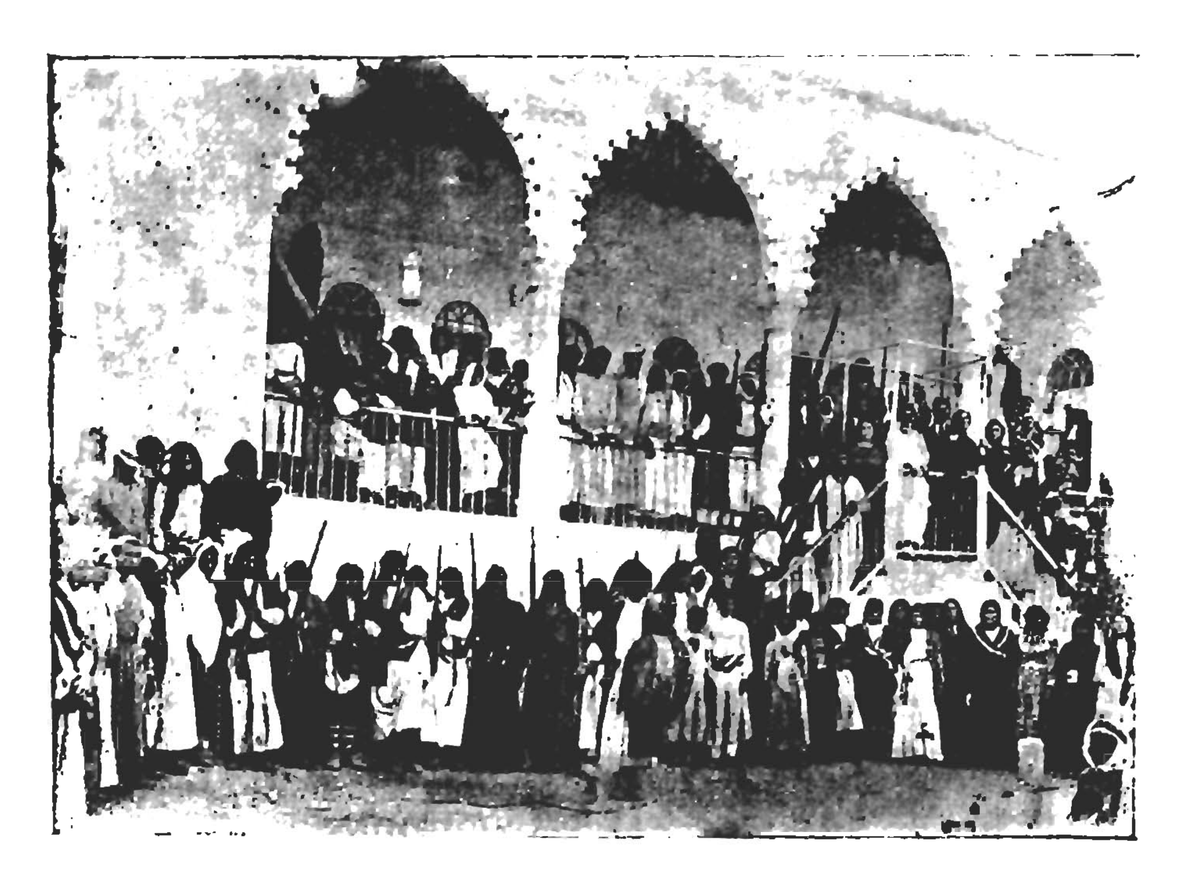
اهل العروس على اكتافها « الخلعة »، وهي قطعة من القماش الحريري او الجوخ او ما شابه، وهي هدية اهلها لها . واحياناً يهدي اليها بيت عمها وبيت خالها او غيرهم من الانسباء تحفاً اخرى . ثم يقود الحوّاط الفرس وعليها العروس، وتسير الرجال والعراضات والزفّات حولها . فالرجال بجدانهم والشبان باهازيجهم يقولون :

يخلف عليكم كثر الله خيركم انتو المناصب ما مناصب غيركم
« « « « انتو الاكارم ما اكارم غيركم
« « « « « الافاضل ما افاضل غيركم
« « « « « السخـايا ما سخايا غيركم

والنساء يسحجن ويهزجن قائلات :

جبنا العروس وجينا تسلم يا افندينـا
« « « خلّوا العريس يلاقينا
« « « من يقـدر يحكّينا
« « « ويا دل اللي يعادينا
« « « كل النـاس تهنينا
« « « بالسيف والسكينة
« « « يا فرحة اهالينـا
« « « لو طقّت اعادينـا
« « « والعريس مستنّينـا
« « « والشباب بتحمينا
« « « هـالغاليه الثمينه
« « « يسلم لي سواد عينا
« « « تسلم العروس لينـا

وهكذا حتى يقتربوا من دار العريس . فيخرج العريس منها في موكبه ينتظر موكب العروس بفروغ صبر خارجاً عن باب الدار، لكي لا تدخل العروس عليه « فتكبسه » . وهم يتشاءمون من دخولها عليه . وعند ما تصل الى باب الدار يعطونها قطعة من الخميرة وهي لا تزال راكبة، فتلصقها عـلى قوس باب الدار



حفلة عرس لاحد وجهاء المسيحيين في قاره
والشباب بسلاحهم والبنات يدبكن على دق الطبول منذ ١٥ سنة

وتدخل ويدخل العريس وراءها مع موكبه . وينزلونها عن الفرس فتأتي والدة العريس ومعها اربعة او خمسة ارغفة من الخبز وتفتها فوق رأس العروس وترميها بالفتات . ثم يعطونها قطعة اخرى من الخميرة فتلصقها بقوس باب الغرفة المعدة لها . وهذا رمز الى اختمار العروس في بيت حميها . ويدخلونها الى الغرفة وظهرها الى الباب تمشي القهقرى، يكون دخولها على قفاها رمزاً الى انها لا تترك هذه الدار الا وهي على قفاها اي بالموت . ويدخل معها اثنتان من ذويها لاجل ارجاع الحلى المستعارة الى اصحابها وخلع البستها عنها

ثم يدخلون العريس عليها ويتركونها . وبعد برهة يخرج العريس الى اهله وبيده منديل ملوّث بالدم . فيطلقون حالاً طلقاً ناريًا في الفضاء، اشارة الى صيانة بكارة العروس وشرفها وحصانتها ومحافظتها على تلك الجوهرة الثمينة التي تكللها بالفخر والشرف والمكانة السامية والحياة السعيدة في بيت حميها . واحياناً كانت حماتها تأخذ المنديل المذكور وترقص به . وينتهي الامر ويذهب كل الى بيته داعياً للعروسين بالهناء والرفاهة والبنين

يوم القاضي

وفي الغد الذي يلي « الدخلة » تأتي الى العروس واحدة او اثنتان من اهلها باكرًا جدًا فتعيد زينتها، وتصلح مـا اختلّ من بياض وحمرة، وتلبسها الالبسة المصطلح عليها . ويصطحبها عريسها الى عند والديه . فيقبلان ايديهما . فيستقبلهما الوالدان ببشاشة وفرح ويباركان لهما ثم يجلسانهما على مقعدين عاليين في صدر الغرفة . ويقوم حولهما شبان العريس حاملين السيوف يحافظون على العقال . ويتوارد الرجال والشبان ليقوموا بواجب المباركة، فتمتلئ الغرفة وتغص الدار بالناس . فترى بعضاً يرقصون وآخرين يدبكون وغيرهم يسحجون

و « التعليلة » في غرفة العروسين قائمة على قدم وساق . فيدخل الشخص اليها فيقف له العروسان . ويتقدم اليهما قائــلًا للعريس « مباركه العروس »، وللعروس « مبارك بيتكِ » . فيجيبه العريس : « بارك الله فيك . عقبال فرحتك » . والعروس تخجل ويكللها الحياء فلا تنبس ببنت شفة بل تطرق بنظرها الى الارض وهي ساكتة . فيجلس المبارِك بين الحضور يشاركهم في التعليلة مصفقاً بيديــه ينتظر دعوته للرقص

والشاب الذي يبارك للعروسين يسقط حقه من خطف العقال . والذي لا يتقدم من العروسين ولا يبارك لهما يبقى حقّه في خطف العقال محفوظاً الى مساء هذا النهار . انما على هذا الشاب، بعدما يدخل ويقف له العروسان ولا يبارك لهما، ان يشير اليهما بالجلوس للدلالة على انه لم يتنازل بعدُ عن حقه في خطف العقال . وهكذا حتى يأتي من يخبر الشباب بان فلاناً تبرع باهداء ذبيحة للعريس

جلب الذبائح

فيهب اكثر الشباب وقسمٌ من البنات في موكب حافل، بالحداء واطلاق البارود والسحج والنط والقفز والهزج، الى بيت المتبرع، يتقدمهم فريق من الرجال الشيوخ . فتقدّم لهم القهوة هناك . وبعد قليل يعودون بالذبيحة او بثمنهـا الى بيت العريس شاكرين . وهذه الذبيحة تكون إمّا ديناً عليه لبيت العريس من زمن عرسه او عرس احد اولاده، او تكون سلفةً جديدة ديناً له على المهدى اليه . ولا

يلبثون حتى يذهبوا الى بيت مهد ثانٍ وثالث ورابع الخ معيدين العمل نفسه ويظلون على هذا حتى الظهر

غداء العروس

يرسل اهل العروس طعام الغداء للعروسين الى بيت العريس على طبق نحاسي كبير يسمونه « صدر »، تحمله امرأة على رأسها وعليه الطعام . وهو من اقراص الكبة المقلية بالسمن، ومن الكبة بالكشك، ومن عجة البيض، واللبن والدبس والزيتون والجبن والحلاوة الطحينية والارز بالحليب والبرتقال والعنب المحفوظ والاجاص وغيرها . فيوضع هذا الصدر على كرسي في غرفة العروسين . فيأكلان منه هما وبعض اخصائهما . ويعد اهل العريس سماطاً في غرفة ثانية ، وعليه من مآكل العروس البائتة . فيتناول الحضور طعام الغداء ويعودون الى جلب الذبائح والتعليلة او الدبكة

القاضي

وفي عصر النهار ينبري الشبان « البرشان » فيلبسون واحداً منهم البسة رثة مستجلبة للنظر ومدعاة للضحك، ويطلون وجهه بالطحين، ويضعون على رأسه لبادة غريبة الشكل يربطون في اعلاها ذنب هر او ثعلب كأنها تاج له، ويضعون بيده عصا في رأسها مكنسة عتيقة حاسبينها صولجاناً، ويشدون وسطه بمنطقة يتدلى منها عظم ساق جمل كأنه سيفه البتار، ويغرزون في زناره عظماً آخر كأنه خنجر، ويجلسونه على سلم كأنها عرشه، ويضعون الى جانبه صحناً مملوءا طحيناً، وبيده قصبة جوفاء مملوءة من هذا الطحين . ويقف الى جانبه خمسة او ستة شبان تزيوا بمثل زيه، وقد طلوا وجوههم بناعم الفحم وقاموا ينادون به قاضي عدل وحاكماً للبلد يتقاضى لديه اصحاب الحقوق فينصفهم

ويكون القوم قد تجمعوا هنالك بالمئات، وبينهم العروسان يتفرجان . فيأتي اليه احد البرشان بحذاء عتيق يقدمه له لاصقاً نعله بوجه القاضي . فيأخذه هذا ويقرأ فيه بصوت عالٍ ضبط الدعوى المرفوعة على الشيخ فلان (وهو موجود بين الناس) بانه قطع الطريق وسطا على النور وشلحهم واساء اليهم . فيهجم عليه

« الزبانية » المذكورون ويأتون به امام القاضي بعد ما يشبعونه ضرباً ولكماً . وبعد الاخذ والرد ينفخ القاضي ما في القصبة على المدعى عليه ويحكم عليه بالحبس اسبوعاً كاملاً، وان يُجلَد مئة جلدة امام الحضور . فيأخذه الزبانية لتنفيذ الحكم فيه . فيأتي واحد منهم، وله دالة لدى القاضي، متوسلاً اليه ان يبدل حكم الضرب بالجزاء النقدي . فيغضب القاضي ويرغي ويزبد في اول الامر، ويتمنَّع ويتردد بكبرياء وصلَف، بحركات غريبة مثيرة للضحك . ثم بعد الالحاح في الرجاء وتقبيل الاذيال يسمح له بدفع غازي عن الضرب وريال عن الحبس . فيدفع هذا زهراوي او ربع مجيدي صاغراً شاكراً للقاضي عفوه عنه ورحمته اليه

ثم يتحوَّلون الى غيره من الحضور، يحاكمونهم ويفرضون عليهم الغرامات حتى يأتوا على آخرهم . واذا غاب احد من الوجهاء الموسرين ارسلوا اليه من يتولى جلبه بالقوة الى حضرة القاضي ليحاكمه بجرم ما انزل الله به من سلطان . فيجلبونه او يأخذون منه غرامةً ما تطيب بها نفوسهم . وكثيراً ما كان القاضي ينزل عن عرشه ويركض نحو العروسين بحركة غريبة ويقعد بجانب العروس ويمد يده الى يدها او الى ذقنها، ويطلب منها ان تترك عريسها وتلتحق به بحركات هزلية، ويقدم لها براهين مضحكة . فتهجم عليه صديقات العروس باللكم والضرب بالبوابيج على رأسه وذقنه فيرجع هارباً منهن الى مقره السابق . ويظلون على هذا الحال حتى المساء اذ يصبح لديهم مبلغ من المال يبتاعون به خروفاً او خروفين وسمناً وأرزّاً يعدُّون بها طعاماً يتناوله الشبان في الغد

ويكون اهل العريس قد اعدوا طعاماً من كروش وامعاء واكارع ورؤوس الذبائح التي ذُبحت للعرس، ومن الكبة ايضاً . فيتناول الحاضرون طعام العشاء . ثم يتحوّلون الى غرفة يجلسون في صدرها العروسين على منصتهما، وينيرون امامهما شمعتين كبيرتين علاوة على ما في الغرفة من السرُج العديدة . فيرقصون ويغنون حتى يأتي اهل العروس في موكب حافل يحمل جهاز العروس وفي مقدمة هذا الموكب ابو العروس وذووه واقرباؤه . فتخرج العروس الى باب الدار تحمل بيدها شمعة وتخف لاستقبالهم . ويدخلون معاً ويقيمون سحجة في صحن الدار تفتتحها العروس نفسها، على ان تبقى الشمعة شاعلة بيدها حتى انتهاء السحجة . ثم يتلوها البنات والنساء وحاملات الجهاز يسحجن وهو على رؤوسهن . ويدخل الموكب بعد ذلك



شبان في عرس يدبكون على الزمر

الى الغرفة فيقيمون فيها « تعليلة » عامرة يرقصون ويطربون . ثم يكلفون العروسين فيرقصان معاً ويرجعان الى مكانهما . فتعلن حينئذ حفلة نقوط[1] العروس المخصوص بها، الذي لها ان تتصرف به كيفما تشاء . وهي من انواع المساعدة للعريس والمجاملة للعروس . وكانت في ذلك الوقت فرضاً واجباً مقدساً لا يجوز لاحد ان يهمله، بل كان يحق للعريس ان يطالب به من كان مديوناً له بنقوط سابق . فيتقدم الحضور كل بهديته، التي تصبح ديناً على العريس او وفاء لهدية سبق فاهداها . لان هذا سلفة ووفاء.

نقوط العروس

بعد انتهاء رقصة العروسين تقف امرأة تحسن اعلان النقوط في وسط الغرفة . فيعطيها ابو العريس قطعة من الدراهم بحسب حالته المادية . فتأخذها بين اصابعها

(١) النقوط كلمة مصطلح عليها في هذه البلاد وهي الهدية التي يهديها الصديق والنسيب والقريب للعروس

وترفع يدها وتقول : « خلف الله عليك يا ابو العريس ويديك . وهذه ليرة عثمانية (او نصف ليرة، او غازي، او ريال مجيدي) نقوط للعروس محبة بلحية ابوها » . فتزغرد النساء كلهن اكراماً للحية ابيها . ثم تعيد : « خلف الله عليك الخ وهذا محبة بلحية عمها، وخالها، واقربائها فرداً فرداً » . والنساء يزغردن عند ذكر اسم كل واحد ممن جاء ذكرهم . ثم يعطيها قطعة ثانية من النقود ويقول لها : « هذه من والدة العريس » . فتصرخ كما فعلت سابقاً : « خلف الله عليكِ ويا ام العريس ويكثر خيرك الخ . وهذا محبة بلحية او شوارب ابوها او اخوها او فلان الخ » . واذا كان ميتاً منذ زمن بعيد فتقول « محبة بلحيــة فلان في البلي » . ثم يأتي العريس، وبعده اخوته واخواته حتى الصغار منهم . وكلما ذكروا واحداً من الاقارب تزغرد النساء . واذا كان المنقِّط جمَّالاً مثلاً فتقول : « محبة بكل الجمَّالة، او بكل من قاد الجمل » . واذا كان فلاحاً قالت : « محبة بلحية كل من ساق الفدان وفلح » . واذا كان نجاراً او حداداً او شاباً فتقول : « محبة بكل الشباب » . وهلمَّ جرًّا حتى تأتي على جميع افراد عائلة العريس . ثم تبتدئ بابي العروس، فيعطيها عنه اولاً وعن افراد العائلة ايضاً، فتفعل كما فعلت لابي العريس وعائلته واكثر . ثم تاخذ من الحضور، الواحد تلو الاخر، تقدمة « نقوطهم » للعروس على النمط المتقدم ذكره . واخيراً يسلّمون النقوط الى العروس فتحتفظ به لنفسها بعد ما يكونون قد عرفوا قدره على وجه التقريب . ثم ينصرف القوم ما عدا الشبان الذين يلازمون العريس الى ابعد حد من الليل . ويقصدون بذلك منعه من اللحاق بعروسه، فيضايقونه ولا يمكنونه من النوم قبل ان يقدم لهم من النقولات والضيافة المختصة بهذه الليلة ويسمونها « الكحَيْلَة » . فيأخذ الشبان يغنون وينشدون هكذا :

ما بدنا نروح الليله	حتى ناكل كُحَيلَه
وان كان ما بطَعمينا	حرام تنام الليلــه
وان كان ما بطعمينا	وتجيب حتى تكفينا
بيت العروس مسكَّر	خلّيك معنــا هالليله
خلّيك معنــا نتسلّى	وبعدين نعود نتحلّى
والليل كله ولّى	سهرتنا موش طويله

يا جماعـه لا تنهموا	هلق ينـده لامه
لا تخلوه يفور دمّه	ويصير مثـل الهبيله
هلق تجي السهريّه	وقضامه سكريّه
من الجوز الفين وميه	ويمكن يجيب عديلَه
يجيب قضامه وزبيب	في نظام وفي ترتيب
ما حدا منا غريب	كلنا من فرد عَيله
وتأنوا يا جماعـه	ليصير ربع ساعـه
بيقدملنـا الطاعـه	ما ضل بإيده حيله
ها اجت الصينيـه	معبايـه وممتليّـه
قضامه ونجاص ورمان	وبعد منها تعليلـه

وبعد ما ينشدون كثيراً من هذه الابيات ويحمِّسونه ويمزحون معـه يأتي اهل العريس « بالسهرية » مما عندهم . فيأكلون وينصرفون الى بيوتهم، داعين للعروسين بالهناء والصفاء . وبعد يومين او ثلاثة تأخذ العروس ترسل مقابـل الهدايا، اي النقوط الذي قدم لها، لكل انسان حسبما يليق به ويقابل هديته، مثل قميص وطاقية و« مصفنة » للدراهم وكيس للتنباك وما يشبه ذلك من اشغالها اليدوية

الطباخ

بعد ذلك بثلاثة او اربعة ايام يبدأ الاقرباء والانسباء بالطبخ في بيت العريس . فيبدأ عم العريس ويرسل الى بيت اخيه صباحاً اللحم والسمن والبرغل او الارز والحمص والخبز وكل ما يلزم للطعام الذي يريد ان يطبخه . وتذهب نساؤه ليباشرن الطبخ . ويرسل واحداً من قبله يدعو اقرباءه كلهم ومن اراد من اصحابـه الى العشاء في بيت العريس . فيأتون ويتعشون ويقيمون « التعليلة » . فيأتي الناس ايضاً كما كانوا يأتون في ايام العرس . وبعد يومين يفعل عم العريس الثاني كما فعل اخوه . وكذلك عمه الثالث والرابع، واخواله ايضاً، واقرباؤه وانسباؤه . فيستغرق هذا الامر اياماً لا تقل عن الثلاثة اسابيع، واحياناً اربعة، وهم في الافراح والمسرات العيلية والمشتركة بين اهالي البلدة

الولادة

ينتهي العرس وتتم الافراح . وتمر الايام والليالي وينصرف العريس لاشغاله . وتنصرف العروس ايضاً بكل قواها للامتزاج ببيت حميها وارضائهم بحسن ادارتها ونشاطها وطاعتها بهمة وغيرة، غير مبالية بتعب او ملل . فلا يمضي شهر او شهران حتى تشعر عروس الامس بما يدعوهـا الى التأني والتؤدة، وتشعر ببعض الخمول في نشاطها فيأخذها القلق والارتباك وتتجاذبها الافكار . فتفضي بذلك الى والدتها، ثم الى حماتها . فيفرحن معاً ويفهمنها ما هي حالها ويأخذن في مداراتها وتنبيهها الى ما لا تعلمه بعد . واذا كان زوجها بكر والديه، وكان هؤلاء من المثرين الوجهاء، فيرفهونها ويصلّون ويحوّطون حولها

ولا يلبثون حتى يشرعوا في اعداد ما يلزم لاستقبال طفل جديد، من البسة ولفائف وخلاف ذلك . فيصنعون من كل نوع من القمصان والسراويل والقنابيز واللثات والعصبات ثلاثاً، ومن اللفائف والاقمطة اثنتين، وخروقاً كثيرة وتكة من صوف نسج ايديهم يعلقون في وسطها خرزة زرقاء . وقطعة من الشب وعود مَيس وجوزة صغيرة وناب ذئب وقرون حية اذا كانوا من المسلمين، ويزيدون عليها صليباً صغيراً اذا كانوا من المسيحيين . ويتوقعون ابتياع سرير خشبي بسيط

فتى انقضى الشهر التاسع وشعرت الحامل بالمخاض تستدعى القابلـة وبعض نسيبات اهل البيت . وفي اثناء الولادة يمتنع على الحامل الدخول الى غرفة الولادة لانهم يعتقدون ان الولد الآتي يقول : انني لا انزل الا عندما ينزل اخي الذي هو في بطن امه امامي . وكذلك الطامث، فانهم يزعمون ان دخولها شؤم على الوالدة ويعسّر ولادتها . ولا يكاد الطفل يبصر النور حتى تنبسط اسارير الحضور وتتطاول اعناقهن لمعرفة جنسه . ويلزمن في ذلك الهدوء والتؤدة لكي لا تعلم الوالدة ذلك. وتكون القابلة قد امسكت بالمولود تنتظر صرخته الاولى . فان هو أبطأ نفخت على وجهه او هزَّت رغيفاً أمامه فيلتعش ويصرخ . حينئذ تأتي والدتها وحماتهـا فتقبلانها، وتنثنيان على القابلة لتعرفا هل المولود ذكر ام انثى . وتعلمان الحضور بذلك بابتسامة اذا كان ذكراً، وبتقطيب الجبـين اذا كانت انثى . ثم تعودان

لتأمين راحة الام المنهوكة القوى . فتحملانها الى فراشها، وتطلانها بمولودها ، بينما تكون القابلة مهتمة بتدبير الطفل وتمليحه وقطع سرّته . وبعد ان تقطعها تربطها بخيط من القطن اللين الثخين . وتميل نحو الحضور متنبئة عليهم وتعلمهم ان المولود الذي سيأتي بعد هذا سيكون ذكراً او انثى . لانها تعتقد انها اذا شاهدت في مقطع السرة شيئاً مثل حبة الزيتون كان على زعمها ذكراً، واذا كان في مقطعها فقاعة كانت انثى . . . ثم تلوث اصبعها بالتراب فيعلق به غبارٌ ناعم، وتدخله في فم الطفل وتديره في حلقه وتقول : من التراب خُلقنا والى التراب نعود . ثم تأخذ من محلول الملح وتمسح به عينيه . ثم تبل اصبعها بالمحلول نفسه و « تحنكه » اي تلوّث حلقه وتمس اللوزتين والغلصمة وتمسحها بشدة . ثم تأخذ الملح الناعم وترش منه على الطفل كله، وعلى الخصوص في بواطن المفاصل ومطوى اليدين والرجلين ووراء الاذنين . وتمنطقه فوق السرة بمنطقـة رقيقة ناعمة . وتلبسه قميصاً وقنبازاً فضفاضين طويلين . ثم تضع ضمن كتلتين من القطن شيئاً من الكمّون الناعم وتجعلها على عينيه وتعصبها . وتلبسه طاقية رقيقة وتلثمه . ثم تبسط عـلى رجليها قماطاً يسمونه « لفلوفة »، وتضع فوقه خروقاً تمد الطفل عليها، ثم تلفه بها لفاً محكماً . وتشد فوق هذه الاقمطة تكة صوفية وتضعه بجانب والدته وتغطيه

ثم يبسطون للحضور في وسط الغرفة سفرةً يسمونها « سفرة الخلاص » او « سفرة ستي نفيسه » فتأكل النساء . ويمنعون عن النفساء الماء القراح ثلاثة ايام، ما لم يكن الماء ساخناً فاتراً، ويقدمون لها بدَله مغليّ اليانسون . وعندما تطلب الطعام يقدمون لها بيضاً مقلياً بالسمن قد رُشّ عليه مسحوق الكمون، والبرغل او الارز المطبوخ بالدبس، فتأكل من هذا الطعام ثلاثة ايام

ومنذ ذاك الحين يُحمل الطفل الى والدته كل مرة يُسمَع فيها صوته، فترضعه هذه شيئاً فشيئاً حتى يتعوّد فيحسن الرضاعة . وعندما تخرج عذرته للمرّة الاولى يلفونها بخرقة ويضعونها تحت « صعرور » الباب دفعاً لكل ما يتأتى من الاضرار، من دخول الطوامث والحوامل على النفساء، وغير ذلك من المحذورات كما تزعم النساء

ولا تزال القابلة تتردد على بيت النفساء صبحاً ومساء في الايام التي تلي الولادة وتراقب حالتها وحالة مولودها، وتتابع اعمالها بتمليحه وتمسيده بالزيت و « تأييسه » اي رش مسحوق الآس عليه، حتى ينقضي على ولادتها اربعون يوماً . فتؤخذ الوالدة

الى حمام الاربعين بحفلة « مطنطنة » وتصبح الوالدة بعد ذلك في مأمن من اخطار النفاس

فيأخذ الناس في تلك الاثناء يتوافدون بكثرة لتقديم فروض المباركة. فتدخل الامرأة وفي طرف منديلها ثماني بيضات، او حاملة على رأسها صينية نحاسية فيها اثنان وعشرون قرصاً من الكبة المقلية بالسمن، قائلةً : « مبارك ما جاكم. تشوفوا على وجهه الخير . عقبال فرحته . والحمد لله اللي خلّصتِ وقمتِ » فتستقبلها الحماة بالترحيب والبشاشة وتجلسها بجانب فراش النفساء . وتأخذ الامرأة بالتحويطات والبسملات . ولا تلبث ان ترفع الطفل بين يديها، وتنظر اليه مفرغة كل ما عندها من التحويطات، ثم ترجعه الى محله . وبعد هنيهة يقدمون لها الشاي الحلبي، ويضعون امامها ثلاث او اربع صحاف نحاسية مملوءة من القضامة والزبيب والجوز والتين، فتأكل، واذا كان معها احد اولادها الصغار يملأون جيوبه مما في الصحاف

وفي اليوم التالي يعيدون الصينية التي جاء فيها « الغداء »، اي اقراص الكبة، مملوءة مماً يقدمونه ضيافةً للمباركين . وقد استبدلت الاقراص المذكورة في الآونة الاخيرة برطل من الارز النيء.

ثم تأخذ الوالدة في تربية طفلها والسهر عليه واظهار كل ما في قلبها من الحنان والمحبة . فلا تراها الا مكبّةً على سريره ترضعه من لبنها لا بل من روحها بلذة، وهي تحدي له هكذا :

يا حادي العيس مثل العين داريهم — يا حادي العيس خذ روحي وخلّيهم
كانوا سلاطين نزلوا عن كراسيهم — صاروا دراويش ربي ما قطع فيهم

يا حادي العيس سلّم لي على حبابي — ومن اي درب اجو لفتح لهم بابي
وان اجو من الغرب دولي اعزّ غيّابي — وان اجو من الشرق يا مية مرحبا فيهم

يا حادي العيس سلِّم لي على امي — هيٍّ حنونه وهيٍّ تسألك عني
يا جامع الشمل تجمعني انا وامي — لحكي لها قصتي واشكي لها همي

يا حادي العيس قول للغايبين يلفوا — من يوم غيباتهم حالاتنا تلفوا
وحق من له نجوم الليل يختلفوا — يا غايبين ارجعوا اماتكم[1] تلفوا

(١) اي امهاتكم

يا حادي العيس سلم لي على الكانوا		وقل لهم يرجعوا لمطرح الكانوا
وان ابعدوا اصعبوا وان اقربوا هانوا		في جيرة الله الحبايب وين ما كانوا
يا هاكل الهم والدنيا عليك ضاقت		اسكن بلاد التي في اهلها لاقت
واقعد حد الماء واشرب كلما راقت		ربي كريم بيفرجها اذا ضاقت
نامت عيونك يا امي وعين الله ما نامت		وعمره شدّه على مخلوق ما دامت
ايش هالقلوب اللكم قسيت وما لانت		وقلوبنا الليّنه بالعهد ما خانت
يا حادي العيس قول للوالدة تشقى		انا لي طاقة الموت ما لي طاقة الفرقة . . .

او هذه الاغنيّة الاخرى :

نام يا امي نام		لدبحلك طير الحمام
لا تصدقوا يا حمامات انا		اضحك عا ابني لحتى ينام

نام يا امي لحديلك على الكمون		والصيف عاقل والشتا مجنون
يا بو الوليدات لا تنام مغبون		رزق الوليدات عند الله يكون مضمون

يا جمَّال يا عمي		ما ريدك اريد امي
اريد امي تنيّمني		تحط البز في تِمّي

يا جمَّال ابو الجمَلَهْ		هات النوم بالعجله
هات النوم للعينين		وهات الحسن للخدين

وللرمدان: يا رميّدْ يا رَمَدْ		ارحل وروح من البلد
ارحل ورَوِّحْ للعرب		همّ يداوُون الرمد

وعندما يستيقظ طفلها تأتي اليه، وتحله من أقماطه، وتأخذه بين يديها، وتداعبه وتقبله، وهو بين يديها كالملاك، فتقول له :

تقبرني تقبر تقبر		تنزل عالتربه تحفر
تقبرني وتحل الشاش		تبكي عليّ دموع رشاش
تقبرني يا نور العين		تقبر امك ام حسين

وتقول له ايضاً :

والكرم استوى عنبـه وتـدلى عالأغصانِ
واحمرت عناقيـده عـلى لون الدم القاني
استوى الاحمر والابيض والزيـني والحلواني
استوى معـه القاصوفي والاحمر الـداراني
استوى المشمش والتفاح والتـين والرمـانِ
كله عاشان ابني هـالزايد المعاني
يا ربي تطوّل عمره وتبعث لي مثلـه ثُماني[1]

الطهور

« الطهور »، اي الختان، فرض ديني على المسلمين لا مناص منه . فمنهم من يطهر ولده صغيراً، ومنهم من يتركه حتى يبلغ السنة العاشرة والخامسة عشرة ايضاً

يبدأون بهذه المهمة، اذا شاؤوا ان يفرحوا بطهور ولدهم، كما يبدأون بمهمة العرس تقريباً . فيدعو الوالد اقرباءه ويشاورهم في الامر . ومن ثم يدعو وجهاء البلدة ومشايخها للمشورة الكبيرة كما في ابتداء العرس . فيشترك الناس في حفلتي حناء الولد والباسه وتزيينه بالورود والتمائم، وفي حفلة تطويفه في شوارع البلدة وهو على ظهر فرس مزينة، وامامه العراضات ولعب الخيل ووراءه الزفات من رجال ونساء حتى الغفري، والناس ترمي عليه القضامة والزبيب وما يشبهها وتزغرد وتهزج وتروّد له. وعند رجوعه الى داره يقيمون حفلة الختان بالتراويد والزغاريد واطلاق البارود . وقد يطهر الرجل ولديه او اولاده كلهم في آن واحد . ثم تمد الاسمطة وعليها الطعام، فيتناول الحضور غداءهم، وهو ما يسمونه « الضيافة » بينما الشبان

(١) اي ثمانية



قبل الطهور

يدبكون والنساء والبنات يسحجن ويرقصن ويسترسلن في جميع مظاهر الفرح . وتستغرق حفلات الختان اياماً لا تقل عن الاسبوع . والناس يتواردون للمباركة ولاقامة التعليلة

العماد

كذلك يفعل المسيحيون يوم عماد ولدهم اذا ارادوا ان يعماوه بفرح . انما يختصرون منه التطواف لان الولد يكون يومئذ طفلا صغيرا . اما الضيافة والدق والرقص والدبكة والتعليلة، فهذا لا بد منه . ونذكر في ما يلي وصف التعاليلة مفصلا

التعليلة او الليلة الراقصة

يجتمع الناس، رجالاً ونساء، شباباً وشابات، في غرفة كبيرة . ويجلس كل منهم في المركز الذي يليق بسنه ومقامه . فللضيوف والكهول ولمن يقارب الشيوخ من الوجهاء بين الاهالي المحل الاول، وهو صدر الغرفة القريب من الموقدة . وللشباب المحل الثاني، وهو الجانب الذي يقابل الصدر . وللنساء جميعاً الجانب المتوسط، فتصبح النساء بين الرجال والشباب . والجميع يجلسون صفوفاً بعضهم امام بعض ويجلسون الاديب (او الادباء) بين اقرانه، شاباً كان ام كهلاً، وبيده دف او مزهر[1] . وامام الاديب الثاني يضعون « لكَن » من النحاس سفله الى فوق، وبيـد الاديب ملعقتان من خشب

فيبدأ الاديب الاول ناقراً على الدف بيده، والثاني على « اللكَن » بالملعقتين . ويجعل الشبان يصفقون فيقول احد الادباء :

اول بدوه فتوح الباب بسم الله بدينـا نغني

وهذا التوقيع يسمونه « الدارج » اي المعتاد البسيط والمصطلح عليه في البلد . فيردد الحضور ما قال الاديب وعلى النغم ذاته . ويقفز شاب من اهل العرس الى وسط الحلقة ويأخذ يرقص، والاديب ينظم عـلى النغم عينه والقافية ذاتها بيوتاً توافق المقام فيقول :

شدّوا وردّوا يا شباب ويا رَفيقي عـاونني

فيردد الشباب اللازمة الاولى . ويأخذ الادباء، كل بدوره، ينظم بيتاً جديداً بداهةً . فيقول الاديب الثاني :

هلق بسم الله بدينا وتسلم يا افنـدينا
على الراس وعلى العينا كل مـا تريده مني

---

(١) وهذا يستعيرونه عادةً في اول العرس مع الطبل من مشايخ الطرق، لان الدفوف والطبول لا تكون الا عندهم، يستعملونها لاقامة الذكر والحفلات الدينية امام السناجق والاعلام عند اللزوم، وفي ايام الاعياد والمواسم عند المسلمين . فيرهنون عند صاحب الدف قطعة من الصحاف النحاسية او قطعتين . فاذا تمزق جلد المزهر او الطبل يأتون بجلد او جلدين ما عدا الاجرة المتفق عليها

فيردد الشباب اللازمة ويصفقون . ويأخذ الادباء ينظمون على هذا التوقيع حتى ينتهي هذا من الرقص . فيتقدم حينئذ من « الشيخ » اي المختار ويضرب له سلام بيده على الطريقة التركية ثلاث مرات، ويمد يده اخيراً الى يد الشيخ ويشدها بلطف داعياً اياه الى الرقص . فيمتنع هذا قليلاً . فيطلب اليه الحضور بقولهم « تفضل » ويقسمون الاقسام، ويلحون عليه بالرجاء، فيتنازل ويتكرم وينزل « للحوقة » اي الى الحلقة بتكلف، وينظم البسته ويرتبها مما طرأ عليها من الخلل . ولا يكاد ينزل حتى يصرخ جميع الشبان والرجال « هبسي نيرينه هى هى » وتصرخ فرقة من الشباب مرددة « كام راس قطعنا »، وغيرهم « لا تركب الا ثنية » وغيرهم « حمره من الخيل ياهو »، وغيرهم « عينيك ياناقل العود » الخ . وكذلك النساء يزغردن . فهذه تقول « إيها، انا ياناس ما عزي يمال » . وغيرها تقول : « إيها، نحن ونحن من سود اللحى نحن »، وغير ذلك، حتى لا تعود تعلم ما يقال ولا تسمع الا الجلبة والضوضاء، وكل هذا اكراماً للشيخ واظهاراً لمحبته في قلوبهم وتعزيزاً لزعامته . الى ان يأخذ الاديب ينقر الدف فيصفق الشباب، فيرقص الشيخ بكبريائه وعظمته، متباهياً بطوله وحسن هندامه والبسته التي يمتاز بها عن غيره . فيقول الاديب :

احد المشايخ بلباسه الابيض

يا شيخ الله معك يا شيبان القنطره

فيرددها الشباب بنغمة ذاتها وهم يتفننون بالتصفيق فيأتونه اشكالاً . والجميع

يوافقون بتصفيقهم توقيع الدف . ثم يقول الاديب :

وان رحت خذني معك على ديوان المشوَره

هذا تلميحاً الى انه من الذين يؤخذ رأيهم، ولهم القدح المعلّى في البلد، وكلمتهم لا تصير اثنتين . فيردد الشباب اللازمة، وتصرخ واحدة من النساء اللواتي يمتون بقرابة الى الشيخ قائلة : « ايها نحن بني عم عصبة ما بنفترق » او « نحن بني عم عصبة والتجينا لَيكْ ». وغيرها تقول: « ايها شيخ فلان جاك الحكم من استنبول ». وغيرها تقول : « ايها شيخ فلان يا دباح الحيالِ »

ثم يقول الاديب الثاني :

يا شيخ بحياة اهلك وتمايل على مهلك
كلنا نرعى في سهلك بعز ورخا وبجـترَه

فيردد الشباب اللازمة، ويصفقون. ويتبارون في الاحتفاء بالشيخ. فيقول الاديب:

يا شيخ الله يزيدك والتفت لعبيدك
وقت اللي بتومي بيدك كل الناس محضَّرَه

فيجعل الشيخ يلتفت الى الادباء ويلقي الابتسامات المعنوية التي تتضمن ما يستحقه كل واحد . وبعد قليل يتقدم الى وجيه من الضيوف، ولو كان كهلاً، ويدعوه باحترام الى الرقص فيقوم هذا مفتخراً بمن دعاه؛ وينزل « للحوقة » برصانة وتؤدة فتروّد له الشباب وتزغرد النساء، وتقوم ضجّة جديدة اكراماً للضيف . ويأخذ الاديب ينقر الدف، والشبان يعودون الى التصفيق الحاد فيمد الضيف يده نحو الرجال ويقول : « دَسْتورْ » فيجيبونه « معك » . فيرقص الرجل على ما يقتضيه النغم والحال . ويصرخ الاديب :

اهلا وسهلا ومرحبتين علينا تحل الابراك

فيردد الشباب اللازمة، ويعيدها الاديب ايضاً، وينظم عليها ابياتاً جديدة بداهةً على النغم والمعنى الذي يناسب المقام واكرام الضيف . فيقول :

اهلا وسهلا ومرحبتين في الضيوف المحترمين
مهما عملنا مقصرين سامحنا وهات عفوك

كذلك النساء يزغردن للضيف ويغنين له من الاغاني الموافقة للظروف، مثل :

ايها اهلاوسهلا يا ضيوفنا زرتونا   ايها واخضرّت الدنيا وشرفتونا
" عقبال الافراح عندكم   " بتزوركم مثل ما زرتونا

لو لو لو ليش

وهكذا حتى ينتهي الضيف من رقصته . فيتقدم الى رجل من امثال الشيخ واقرانه ويدعوه الى الرقص . فلا يتردد هذا اكراماً للضيف ولكي يقعده محله، وينزل بدله للحوقة . فيعود الشباب والنساء الى التغني بما يناسب مركز الراقص الجديد . وينقر الاديب الدف ويقول :

ما دامك عنا موجود   عصايتنا حد السيف

فيردد الحضور ويصفقون . فيقول ايضاً :

يلبقلك جوزين فرود   وقامهورمح وعصاوسيف

فيعودون الى التصفيق والمبالغة في اكرام الراقص . والاديب يقول :

يلبقلك جوزين فرود   يا أبن السخا يا أبن الجود
لغنيلك عل مردود   وتعيش في بسط وكيف

فيظهر الراقص شكره للاديب بقوله له « يسلم هالتم » . ثم يختم رقصته ويدعو غيره فينزل . ويأخذ الاديب يغني لكل من الراقصين ما يوافق مكانته ومقامه وسنه . فاذا كان الراقص من ذوي الشهرة في « المراجل » او الفروسية، او ابن شيخ او وجيه، او ممتازاً بشبابه او بقوته وبجمال وجهه، فينظم له الاديب ما يناسبه . فاذا كان ابن شيخ او من اسرة عريقة في النسب والوجاهة فيقول له :

ابن الجيد بيطلع جيد   تباين منه الاشاره

فيردد الحضور اللازمة ويصفقون . وبعد ما يعيدها الاديب ويكررها يقول :

ابن الجيد بيطلع جيد   وابن الست بيطلع سيد
ان شا الله عمرك يزيد   يا شيخ شباب الحاره

وبعد ما يكمل رقصته يدعو للرقص رجلاً من الكهول تكون امرأته موجودة بين النساء . فلا يكاد ينزل حتى يطلب الجمهور ان ترقص معه امرأته . فبعد ان

يتمنع كلاهما يقرّر الحضور وجوب ذلك ويرغمونه على ان يسمح لها . فتنزل امرأته فتقوم ضجة وجلبة من التراويد والزغاريد و « الهبسي نيريه هى هى » . ويرقصان على الدارج . فيقول الاديب :

لو باين ذهب العتيق ويّن تروح الرباعي

فيردد الشباب والنساء اللازمة ويصفقون. ويكررها الاديب، وينظم عليها ابياتاً كثيرة فيقول :

لو باين ذهب العتيق يا صديق ويا رفيق
شي بليق وشي بشيق يا شيخ احمد يا رفاعي

فيرقصان، ويأخذان نصيبها من الرقص . ويدعوان غيرهمـا من امثالها، كل رجل ومعه امرأته، حتى يأتي الدور للشباب والصبايا . فيدعو الرجل شابًّا، والامرأة تدعو صبيةً . ويأخـذ الاديب ينظم لها ما يليق بها وما يوافق مركزها . فاذا كان الشاب جمّالاً لابساً « كبود عسلي » يقول له :

كبودك كبودك عسل على حله يا دقة زنودك بالفنَس كلُّه

حينئذ يتحمس الشباب ويظهرون كل براعتهم وتفـانيهم في التصفيق اكراماً للشاب واحتفاء بالصبية . ويقول الاديب :

كبودك كبودك يرحم جدودك حمرة خدودك يا عمري لظهري حلوا

فيردد الشباب اللازمة والاديب يعدّد عليها بيتين آخرين . ثم يبطل الاديب نقر الدف فجأة ويقول : « كُسرَ الدف » ويبعثه الى من هو قريب من موقد النار طالباً منه ان يحمّيه على النار فتعود اليه رنته المطلوبة . فيقف الراقص والراقصة ايضاً . اما الراقص « يحوقل » متذمراً فيقول له الاديب : « كُسر الدف. عليك ان تجبّره بصوتك الجميل » . فيصرخ الجميع : لا يُجـبر الدف الا ببيت عتابا . ويروّدون وترّغرد النساء ايضاً . وبعد التمنع والتردد يجلس امـام احد رفاقه او امام الاديب، فيصرخ الشباب « هبسي نيريه هى هى » فيبدأ الاديب بالميجنا قائلاً :

ميجنا يا ميجنا يا ميجنـا ناخ الجمل قومي اركبي يا مزينه

فيردد الذين حوله هذه اللازمة . ثم يصرخ الشاب قائلاً :

حرام يزور لب العين ميَّال   مدام الدهر عالحلوين ميَّال
الي قلبِ عليهم مثل ميَّالقـــبيبي وكل عمره ما صفا

فيصرخ الرجال استحساناً، والنساء يزغردنَ تحميساً للشاب، ويطلبون منه بيتاً ثانياً فيقول :

تحت زيق المنيَّل شفت درهم   مثل ريمٍ على المورد يدرهم
ترى تضي. بغير شموع دارهم   متى بان الجبـــين من العصاب

فيصرخ الرجال والشباب متهيجين، وتزغرد النساء، ويقول الجميع «كان، كان». فيتململ الشاب ويتمنع قليلًا ويصرخ قائلًا :

انا يوبا الحبـــايب مُالَمتني   رمتني بالمهالك مـــا لمَتني
ولو تدري مصابي ما لمتني   ولو خطيتني بقـــولة يوبا

فيردّد الشباب وتزغرد النساء، ويضرب الاديب الدف، ويقف هـــذا للرقص والصبية معه فيكملان رقصتهما ويدعوان «للحوقة» شابًا وخطيبته. فيهيج الشباب رفقاؤه ويبالغون في التصفيق متظاهرين باكرام الشاب والحفاوة بخطيبته. وكذلك الاديب يحوّل اغانيه الى التغزل بالراقصين والتشبيب بمحاسنهما ويوجـه تغزله الى الراقصات بدون ان يخشى على ذلك لومة لائم فيقول :

هالميله هدَّت حيلي يا نور العين   فتّح يا ورد الجوري على الخدين

فيردد الشباب اللازمة ويعيدها الاديب ويكررها ثانياً وثالثاً ويقول :

هالميله هـــدَّت حيلي يا جميلي   تُهت وضيَّع دليلي والدرب منين

فيتهيج الشباب ويمضون في التصفيق. ويأخذ الشاب يرقص مغتبطاً ويتمايل فخراً وتيهاً. وكذلك الفتاة تأخذ حصتها من الغنج المحتشم والدلال العاري من التهتك. فترقص بحياء وتميل بخجل وانتظام فيزيدها هذا حسناً وجمالاً. ثم يدعوان غيرهما. وهكذا الى ان تنزل فتاة للرقص مع فتًى مثلها لم يبلغ اشده بعـــد، فيبادرهما الاديب قائلًا :

طَيِّرْ حمامـــك طَيِّرْ يا عينيَّ   شوها لخشف الظفيَّرْ لافي عليَّ

فيصفق الشباب ويهللون ويكبرون . ثم يقول الاديب

طَيِّر حمام الوادي عـلى بلادي — انا قصدي ومرادي تحنُّوا عـليَّ
طَيِّر حمام الـبري لا تنغرّي — دخلك من صوبي مري شويّه شويه
طـيِّر حمام الديره يا اميره — شوها الخشفه الصغيره جايي عليّ
طَيِّر حمام الخمري يا بعـد عمري — حـيرتيني في امري أرفقي بيَّ
طَيِّر حمام وجـاني يا سميراني — تسوى اهلي وجيراني وامي وبيَّ

وهكذا يتمادى الاديب بالتغزل حتى ياخذا قسطهما . فيدعوان غيرهما فينزل شاب وصبية طويلا القامة فيرقصان ويتمايلان ويتقابلان ويتبـاريان بحسن الحركة والرقص . فيقول الاديب:

شي ما شاالله ويخزي العين — عن ميلتكم يا لاثنـين

فيردد الشباب هذه اللازمة، وهو يقول :

يخزي العين وما شاالله — ومحـوَّطـين في الله
يا شيخ احمـد شي لله — يا رفاعي يا بو العلَمين

وهكذا ينزل غيرهما، والاديب ينظم لكل واحد ما يناسب شكله وطوله. فان كانت الفتاة سمراء يقول لها :

على سمير اللون عـلى سميراني — والبارحة واليوم مـا شفت خلاني

او اسمر يا حلو القامه عذبني هواك — حالف ما اهوى غيرك عهد الله جاك

واذا كانت ذات عينين سوداوين فيقول :

يا بوعيون السود والحاجب العالي — شربكتني بهواك ما كان على بالي

واذا كانت ذات عينين لوزيتين فيقول :

يا بوعيون اللوزية وحاجب مقرون — بيني وبينك عهد الله يخون اللي يخون

واذا كانت جميلة طويلة فيقول :

طولك طول الهندام يحرس هالطول — خدك لحم بلا عظامي للي ياكل

ولغيرها : يا ام الاحمر حـادق شايق عل الطول ولايق
او مهما رخصت الاسعار بيظل الحلو غـالي
او ميلي عـلى ميألك يا عين يا عين وحياة روس رجالك عالراس والعين
او يا قمر لمّن هلَيت يا شمعـة ضويتي البيت
او رمـانك يا حبيبي ما اوصفـه طبيبي
او صرَختْ شوّاش العجام مـا تشيلوا يا عكأمه
او يا تمر بـلاد العراق وايش جابك لبلاد الشام
او دامت ليـالينا بعز اهـالينا
او يا عشيري من زمـان عالطـوله لا تنساني
او يا ولفي لا تنساني الله يخليـك عفنا الاول والثاني ورضينا فيك
او يا ليل ويا ليل طوّل علينـا نحن الحبـايب هون التقينا

وهكذا يتغزل الادباء بالراقصين والراقصات، بما يطابق صفات كل منهم ومقامه وسنه، بدون ان تمس احساسات احد ولا تؤثر على عواطفه . ولا تتناول الاديب باقل لائمة ولا عتب، الى ان يدعوا العروسين للرقص . حينئذٍ يصرخ الشبـان بالتراويد والنساء بالزغاريد من كل ناحية وصوب، حتى لا تكاد تسمع غير الضوضاء والجلبة برهة غير يسيرة . فيضطر العروسان ان يقفا في وسط الحلقة حتى يهـدأ القوم وينقر الاديب الدف ويصفق الشبان مظهرين كل براعة وتفانٍ في اكرام العروسين والحفاوة بهما . فيأخذان في الرقص، فيقول الاديب :

ريته مبارك يا عريس تتهنى بهـالعروس[1]

ويعيدها الاديب بعد ما يرددها الشباب ثم يقول :

ريتو مبـارك تتهنى آرقص على مهلَك وتأنّى
اطلب منـا وتمنى نحن بنخدمك عألروس

ويقول : عروسك مـا احلاهـا يسلم بيت الربأهـا
انا دخيـل سماهـا عم تضوي مثل الفانوس

(١) يعني بهذه العروس

وهكذا ياخذ الادباء في النظم والمباراة. فتارة للعريس، وتارة للعروس، وطوراً يمدحون اهله، وطوراً اهلها . وتأتي والدة العريس وبيدها محمصة القهوة وعليها نار وفوق النار بخور جاوري وشعنين . فتبخر العروسين وهما يرقصان، وتقول باعلى صوتها : « كل يصلي على نبيه »، وذلك خوفاً عليهما من اصابتهما بالعين . وتظل النساء يزغردن ويغنين للعروسين الى ان ينتهيا من الرقص. فيدعوان غيرهما. وهكذا حتى يرقص جميع من في « التعليلة » من رجال ونساء وكهول وشبان وفتيان وفتيات

ويكون بين النساء من يحسن الدبكة على حدة رقصاً . فتدعى منهن واحدة او اثنتان بارعتان، فتنزلان الى « الحوقة » . ويأخذ الاديب يوقع على الدف التوقيع المطلوب . وتشرعان ترقصان، والشباب يصفقون لها، فيقول الاديب :

مالهـا ام الجدايـل مالها   تمشي وتشكي الثقل من خلخالها

فيردد الشباب الشطر الاول من هذه اللازمة فقط . والاديب يقول كل شطر على حدة هكذا

لو مشت عالارض يخضرّ اليبَسْ

والشباب تقول الشطر الاول بعده، وهو يقول :

والطير من كبد السما غنّى لهـا

او   يوم إجت عالنهر فاضت ميّتُه   رجعت وخافت لا تبل ذيالها

او   والعين سوده والعنق عنق الغزال   يا بعـد عيني ريتني خيّالها

فتأخذ الراقصتان تتفننان وتقفزان قفزات منتظمة : فتارة تفترقان، وتارة تجتمعان، وتارة تتقابلان، وطوراً تواجهان الجمهور او الاديب، وهو يزداد تفنناً في النظم حتى تتعبا وتدعُوَا اثنتين غيرهما . فتنزلان ويقول الاديب :

يا بو عيون السود زرارك حلّها   طالت الغيبه علينـا وحلّها

فترقصان ثم تدعوان غيرهما فتنزل « للحوقة » اثنتان وتطلبان من الاديب التوقيع على الرقصة « الديرعطانية » . فيأخذ الاديب يضرب الدف بيده على النغم المطلوب ويقول :

يا نايمـه يا نايمه   لا تقعدون النايمه

فيردد الناس هذه اللازمة ويصفقون، وهما ترقصان، والاديب يقول من هذه الابيات :

يا نايه ومرجحه واخصر زيّ المروحه
لولا الحيا والمستحى لاركض واحب النايه

او يا نايه نوم الطلي والدق عالمبسم حلي
لولا حيائي من هلي لاركض واحب النايه

او يا نايه نوم الخشف من فرقتك ريقي نشف
اخاف السر ينكشف وتكون الناس عالمه

او يا نايه نوم العجي حطي المخدة وارتجي (اي وارتكي)
ما تقوليلي ايمت اجي وتكوني قبالي قايه

وبعد ما تكتفيان تنزل واحدة فتطلب ان يوقع على غير هذا النغم، وتشير الى ما تريد، فيوقع ويصفق الشباب وهي تغني لنفسها وتقول :

دخلك يا طير علمني ناغا ناغا دخلك يا طير طالعني قصر الآغا
او زحانات الفلفل يا زحانات مشكلات قرنفل هالغاويات

فتشرع الفتاة في الرقص على هذه الاغنيّة، وهي ترحف على قدميها زحفاً وتحرك يديها وجسمها حركة منتظمة متناسبة مع زحفها . ويأخذ الاديب يساعدها ويغني لها على ما يوافق اللازمة، والشباب يصفقون حتى تنتهي هذه من رقصتها . فتطلب ايضاً توقيعاً ثانياً، فيلبي طلبها وينقر الدف ويقول :

ضاعت طاقية الحجّه جديده وما لقيناها
لقيناها في يبرود جينا وخليناها

او آه يا للا وسيدي يا لا لِلّي يابجرما انظرك سافر حبي فيك وما قال لي

فترقص هذه على التوقيع بانتظام وحركة موافقة له، وتميل يمنة ويسرة، وتتفنن في رقصها فتبهج الحضور . ويثور الشبان فيركعون على ركبهم ويشدّدون التصفيق، وتقوم ضجة عالية، والاديب يغني لها . لكنك لا تسمع او تفهم من قوله حينئذ كلمة واحدة من شدة الضجة والتصفيق

ثم يأمر الشيخ او احد الوجهاء ان تُدعى واحـدة من النساء مشهورة برقصها الرقصة التي يسمونها « شامية » . فتنزل هذه، ويدق الاديب، وتشرع هي ترقص وتغني لنفسها فتقول :

جوزي تجوَّز اربعه وانا صبيَّه وجاهله

فيردد الحضور اللازمة، ويقلِّلون التصفيق، ثم تقول :

لمَّن اخـذ الاوَّلى وأصبَحت هيكِ عامله (وتحني ظهرها قليلًا)

فيرددون اللازمة، وتقول هي مع الرقص والتمثيل :

جوزي يضرَب جوزي (على نغم مخصوص، وتكررها مراراً) ثم تقول

لمَّن اخذ الثانيـه أصبَحت هيكِ عامله (وتحني ظهرها اكثر من قبل) . وبعد ما يرددون اللازمة، تقول :

جوزي يضرَب جوزي . جوزي يعمى جوزي . (وتكررها)، ثم تقول :

لمَّن اخـذ الثالثه وأصبَحت هيكِ عامله (وتحني ظهرهـا كثيراً) وتعود وتقول : جوزي يطرش . جوزي يعمى . وجوزي يضرب وتقول

لمَّن اخذ الرابعـه وأصبَحت هيكِ عامله (وتنحني تماماً حتى تقعد على الارض . وتأخذ تقول : جوزي يضرب، ويعمى، ويفطس، ومعتَّر الخ) ثم بعد ما تلبسه كل ما عندها من المذمات تقول :

لمَّن طلَّـق الاولى وأصبَحت هيكِ عامله (وتقوم منحنيـةً قليلًا) وتقول : جوزي يسلم جوزي

وكلما طلَّق واحدة ترفع ظهرها وتقول : جوزي طيب . جوزي باشا . جوزي خيّر . جوزي جوزي الخ حتى يطلّق الرابعة، فترجع الى ما كانت عليه في ابتداء الرقصة وتأخذ تتمايل و« تفقش » باصابعها وتهز خصرها رافعة راسها فرحة طروبة، تقفز وتنطّ وتترنم بطلاق ضرائرها

وعلى هذا تنتهي التعليلة، فينصرف كل واحد الى بيته مسروراً

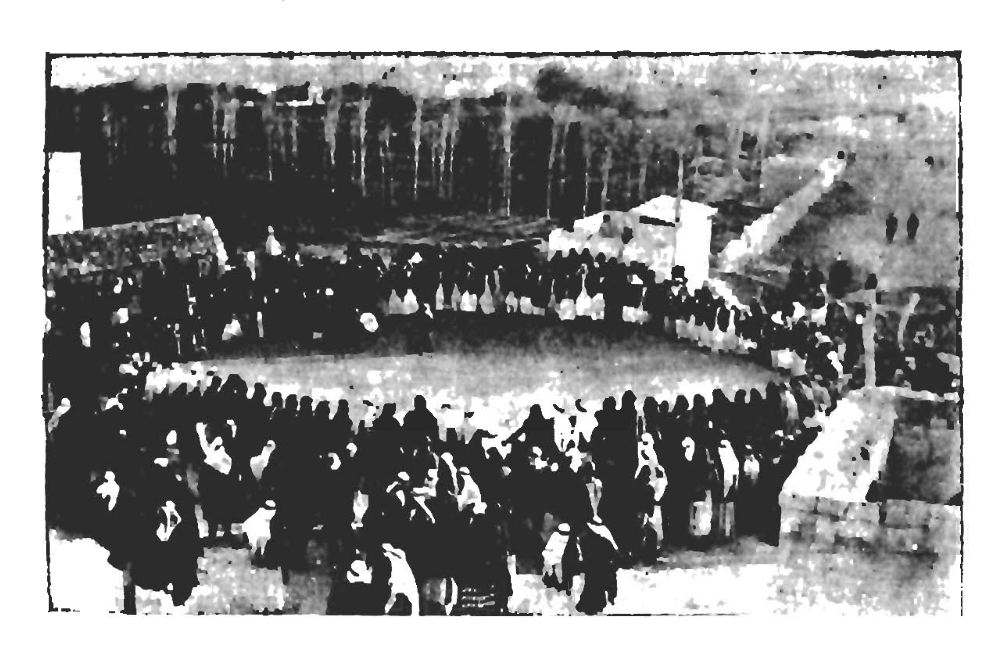
الدبكة

الدبكة انواع متعددة معروفة في بلاد سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وما بين النهرين وبلاد الاكراد . وهي رقص مشترك بين جمهور، يقوم به الشباب والشابات ايام الاعراس والافراح والمواسم، ويشترك فيه من يشاء ممن يحسن القيام بحركاته وسكناته وله المام بجميع انواعه . فللشباب وحدهم دبكة، وللنساء والبنات دبكة، وللجنسين مختلطين دبكة اخرى

كان الشباب قبلاً يتخذونها مدعاة للافتخار باجسامهم وشبابهم وتفننهم وبراعتهم في الرقص الخالي من كل خلاعة وتهتك، او وسيلة للرياضة البدنية، وتارة لمباراة الادباء والتلذذ بسماع اقوالهم . والنساء يتخذنها للرقص والغناء وللطرب والانبساط وللرياضة ايضاً

فتقسم دبكة الشباب الى عشارية ، وعرجاء، وكردية ، وشرقية، وشمالية ، وغربية، وغيرها . ودبكة النساء الى هادئة ومستعجلة . واليك بعض الايضاح عن هذه الانواع

يجتمع الشباب في دار العريس الفسيحة الارجاء، او في ساحة امام داره اذا كانت ضيقة . ويعقدون حلقة غير كاملة، متماسكين بالأيدي ، متماسين بالاكتاف .



صورة الدبكة حلقة

فيبدأون من اطولهم قامة، ثم الاقصر فالاقصر حتى الآخر . ويدعى رأس هذه الحلقة « السندة » . فيسند الشباب ويقودهم ويضبط حركتهم وسيرهم كما تقتضيه الاصول . ثم يأتي شاب من المشهورين المشهود لهم بقيادة الدبكة واتقانهم لجميع انواعها، وبيده سيف اوعصا او منديل مطرز الاطراف بحرير ملون، فيترأس هذه الحلقة ويقودها على ما يقتضيه نظام الدبكة واصولها . وهذا يسمونه « القيدة » . ويقوم في وسط هذه الحلقة شاب يحسن النفخ في المزمار او الشبّابة، او شاب يحمل طبلًا يقرعه عند الاقتضاء[1] . فيطلب القيدة من حامل الطبل ان يضربه للدبكة العربية مثلًا، ويفتتحها على التوقيع المطلوب والاصول المتبعة، ويتبعه بذلك السندة بنقل الرجلين وحركة الجسم بضبط واتقان ليكون قدوة للشباب الذين بعده . فيتبعونه كلهم كأنهم جسم واحد، يميلون كيفما مال قائدهم يمينًا او يسارًا بغاية الاتقان، يتقدمون ويتأخرون بخطوات معدودة ومنتظمة تتجسم فيها الرجولية والقوة والنشاط والفن والنظام بكل معانيها . ويأخذ القيدة يتفنن بحركاته وخطواته الموزونة وتنقلاته المتقنة وقفزاته المضبوطة، لا يخلّ بنظام الدبكة قيد شعرة ولا يتعدى الحركة العامة مطلقًا مهما تقلب وتفنن بحركاته . ويساعده على ذلك السندة ساندًا الشبان، مؤخرًا سيرهم، ليبقى القيدة حرًّا بحركاته

وكثيرًا ما كانت تدوم الدورة الواحدة نحو ساعة قبل ان يرجع القيدة الى المكان الذي بدأ منه الدبكة . وهذا يُعدّ براعة واتقانًا . وهو يلعب بالسيف حينًا، وتارةً يقفز قفزتين بينما الباقون يقفزون قفزة واحدة . وجميعهم يسكنون ويضربون الارض بارجلهم ضربة واحدة في وقت واحد . وتارة تراه كأنه يخالف النظام العام بحركاته وقفزاته ولا تلبث ان تراه عاد الى النظام وسار قيد الاصول

ويجتمع الناس حول هذه الحلقة بالمئات يتفرجون ويتمتعون بهذا المنظر البهج وهم قيام وقعود يشربون القهوة والنارجيلة، مسرورين بمرأى شبان تتدفق الصحة من وجوههم والنشاط من اجسامهم والابتسامات من ثغورهم وكل منهم يقول في نفسه « يا نفس اشتدّي . وما حدا قدّي »، ويضرب الارض برجله متجبرًا عليها بشبابه وهو يميل كالغصن الرطب مع الهواء كيفما مال

---

(١) هذا اذا لم يكن في العرس من جماعة النَّوَر بطبولهم وزمورهم



اللعب بالسيف والترس

وبعدما يكتفون من هذه الدبكة يطلب القيدة تغييرها الى شمالية مثلا او غيرها . فتكون اسرع من تلك حركة واخف ، وتختلف عن الاولى بعض الاختلاف بنقل الرجلين او الميل . فيلبى طلبه بعد وقوف قليل . وباشارة منه يقرع الطبال فيبدأ القيدة الرقص تبعاً به التوقيع ويتبعه السندة ومعه الشبان . ويأخذ جميعهم في الميل والقفز والنط الى الامام والعودة الى الوراء حسبما تقتضيه الحال . حينئذ تأتي امرأة وبيدها محمصة البن وعليها النار والبخور الجاوري والملح وورق الزيتون ، فتمر على مؤلفي هذه الحلقة مبتدئة من القيدة فتبخرهم وتحوطهم باسم الله وبالصلاة على الانبياء من عينها وعين خلق الله

ثم يتحولون الى دبكة اخرى « كالعرجا » وغيرها . وبعد ان يكتفوا من جميع انواع الدبكة المختصة بالشباب يطلبون الى الادباء الدبكة على « القول » اي على النظم مع الطبل . فينبري واحد منهم وينزل الى « الحوقة » ويطلب من صاحب الطبل توقيعاً معلوماً فيلبي هذا طلبه ويقول الاديب :

حليوه وين كنت اليوم عيونك شارده للنوم

فيردد الشباب هذه اللازمة وهم يرقصون . ويأخذ الاديب ينظم عليها ما توحي اليه قريحته او مما يكون محتفظاً به من نظم غيره، مثل هذه الابيات التي توافق النغم والتوقيع :

يا أَسمر السمر قُلِّي من جرح خدك ... هو جرح سكّين والّا احد عضّك
سايق عليك النبي سايق عليك ربّك ... لا تعاشر الغير وحياتي على قلبك
يا أَسمر السمر اهلك عيّروني فيك ... وكلما عيّروني زاد غرامي فيك
انت الحبق بالطبق وانا الذي اسقيك ... انت الثريا وانا الميزان ارعى فيك
حبّيتكم يا ترى وايش حبّبني فيكم ... حبّيت ما بين حاجبكم وعينيكم
حبيت ارضاً تدوسوها برجليكم ... حبيت جيرانكم كرمال عينيكم
حبيتكم خاص وانتم تبغضوا خالص ... وانا الذي من محبة غيركم خالص
وحياة ذاك النبي النوره ذهب خالص ... ما ظن يا عين تلاقي لك وليف خالص
حبيتكم لاستريح وانتم تعبتوني ... وكنت خالي الغرام انتم شبكتوني
وكنت ورده بحضن امي دبلتوني ... ما هو حرام على دقّة تفوتوني
حبّيتكم مثل زندي والسوار والكف ... حبيتكم ما دري هالكف من هالكف
لمن لقيتك بعشرة غيرنا مشتفّ ... بعتك بدرهم زغل لو كنت تسوى الف
يا ابيض البيض يا مجبول بالفضّه ... يا اكحل العين قلّي ايتى بترضى
ان كان اهلك واهلي اسّسوا البغضه ... اعمل انا العبد وانت السّيد لترضى
واقف على بابكم عرقان لاتهوّى ... وطلعت من داركم بالنار اتكوّى
جابوا المكاوي وقالوا يا صبي تكوّى ... وايش ينفع الكي برّا والوجع جوّى
سير يا حمام دوم وعرني لجناحك يوم ... لطير وعلّي وانظر لحبابي يوم
وحياة من سبحوا له بالصلاة والصوم ... اسكن جهنم ولا اقعد بلاكم يوم

فتستغرق هذه الدبكة مدة طويلة، لان الاديب يقول كل شطر من هذه الابيات على حدة . وهي سريعة يلزم لها نط وقفز كثير . فيطلبون غيرها ابطأ منها حركة عندما يدهمهم التعب . فيبطلون الطبل، ويقول الاديب مغنّياً على نغم هادئ

عدلى يا موليا عيني يأَلبنيّه

فهذا النغم يقال عليه كل بيوت موليا، كما سيأتي ذكره، ولا يلزمه نط ولا قفز، بل هو هادئ بطيء. فيردد الشباب اللازمة. ولا يكاد الاديب ينظم بيتاً او بيتين حتى تنساب البنات والنساء بين الشباب. فتمسك كل منهن بيد اثنين من اقربائها او انسبائها ويأخذن يدبكن معهم. وبعد قليل تصبح الدبكة مشتركة بين الجنسين. فيجعل الادباء يغنون وينظمون الاغاني المطربة، والجميع يدبكون بلذة وحبور. وبعد ان يأخذ الشباب قسطاً من الراحة تثير النساء. فتتحول الدبكة الى حركة مسرعة، فيقول الاديب :

ورد خدّ المحسنه   من قلّبه غير انا

فيقفز الجميع بانتظام، والبنات والنساء المتزينات والمتحلّيات « يخشخشن » بحلاهنّ « خشخشةً » توافق الدبكة فتجملها وتعطيها رونقاً خاصاً. والاديب ينظم الابيات الداعية الى الطرب فيسكرون جميعاً بنشوته. ومع ذلك لا يفتأون محافظين على الحشمة والادب كما يحافظون على نظام الدبكة واتقانها، فيقول الاديب :

يا ويل ويلي لهم   عقلي ومالي لهم
عالدرب لربط لهم   واقعد عادرب القنا   (اي قناة الماء)

فيتهيج الشبان عند ذكر القناة ويزيد النط والقفز والرقص. ويعود الاديب فيقول :

سمره يا ام الحلَق   مثلك ربّي ما خلق
لا بالغرب ولا بالشرق   ولا في كل الدنا

ويظلون هكذا الى ان يتعبوا فيغني احدهم اغنية هادئة مثل هذه :

قولون لام السالف   لغيرها ما والف

فيردد الشبان هذه اللازمة ويقول الاديب :

من سالفك عاجبينك   الله والخضر يعينك
عهد الله بيني وبينك   الله يخون اللي يخالف

من سالفك عالوجنه   من كثر ما علوَجنا
ما تشوف ما اروجنا   بالقول عا ام السالف

من سالفك عالخدِّ مطروح فوق مخدِّ
ما توصفلي شو بدّي انت حكيم وعارف

من سالفك عالصدرِ والوجه زيّ البدر
لو تعرف حالي وتدري ما كنت الي بتخالف

من سالفك عاتمّك ردي خبر على امك
رايح اميل ليتّمك بلكي نصير معارف

من سالفك عالعيني يا بعد روحي وعيني
خدك ورده بجنينه سعيد يا الّي قاطف

من سالفك عاكتافك تسلم حمرة شفافك
لا يكون حدا شافك من هيك انا خايف

من سالفك عالظهر يا لابسة الزهري
يا بنت لا تنقهري ويكون قلبك خايف

ثم ينتقلون الى غيرها مستعجلة فيقول الاديب :

يابو عيون السود زرارك حلها طالت الغيبه علينا وحلّها
او حليوه داب رمانك وانا عالباب استنّى (اي انتظر)
او لولح يا بو ردان يابا خلي الدق يبان يا با
وان كنت زعلان يابا دربك عالبستان يا با
وان كنت بردان يابا دربك عالحمام يا با
وان كنت عطشان يابا دربك عالرمان يا با
وان كنت جوعان يابا دربك عالصيوان يا با
وان كنت فزعان يابا تعا بقلبي نام يا با
او تخاويت انا والديب سرحان خاوياً خاويته باللسانِ
خاويته بعهد الله ولا خان خاواني بعهد الله وجاني
حبيبي رشقني بعود ريحان رشقته بندٌ وزعفراني

حبيبي كيف ما هب الهوا مال تمايل يا عويد الخيزراني

او هي هيُّوا راكبين النوق ريّضوا هجنكم ليَّ

ريّضوا واردفون الشوق على بكاره نعمانيه

حبيبي لو نزل عالسوق يتمايل بالحساويَّه

حبيبي يا بو عيون السود يا ربي تجيره ليَّ

ثم ينتقلون الى غيرها، الى هادئة قليلاً . فتطلب من الاديب احدى البنيات وتقول غنِّ لنا الفرنساوية. وهذه اغنية جاءت بها احدى عيال المسيحيين الدمشقيين هكذا :

هولا هولا بابا هولا كوميلبياني[1]

سفامنى جولي انا ما كيتريان

فاحبها الناس هنا واخذوا يغنونها هكذا :

ولا ولا بابا ولا كل البيان

صفرنت من جوعي امان امان امان

فيرددون هذه، ويقول الاديب :

يا ولد يا صغيّر يا نايم بسريرك

ابوك يقول لك نام وامك بتحدي الك

فيأخذ البنات حظهن من الاغنية، ويتجمعن كلهنَّ في جهة واحدة متماسكات بايديهن، ويأخذن الفوز حينئذٍ على الشباب بدبكتهن وخفتهن بالنط والوثب والقفز والدبك حتى يكلّ الجميع فينفرط عقدهم

---

(١) وقد سمعنا هذه الفقرة تغنَّى بطريقة اخرى :

فوالا فوالا بابا فوالا فوالا ماما

سافر ملك جولي انا ما كثير بيان

اعيادهم

اعياد المسلمين

يعيّد المسلمون عيد الفطر المبارك بعد ما يصومون شهر رمضان بكامله : فيصومون النهار كله بلا اكل ولا شرب من السحور الى الفطور ، لا يأبهون لصعوبته مهما كان النهار طويلا وحره شديدا ، طاعة لله وتعبدا له تعالى . وكان الشيوخ يقضون الليل والنهار في الصلاة والتعبد لله كما قال الفارض :

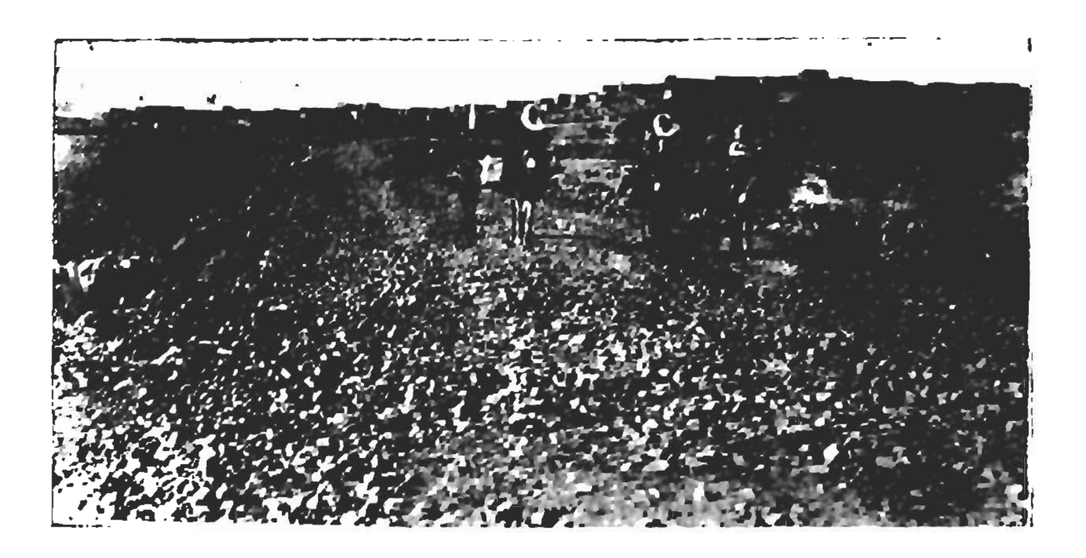
في هواكم رمضان عمره ... ينقضي ما بين احياء وطي

والشبان والكهول يقضونه في الشغل والعمل ، لا تمنعهم صعوبته في الصيف من الحصاد والدراس والسطاح وما شابه ذلك . وما كنت ترى بينهم احدا بلغ



الحصاد

الخامسة عشرة من عمره وما فوق يجسر على الافطار جهرا . وكان المسحرون يطوفون في شوارع البلد وازقتها بمزاهرهم وطبولهم من قبل نصف الليل يضربون عليها فيوقظون الاهالي للسحور قائلين : « لا اله الا الله ، يا نايم وحّد الله » فيعطونهم ما



فلاحون ذاهبون الى الكروم لقطف العنب وجعله في الصناديق

ياكلون مع رغيف من الخبز . وابتداء من الثلث الاخير من شهر رمضان يصعد بضعة شبان الى المأذنة بعد المغرب ويشرعون ينشدون الوداع قائلين :

فودعوه ثم قولوا له   يا شهرنا هذا عليك السلام

زها، ساعة من الزمان حتى آخر الشهر . وفي الليلة الاخيرة منه، حينما يثبت حلول العيد، يصعد بضعة رجال من الأئمة والخطباء ومشايخ الدين الى المأذنة بالتهليل والتكبير معلنين بذلك حلول عيد الفطر، فيفرح الناس ويتهللون ويبدأ العيد . وفي الغد باكراً قبل شروق الشمس يتزين الرجال والنساء والاولاد باحسن ما عندهم ويذهب الرجال افواجا الى الجوامع لحضور صلاة العيد . وبعد الصلاة يذهبون لزيارة الموتى . ويوزع كل واحد ما يمكنه صدقة عن ارواحهم ويعطي كل واحد الفطرة المفروضة عليه للفقراء، وهي رطل من الحبوب عن كل شخص، حفظاً لصيامه . فانهم يعتقدون ان الذي لا يعطي الفطرة يبقى صيامه معلقا بين السماء والارض . ثم يرجعون لمعايدة الأئمة والخطباء و« المشايخ » اي المخاتير . فيكون هؤلاء مهيئين السفرة في الغرفة الكبيرة عندهم، وعليها من المآكل المتنوعة، مثل الكبة مع الشوربا، والارز المطبوخ باللحم واليخني بالحمص واللحم واللبن الخ . فيدخل الناس قائلين « عيد مبارك » او « اياكم سعيدة » . فيجيبهم صاحب البيت : « علينا وعليكم » و« اياكم اسعد » . فيأكل الناس على قدر ما يشتهون . وتبقى هذه السفرة مبسوطة من الصباح الى المساء في بيوت المشايخ والوجهاء والمثرين

الكرام[1] . ويعايد الناس بعضهم بعضاً ويقولون ايضاً : « عيد الآتي تكونوا بجرم الله الشريف . وتفرحوا باولادكم » . فيجيبونهم : « برفقكم . وان شاء الله تفرحوا باولادكم . او نفرح بك »، اذا كان المهنىء لا يزال اعزب

وكان الرجال والشباب والاغنياء يعطون لكلٍ من الاولاد الصغار في البيت الذي يعايدونه قطعة من النقود الرائجة في ذلك الوقت تدعى « مصريّه »، وهي تساوي البارة اي جزءا من اربعين من القرش . واخيرًا راجت عملة يسمونها « نحاسة » تساوي بارتين ونصف، فصاروا ينفحون الاولاد منها فيفرحون ويسرحون ويمرحون بها . وتنقضي ايام العيد الثلاثة والاولاد والشبان معيدون يلعبون بالبيض الملوّن. اما اكثر الرجال فما كانوا يمتنعون عن القيام باعمالهم الزراعية وغيرها الا يوم العيد فقط . وقد قيل لرجل كان حاملاً « مرا » وذاهباً الى الشغل في ارضه : كيف نراك ذاهباً الى الشغل واليوم عيد ؟ فاجابهم بعد ان هزّ راسه : ان العيد « هالمرّ السعيد »، اي هذا المر السعيد

وبعد ظهر ذاك النهار يتوارد الشباب على بيت مشايخ الطرق ويأخذون في الضرب على الطبول والمزاهر والصنوج . وتحمل السناجق والاعلام ويركب الشيخ صاحب هذه « السياره »، كما يسمونها هنا، فرساً يقودها شاب ذو صوت جميل ينشد للشيخ وراء السنجق اناشيد دينية . ويذهبون بها بموكب حافل تعلو فيه اصوات الرجال بالاناشيد والانغام المختصة بهذه الحفلة، مثل « شيللاه احمد يا رفاعي » او « موالي يا موالي يا موالي ابو العلمين سلطان الرجال »، او « صلي يا ربي وسلم عالنبي احمد المختار طه العربي » او « صياد يا صياد يا صيادِ والشيخ عبد القادر البغدادي » وغير ذلك من الاناشيد والاهازيج

وكان بعض الشبان المسيحيين يشاركونهم احياناً في تلك الحفلات، فيضربون معهم على المزاهر و« الخليليات » اي الصنوج . ويذهبون معهم لزيارة مقام « الغفري » خارج البلد . فيقعدون في ظل جوزته المشهورة حلقة من الشبان يقفون متراصي الاكتاف متلاصقي المناكب، ويقيمون هناك ذكراً حافلاً يذكرون به الله بلهجات وعبارات مخصوصة مثل « الله » و« الله حي » و« الله حي قيوم » . ولكلٍ من

---

(١) قد الغيت هذه العادة في ايامنا واستبدلت بتقديم المرطبات والحلواء.

هذه الادوار الثلاثة نغم او هجة مختصة بها يبدأ بها الشيخ وهو واقف في وسط الحلقة حاملا بيده محجنة . فيلتفت الى اليمين مع انحناء قليل قائلا « الله »، والى اليسار كذلك . فيتبعه بذلك افراد الحلقة بالقول والميل والانحناء مؤلفين كتلة واحدة . ويأخذ الشيخ يسرع في هجته وحركته رويدا رويدا . وفي اثناء ذلك ينشد ذوو الاصوات الجميلة اناشيد يوحدون بها الله ويمدحون بها النبي والاولياء . فيطرب بها الذاكرون وتأخذ بعضهم رعشة هي « نشوة الذكر » تبلغ حتى الغيبوبة والغشيان فترة قليلة . فيضرب المشايخ انفسهم، وتارة « خلائفهم » اي تلاميذهم بالسيوف . ويدخلون في بطونهم « الشيش »، وهو نوع من النصال او الحراب المعدة لمثل هذه الحفلات . وعندما يستفيق المغشي عليهم من غيبوبتهم، يبدأ الشيخ بالدور الثاني قائلا « الله حي » : فيلتفت الى اليمين قائلا « الله » ثم الى اليسار قائلا « حي » . وكذلك في الدور الثالث يذكر وينحني ويميل كما يقتضي الحال

ثم يعود الشبان الى حمل السنجق والاعلام والضرب على « النوبة »، كما يسمونها، وهي الطبول والمزاهر والصنوج . وينبطح الرجال حينئذ على بطونهم متلاصقين صفا طويلا، ويقف الى جانبيهم رجال على طول الصف، فيمر الشيخ بفرسه عليهم، ويتبعه باقي المشايخ اقرانه . ويقوم الرجال بدون ان يصاب احد منهم باذى . وهذه يسمونها « الدوسة » او « الدعسة » . ويرجعون في طريق اخرى الى بيوتهم . وتكون النساء والبنات سائرات وراء هذا الموكب يرافقنه . وكثيراً ما كانت النساء يقفن على السطوح



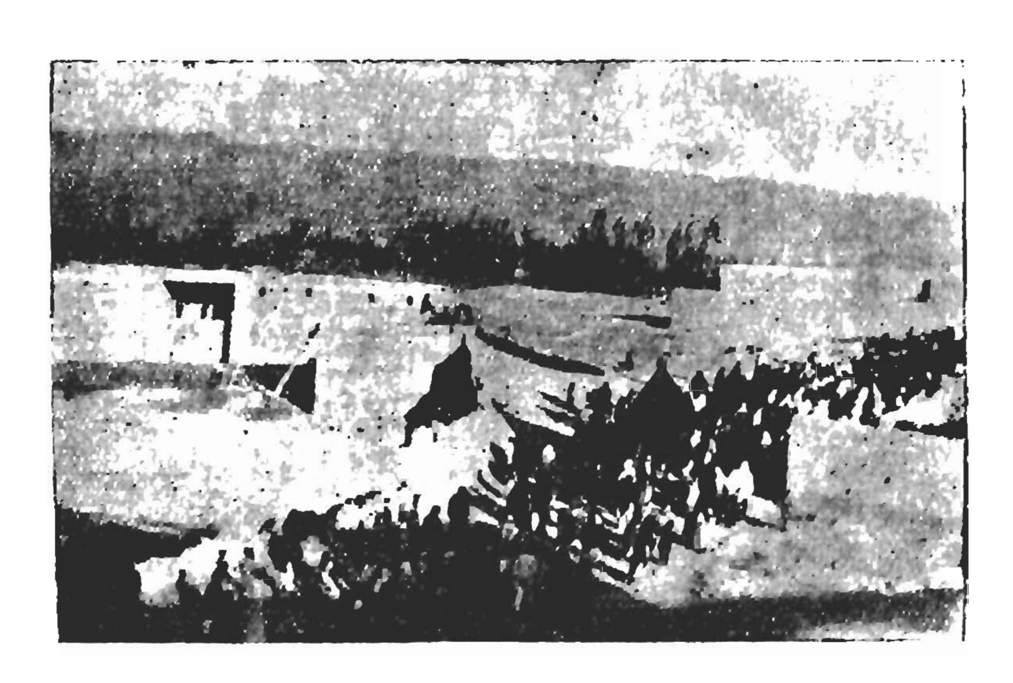
احد المشايخ يسقي دابته من النهر

او في النوافذ حتى يصل السنجق اليهن، فتربط احداهن منديلاً باحد اطرافه طالبة الى الله الشفاء من مرض او الخلاص من مأزق حرج وهكذا يصير في عيد الاضحى

عيد الخضر

ويحتفلون بأبهة بعيد الخضر (٢٣ نيسان على الحساب الشرقي) لان له في النبك، في اعلى موقع منها، مقاماً[1] يقدسونه وينذرون له النذور الكثيرة بحسب الاعتقاد و«الامانة» والعادة منذ القديم. ولهذا المقام قيم او خادم يتصرف بما يأتيه من النذور. وعليه ان يقوم بكل ما يلزم من ترميم وتنظيف و إنارة وما شابه ذلك، وان يدعو كل سنة قبل حلول العيد بيومين او ثلاثة اهل الحي وأئمة ومشايخ ووجهاء البلدة الى تناول العشاء في هذا المقام ليلة العيد والى اقامة الذكر بجامعه كما ذكرنا. ويدعو ايضاً مشايخ يبرود «ذوي السناجق اي ابناء الطرق» سنوياً، ما لم يكن مانع قاهر. ويدعو ايضاً بعض السنين مشايخ قليطة والمعرة وقارة ودير عطية لتناول العشاء ليلة العيد وللاشتراك في اقامة الذكر بجامعه

ففي اليوم السابق للعيد كان يأتي من مشايخ يبرود شيخ او شيخان بسناجقهما واعلامهما «ونوباتهما»، ومعهما رجال ونساء لزيارة الخضر والتبرك ببركته. فيخرج



حاملو السناجق والاعلام في بعض الاعياد

(١) هو جامع ومأذنة قديما العهد مبنيان بالحجر

مشايخ النبك بسياراتهم ايضاً ورجالهم، وهم يقرعون « نوباتهم » ويهزجون بالاناشيد الدينية، الى ملاقاة الضيوف خارج البلـد . وحينما يدنو هؤلاء ينزل المشايخ عن مطاياهم، ويجثو حاملو النوبة على ركبهم ويأخذون في الضرب عليها « طابق حربي » كما يقولون اي ضرباً مستعجلاً . وعندما ينتهي الطابق يقرأون الفاتحـة ويصافح بعضهم بعضاً بالطريقة الخاصة بهم : فيلاقي الشيخ زميله واضعاً يده عـلى كتفه ويتبادلان القبلات ثلاثاً . وبعـد انتهاء السلام يركب المشايخ خيولهم وتجتمع النوبتان فرقة واحدة ويسيرون امام سنجق الضيوف، ووراءه سناجق البلد، والرجال حولهم يُعدون بالمئات، ويعودون ادراجهم بموكبهم الى مقـام الغفري . فيزورون ويعقدون تحت جوزته ذكراً لله تعالى، كما سبق وصفه . واحياناً كان الشيخ يشير الى احد انسبائه او تلامذته فيأتي اليه عارياً الى اسفل الصدر، بلا خوف ولا وجل . فيصرخ الشيخ « يا جداه » ويدخل حربة في خاصرته حتى نصفهـا . ويأتي آخر فيدخل حربة ثانية في عنقه او خده . وثالث كذلك، او يضرب واحد خاصرتيه بحربتين . ويأخذ المضروبون على هذا النمط يخطون خطوات منتظمة ويميلون يمنـة ويسرة في وسط الحلقة، متبعين حركة الذكر، يذكرون اسم الله مع الذاكرين، غير مبالين بالنصال او الحراب المغروزة في اجسامهم . وبعـدما يكتفون من هذا الذكر يحمل الشباب السناجق والاعـلام ويقرعون النوبة ويرجعون مخترقين البلدة بموكبهم، يتقدمهم المطعونون بالحراب . فيزورون مقام الشيخ علي القصير في طرفها الشرقي ويذكرون الله في ساحته، بينما المشايخ يدخلون مقامه ويقرأون الفاتحة . ثم يرجع الضيوف الى مقام الخضر ويحلّون ضيوفاً فيـه . حينئذ ينزل الشيخ فينشل الحراب من اجسام المطعونين، ويأخذ من ريقه ويدهن به الجرح وهو يرتعش ويذكر اسم الله ويصرخ « يا جداه »

فيتقاسم اهل البلدة الضيوف ويدعونهم للمنامة في بيوتهم . وعند حلول وقت العشاء يرد الضيوف والاهالي الى مقام الخضر، حيث يجدون الاسمطة مفروشة وعليها الطعام، وهو من « الشاكريَّة » والبرغل . فيأكلون ثمّ يهبُّون الى اقامة الذكر تلك الليلة . وفي عصر يوم العيد يخرجون كلهم بسياراتهم الى الغفري، ويفعلون كما فعلوا امس او يزيدون عليه ضرباً بالحراب والدبابيس والسيوف، ويقيمون الدعسة كما اشرنا سابقاً . وفي الغد بعد العيد يعود الضيوف الى بلادهم مشيَّعين كما استقبلوا بالحفاوة

اعياد المسيحيين

اما اعياد المسيحيين فكثيرة، ولا يكاد يمضي اسبوع بدون ان يقع عيد احد كبار القديسين او تذكار لاحد الاسرار المقدسة فيقيمون العيد بقداس في الصباح ويمتنعون فيه عن اشغالهم العالمية . ومنذ القديم تخصص كل عيد باحدى عيال المسيحيين الروم الكاثوليك، ولا يزال هذا التخصيص الى الآن . وكان على صاحب العيد ان يقدم للكنيسة رزمةً من الشمع، وحسنة للكاهن، وكمية من الخبز المخصوص الذي يعتنون به عناية تامّة، فيكون ممتازاً من الخبز العادي مطبوعاً بطابع ديني تظهر فيه علامة الصليب[1]، ويسمون هذا الخبز « قربان » ويبعث منه اصحاب العيد الى بيوت كل من المسيحيين بقربانة واحدة . وعلى صاحب العيد ان يعد بيته لاستقبال المهنئين . فيجلس وامامه القهوة العربية، فترد الناس لمعايدته . وكان عليه قبلاً ان يدعو الكاهن الى الغداء، ثم يدعوه من جديد الى العشاء. ويدعو معه اقرباءه وانسباءه الاخصاء . وتكون السهرة عنده تلك الليلة . فيقضونها في الاحاديث والمسامرة او يلعبون بالورق بلعبة « المئتين »



عربان يقصدون النبك ليبيعوا فيها غنمهم في الاعياد الكبرى

---

(١) على الشكل الآتي $\frac{\text{IΣ} | \text{XΣ}}{\text{NI} | \text{KA}}$ ومعناها « يسوع المسيح يظفر »

عيد الفصح

اما عيدهم الكبير فهو عيد الفصح المجيد . يأتي بعد صيامهم سبعة اسابيع لا يأكلون فيها سوى الاطعمة المصلحة بالزيت وينقطعون عن كل اللحوم والبياض ايضاً، ما خلا المرضى الذين يأذن لهم الكاهن في الافطار وتناول الاطعمة التي يشاؤونها . ويقضون ايام الصوم هذه في الصلاة والتعبد لله تعالى

وفي الاحد الثالث من الصيام يزينون اولادهم الصغار ويحملونهم اغصان الزيتون، معلقين فيها الشموع الصغيرة، ويذهبون بهم الى الكنيسة . وفي آخر القداس يحمل الكاهن طبقا مملوءا من الرياحين والازهار، ويقومون بزياح ضمن الكنيسة حاملين الصليب، والصغار يحملون اغصانهم بما فيها من الشموع المشعلة ويرتلون بترانيم روحية مثل « المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة » وغير ذلك من الترانيم الطقسية . ويسمون هذا الاحد « احد الزهور »

ويفعلون مثل ذلك في الاحد السادس ايضاً، ويسمونه « احد الشعنين » . وفي الاسبوع الاخير من الصيام تجمع النساء من ورق الزيتون في اكياس يضعنها في الكنيسة ليكتسب الورق بركة عند قراءة الاناجيل التي تتلى في هذا الاسبوع العظيم . وكانوا يعتقدون ان هذا الورق يتقدس وينال بركة خصوصية . فاذا اصيب احد اولادهم بمرض فجائي يعزونه الى « العين » الشريرة، اي اذا أصيب بالعين، « بخّروه » به مخلوطاً بقليل من الملح . والمسلمون انفسهم يعتقدون بمفعول ورق الزيتون هذا ويستعملونه كالمسيحيين ويسمونه « شعنين »

اخوان بلباس العيد احدهما بالقميص العربي « المردّن » والثاني بالزي الفرنجي وهما ولدا احد كبار مشايخ النبك منذ ١٥ سنة

وعند بزوغ فجر العيد يقيمون قداساً احتفالياً . فيأتي الناس لصلاة العيد ويرجعون الى بيوتهم فرحين ليتناولوا طعام العيد الذي كان محرَّماً عليهم جميعاً، من الطفل الى الشيخ، مدة ٤٩ يوماً . فيأكلون مما طبخوا تلك الليلة من الكبة مع « الشوربا » واللبنية . ويسلقون البيض ويصبغونه الواناً لاولادهم . فيقضي هؤلاء ذلك النهار يلعبون بالبيض . ويذهب الرجال قبل كل شيء لمايدة الاسرة صاحبة العيد، ثم يذهبون جميعهم لمايدة الكاهن بعدما يجمعون من الدراهم ما يقدمونه له بمثابة « معايدة » او « عيدية » . ويخرجون لمايدة بعضهم بعضاً قائلين: « المسيح قام » . فيجيبهم صاحب البيت « حقًّا قام . العيد الآتي تفرحوا باولادكم . (او) تكونوا بالقدس الشريف » فيجيبهم المهنئون: « واولادكم . (او) برفقكم ان شاء الله » . ويظلون على هذا ثلاثة ايام . ويسمون العيد الكبير عيد الفصح

اما عيد الميلاد فقد ظلَّ معتبراً عندهم صغيراً يعيدون له كما يعيدون للاعياد العادية حتى اوائل القرن الحاضر، إذ اخذ اعتباره يزداد عموماً

المآتم

عيادة المرضى

كانوا متى مرض احدهم وطالت عليه العلة، يتهافتون لعيادته رجالاً ونساء . وكان على النساء ان يحملن للمريض شيئاً من الكعك او البرتقال او الرمان الحلو او الاجاص الشتوي او البطيخ، لانهم كانوا يعتقدون ان جميع هذه الاشياء مباح اكلها للمريض وغير مضرَّة به أيًّا كانت علته، ولاسيا اذا مال الى الشفاء ودخل في طور النقه . وأما اذا اشتدت عليه وطأة المرض واخطر، فيكثرون التردد اليه بدون ان يحملوا لهُ شيئاً . ولا يجوز عندهم دخول مريض ناقه على مريض لا يزال طريح الفراش ما لم يذهب اولاً الى الحمام لئلا « يكبسه » على اعتقادهم . واذا اخطر المريض نام عند امه او اخته او زوجته بعض ذويها لمساعدتها على خطبها

الوفاة

وعندما تحدث الوفاة تُمنع والدة المتوفى او زوجته او اخته من البكاء والصراخ وتقوم بعض القريبات الحاضرات بتبديل ثياب المتوفى بثياب تكون مهيأة عند الكثيرين، مسلمين كانوا ام مسيحيين، الذين يحضرونها من مكة او من القدس يوم حجهم اليها . وبعد ما يتممون الباس الميت ثيابه هذه يضعونه على فرشة عالية وثيرة يسمونها « المرتبة » . حينئذٍ تصرخ النساء من اهله واقاربه مولولات ومعولات فتجتمع الناس حوله وحداناً وزرافات، والنساء يندبن ويلطمن وينحن عليه . وبحسب اهمية المتوفى تكون شدة الندب وخفته . ويردّدن ابياتاً مختصة بالمآتم يعددن فيها مناقب الفقيد، حاثات ذويه من الرجال والنساء على البكاء والحزن، طالبات اليهم ان يبيعوا كل غالٍ وثمينٍ ويشتروا فقيدهم . فيبكي لاقوالهن المحزنة جميع الحاضرين . ولا تزال النساء على ذلك حتى الدفن فتأتي الواحدة تلو الاخرى لتعدد وتقول ما عندها وتظهر اشتراكها في مأتم الفقيد . على ان بعضاً منهنّ يتباكين ولا يأتين الا للتفرّج والانتقاد فقط

اما الرجال فيجتمعون في غرفة من غرف دار الميت وحدهم، فترى البعض باكين، والبعض الآخر واجمين، وغيرهم يتحدثون عما يختص بالمآتم، فيقصون على اهل الميت قصصاً وامثالاً من عظائم المصائب والنوائب السالفة، مما هو اعظم من المصاب الحاليّ، بعبارات موافقة للمقام . ولم يكونوا في القديم يشربون القهوة لانها كانت ممنوعة في مثل تلك الاحوال، خلافاً لما هو جارٍ في ايامنا

وعندما تتمّ جميع تجهيزات الميت، التي يقضونها بكل سرعة، ينقل الى المعبد ويصلّى عليه . ثم يحملونه على نعش فوق الاكتاف، ويسير وراءه اهله وذووه ومن يشاء من القوم رجالاً ونساء، وباقي القوم من حوله، وامامه رجال الدين يقومون بمراسيم دينية لا بد منها . ويتسابق الشباب الى حمله اكتساباً للثواب والاجر حتى المدفن . وبعد مواراته يقف ذووه صفّاً واحداً قرب الضريح ويمر الناس امامهم معزين قائلين : « العوض بسلامتكم، او البقية بعمركم، او يسلم الدين والايمان »

ويرجع الرجال معهم الى حيث يعترضهم احد الوجهاء او الانسباء ممن يكون بيته على طريقهم . فيدخلهم اليه ومعهم بعض الرجال، ويضع امامهم طعاماً

فيأكلون، لان ذوي المتوفى غالباً لا يذوقون شيئاً من الطعام قبل دفن فقيدهم

اما النساء فيرجعن من المدفن مولولات نادبات يرقصن رقصة الحزن المألوفة عندهنّ

واذا كان المتوفى شاباً عزيزاً على القوم يزينونه كما يزينون العريس، وتغني له النساء من اغاني صمدة العريس يوم عرسه، ويحدو الشبان حداء ملائماً للمقام، والنساء يحللن شعورهن ويتعصبن فوق المنديل ويقلبن ثيابهنّ ويلبسن فوقها عباءة المتوفى او رداءه او عقاله او شملته . واذا كان المتوفى من المشايخ او الوجهاء الذين يركبون الخيل ويحملون السيوف فتلبس زوجته او اخته او ابنته سيفه او شيئاً من سلاحه، وترقص به بين النساء . ولهذا الرقص اصول وقواعد خصوصية . والبعض كن « يشحّرن » وجوههن وايديهن ويلوثن الحيطان بشيء من « الشحّار »، ويتلفن احواض الازهار والورود التي عندهن، ويمزقن ثيابهن ويلطمن خدودهن فيجرحنها جروحاً عديدة . ثم يتوارد المعزّون الى بيت الفقيد من رجال ونساء، ويجتمع كل من الفريقين في غرفة خاصة . فيدخل الرجل قائلاً : « العوض بسلامتكم، او البقيــة في عمركم » فيجيبه اهل البيت : « عمركم باقي، او على سلامتكم وسلامة اولادكم » ويأخذون يتجاذبون اطراف الاحاديث مما يناسب المقام

ويظل الرجال يترددون على اهل هذا البيت مدة طويلة او قصيرة بحسب مقام الميت واهله، فيخففون عنهم مصابهم ويؤاسونهم . والنساء القريبات لاهــل الفقيد ينمنَ عند اهله بضع ليالٍ . ثم يخف ذلك رويداً رويداً على توالي الايام . ويبقى مع ذلك على الناس ان يزوروا بيت الميت في ايام الاعياد، و« يأخذوا بخاطرهم » في بعض الظروف الى سنة بعد الوفاة

الاهازيج والاغاني

اختتم مؤلَّفي هذا بتدوين ما لم ادوّنه من مطالع الاغاني والاهازيج، التي كانت رائجة في الماضي وكان الناس يتغنون بها في هذه البلاد في افراحهم واوقات انسهم ولهوهم، وبعض ابيات من العتابا والموليا، قبل ان تمحوها السنون مع ما محت، لتبقى محفوظة . فعسى ان تروق القراء الكرام

مطلع او لازمة الاغاني للرقص على التوقيع الدارج

شفت القمر متجلي من قبالي طل — حاكيته مدري ايش قالي دشرني وفل[1]
او لا تمايل مقبالي دخلك يا غزال — بتوقع والمطرح عالي بالله تنزل
او يا غزالي يا مدلل يا غزال — حاج تعذب مهجتي يا ابن الحلال
او يا غزال البرّيه وارد عطشان — كنه[2] مهره رباعيه طالب ميدان
او حبي عما يناديلي من سوق الشام — الله يحرس هالميلي وذاك الهندام
او يا بومنديل مختّم لا تتلثّم — ليش تحاكي البراني جارك الزم
او يغبوني عاليغبوني دخلك يا غبين — وانا التايه دلّوني عالدرب منين
او يا لايم الله يليمك لايمني ليش — ومدوّر في خلق الله مدري قدّيش
او نيال العنده تينه جوّات الباب — ياكل منها ليشبع من غير حساب
او غزالي غزالي طاب شغلك طاب — والقمر سلّاني لنص[3] الليل وغاب
او يا سمر بالله حنّوا علينا — مهما تغلّوا نحن اشترينا
او يا ليل ويا ليل طوّل علينا — نحن الحبايب هون[4] التقينا
او سيّر ظريف القامة — حجله ذهب يا ياما
او يا مرحبا بالنشمي — واركيلته تباري له
او يا تمر مالك نوى[5] — عندك رماني الهوى
او لله لله يا بنيّه — يا وارده عالميّه
انت الدلال يلبقلك — وانا التعتير عليّ
او بالله عليك يا قمر — سلّم على حبابي
او ما احلى الشب بجماله — والختيار بكماله[6]
او يا ريحان بصدر الدار — تعجبني دواليبه

---

(١) اي راح (٢) كأنه (٣) اي حتى نصف الليل (٤) اي هنا (٥) اي نواة
(٦) هذه يغنونها لرجل قريب من الشيخ

او يا ريحاني يا ريحان كل يوم تشرب عدان
او ايشلي بشَمّك ياريحان عندي الورد بيكفيني
او يا حيف الزمان يروح وايام الجهل تولّي
او يا قرنفلة ال بالشباك بدي منك تشكيله
او يا ليلة هنا وفراح للّي حظي بمحبوبه
او يا عمي يا بغدادي وصّلني على بلادي
او يا سيدي مشمش الحموي داب على امه داب
غصين البان يا ميَّال مال على امه مال
يا عيني مشمش الحموي مال على امه مال
ثم رافق اجاويد منهم تكتسب وتنال ويعدّلوا محملك بيناتهم لو مال
بوصيك ياصاح لا ترافق من الانذال تصبح مضيّع لا مكسب ولا رسمال
مال على امه مال يا عيني مشمش الحموي
داب على امه داب

اللازمة

هيك مشق الزعروره يا عيوني هيك

هيك مشي الغندوره يا عيوني هيك هيك شكل التنوره يا عيوني هيك
هيك صيد العصفوره يا عيوني هيك هيك مربى القصوره يا عيوني هيك
هيك يساير مراته يا عيوني هيك هيك يجاكر حماته يا عيوني هيك
هيك يستقبل ضيفه يا عيوني هيك هيك يلعب في سيفه يا عيوني هيك

وكثير من هذه الادوار ترقص عليها المرأة وهي تغني وتشير بيديها محاكيةً كل ما ذكر، والناس يرددون اللازمة فقط

مطلع الاغاني للرقص على الدقة الدبرعطانية

يا ورد خدك عسل وجناينك جنه

او يا حليوه داب رمانك وانا على الباب استنى[1]
او يا نايمه يا نايمه خلّوا الحليوه نايمه
او يا طير الحمام يا يا طير الحمام ليه
او روحوا يا بنات خلوني بحالي
او فتّح زهر البيلسان على امه غصان غصان
او عالهيله والميله يا سروج الخيل
او امان يا امي والعشق بليّه

مطالع اغاني للرقص «سحجاً» اي مستعجلاً

يا دار السعد يا دار عمرانة وتزيد عمار[2]
او مكسب هالساعه مكسب واكسبوها يا شباب
او اه يابا بدي عبا حمره جديده مقصّبه
او يا ولد يا حبوبا قمره والشمس غروبا
او ليّ يا ربعي ليّ لا عاش وليد الرديّه
يا ولد يا حبوبا
او نحنا دقّاقين الهيل اماره بظهور الخيل
او يا عمي دير القدح بير المويّه نضح
او لمن هالمنسف يدرج على حروفه
منسف فلان الفلاني نحن الليله ضيوفه

اما الشبان فيقولون هكذا :

نحنا كسرنا الخياله ونـدلل عالموت دلاله
او نحنا صبيان وشباب بضرب القنا ما بنهاب
او برهوم وشلك عندنا حوران والنقره لنا

---

١) اي انتظر (٢) يقولونها حينما يدخلون دار العريس او دار احد الوجها.

مطلع الاغاني التي تقال في الدبكة ويتبارى فيها الادباء

يا زينه زتي وزيني عاجناح الوز ما بعلقش ميازيني عا وقية رز

قالوا ليش واقف عالباب قلت حبابي جوّاته
راسي شاب وقلبي داب وكل من يحكي صفاته

عندي حوض من الريحان مزروع بجد الميّه
واسقيته بكعب الفنجان والناس مشتلقه عليّ

شربت البحر ونشّفته ومشيت بارضه حافي
احلف يمين ما شفته ولا بلبّل روس شفافي

يا للي تلعب بالخشطبّ اصحى ودير بالك تعرضّ
بدنا ندرس فن الطبّ حتى نداوي اللّي بيمرضّ

بطلنا جميع القول وبدنا نرصد عالقمحه
هتلي حبّي يداويني ويعطيني بتمي قمحه

شدّوا رفاقي عالرحيل وانا دنيت جمالي
ما كل من غنى يا ليل بندعيه من القوّالي

كنت بزماني غنّي القوّالة تاخذ عنّي
لا تحمنّي نسيت القول لكني موقّر سنّي

طلعت شمس الميّالي من فوق الجبل العالي
والجاهل عقله دوّار وانا بعرف من حالي

الخصر بيمرق من الدملج ما بيحمل ثقل الزنار
يا رفاقي لمّن يعوج اسرع من ببور النار

او يا صايد الاحجالِ من صوت حبي جالي
او يا ريمة اللي باول الغزلانِ ترعى النفل والعشب والريحاني

مطلع اغاني الدبكة المسجلة وكان الشباب والصبايا يدبكون عليها «للبسط»

هيكــالو هيكالو العرضـه يا جمــالو
عــلي العلي العلّيو يــا مزنزه بشالُيو
عالعميّم عالعمـــام بيضـه وحمره يا سلام
فطّومه فطومــه العــالي يا بونجوما
عالدوم عيني عالــدوم محلحله وتريــد النوم

اغاني شرقية

هي هيّــو راكبين النــوق ريّضوا هجنكم ليّ

* * *

بطه وحمــامه يتقابلوا عــلى العين يا ويلي بطه وحمامه
ريش النعــامه يا جــديلة المحبوب يا ويلي ريش النعامه

غرني بزبونو تاري الولد فــلاح يا ويلي غرني بزبونو
فــدوه لعيونو كلمن لبس العقــال يا ويلي فدوه لعيونو

مسعــد يا تنود يا ململم الزينــات يا ويلي مصعد يا تنود
والخــد بلور والعين عين عقاب يا ويلي والخد بلور

دق المجيــدي دقيتني يــا شوق يا ويلي دق المجيدي
وانا بجديــدي كل المهاره طــلاق يا ويلي وانا بجديدي

طوحي يا غيمــه بــين السما والقاع يا ويلي طوحي يا غيمه
والله ظليمــه بنيه بحضن شايب يا ويلي والله ظليمــه

قم حبــني وفوت والعب على الخدّين يا ويلي قم حبني وفوت
تالي العمر مــوت وايش لك بحكي الناس يا ويلي تالي العمر موت

من هونــه للعراق حبل العشق ممدود يا ويلي من هونه للعراق
يا شهر الفراق ريتك مــا هليت يا ويلي ياشهر الفراق

كدُّوا تزورُه — صدر البنيه امـام — يا ويلي كدوا تزوره
نقشة صـدوره — طرز الغبـاني شمام — يا ويلي نقشة صدوره

حلّوا شعرهم — نزلوا عـلى الحمَّام — يا ويلي حلوا شعرهم
وانتِ قمرهم — كل البنـات نجوم — يا ويلي وانتِ قمرهم

غيرها

يا ويلي من الاشعلي — طوّل الغيبه عـليَّ

يوث عنابا جبوريه

ما قال عبيد والهادي ما حدَلِيْ — الطريق وارتع القاني ما حدَلِيْ
كما الناعوص انا انعي بحد لاي — والهي من بـير الناظر مياه

يا عقلي راح ولساني تبلبـل — ودمعي لا زياق التوب بلبل
عتّم صدري عمنك جيت بالبال — وانت اسباب حزني والغثا

بالله يا ظبي نجران إلى فـين — عسىأنَّك من بني رضوان لافين
ذوايب كنَّها ثعبان لا فـين — وجاذب مثل عيُوق الدجـا

شدُّوا زملهم من فوق عوده — بزيزه[1] وما بهـا ورده وعوده
يا ربي ان كان ما بالحي عوده — دخيلك باللقـا يوم الحساب

يا قلبي كنَّ خامشتك مجاريد — عليهم متّني ساق المجاريـد
كم دزيت لحبابي وما جا رَدّ — الكتاب ولا ورد منهم جواب

ما كنا نظن يا يوبا بظلومَ الـ — دهر من كثر ما ربينا بظل وما
اشوف الدهر غازينـا بظلومه — وما من نرتجي منـه هدى

ما كنا نظن يا يوبا يكيدنا الـ — دهر من فوق طاقتنا يكدّنا
لولا كبر رجوانا يا كدنا — نفْنَى من قبل ما نشوف الرجا

ما كنا نظن يا با لابد لنـا — الدهر ويخون فينا لا[2] بدّلنا
رجانـا بالمهيمن لابدّ لنـا — من ايام ترجعنـا سوا

(١) بمعنى برّيّة (٢) بمعنى حتّى

ما كنا نظن يا با كامي لنا   الدهر ما نعد يومي كام إيلنا
كانون الخلايق كميلنا   عيلوا اصبحوا عنا جناب

طرب طاري رقب طارق قصب سال   سهى ساجد سحب سيف المهى سل
سرا لاجل السرق عقله وما سال   ذنب ما من زعلكم لي[1] باب

عذر صونجك ذنب قل لي بلا زعال   شبه طولك شكل جسمك برز عال
حلي طرز العرندس والبرز عال   جبق دردور مص من الرطاب

عجيف آني الجس مني الاسي دل   نزح عني مهاة البيض ما اسدل[2]
اذا ما عسعس الديجور واسدل   وحش غاش الطلل منه غثا

يا همي ما يشيلك عشر تالاف   الزمل والعقل بعد الولف تالف
بالله تلتوا لي السلك تا لف   الجروح اللي غدت بدها عصاب

سرى قلبي الحزين وسار يحكن   باقوى مركباً ويخوض يحكن
يا قلبي عود حاج تقول يحكن   تنال الرد من بعد الجفا

يا حادي قبل زف العيس عج بال   ضعن لا ما يصيب القلب عج بال
لو ان اللي بقلبي كان عاجبال   لهدهدت العوالي للوطا

هلي ما لبسوا الخادم سملهم   وبكبود العدا دايم سم لهم[3]
يا تاري الناس ارض واهلي سماً لهم   كواكب والنجوم إلهم قراب

جليت هموم يا صاحب متل تل   الصدى والهم عا قلبي متلتل[4]
يا طارش روح لحبابي متل تل الا   غراف وهات لي منهم جواب

سلام ارسل لخلاني مع الشوح   وايش تنفع مناداتي مع الشوح[5]
يا ربعي لا تليموني معي شح   العقل عافراق ولفي والحباب

مسلك ما قطب جروحي وشلهم   ودمعي سابق الغارف وشلهم[6]
جمل ما ثار بهمومي وشالهم   وعياً ولا نقل فيها وخطا

---

(١) بمعنى لأيّ   (٢) اي ما استدلّ   (٣) اي سماً لهم   (٤) اي مكويّ
(٥) اي الإيماء باليد   (٦) الوشل : ماء في البرية

انا لوِنّ عـالخلان ونتـال ربيط وقاضبينه عنوز وانتـل
لويس اذبح ثلاثه رحيل وانت ال كفيل ان كان عـدنا للحباب[1]

هلي شالوا عـلى عوج التواريك[2] زماني صد وانطـاني التواريك[3]
قومي عـاد يا نفسي تواريكِ العـدوّ اللي بغيبتنا اشتفى

رحال الهم لدعيهـا سوانح أَبد ما شالهـا زمول السوانح
بعدكم مـا يسليني سوى نوح وهلاهيل المدامـع والبكا

ابات منكدًا عيشي وألمْ حلّ حزين مفارق حبـابي والمحل
اريـد من الحبايب بس لمح ال نظر واقول خاطركم كفى

تغرك يـا ظريف الطول بسام وريقك يَبريَ الملسوع بالسمّ
الا يا ماخـذين الروح بس ام هلونا لنودّع للحباب

بثغرك يا ظريف الطول لمعـان عـلى نوره يسير الحج لمعان[4]
بحياتك يا عشير صباي لم عَنّ عـلى بالي سوى شخصك حدا

نزل دمعي عـلى خدي عنـدما غزير ولطّخ زياقي عن دمـا
وكل الحزن فاجـاني عندما رحلتم مـا افتكرتم بالاياب

بعض اقوال على المعنى

اللازمة

يا زين حسنك زاد وزنه عن قنوع اهل الذكا والفن تأتي لك خضوع
الفرق ما بين الثريا والثرى الفين قامـه بالنزول وبالطلوع

الفرق ما بين الثريا والثرى الفين قامـه بالتمام مقدّره
لو تعلموا بالصار فينا والجرى قبل الرواح كنتوا تهموا عالرجوع

---

(١) اي : انا انوح على خلاني نوح المقيَّد الذي قبض عليه عرب عنزه وجرّوه اسيرًا فأذبح للوليّ المدعو وَيس ثلاثة من الضأن، اذا كان يكفل لنا العودة الى الأحباب

(٢) من الورك اي الجنب (٣) اعطاني جنابه (٤) الى معان

قبل الرجوع كنتوا تهموا عالرواح   بلكي الهم يزول واحصل عاانشراح
يوم غرَّك ما بضرَّك   بعد سرَّك ما انباح
حق البتول الطاهرة ام المسيح   لحفظ ودادك مثل ما احفظ يسوع

حق البتول الطاهرة والانبيا   لاجلك تبعت الفن وتركت الصلاه
موشرطنا عاشرتنا   ودشرتنا يا ابو الحلا
برجا جنابك ما بتسمع لي كلام   ليش السبب من عِنا نفسك قنوع

برجا جنابك ما بتسمع لي كلام   نحن ما عنا خبار ولا علام
بدر البدور باعلى القصور   مع الطيور لبعث سلام
يقولوا لكم بافصح لسان ويخبِروا   بلكي أنكم ليّمنا ترخوا القلوع

يقولوا لكم باحلى لسان ويخبِروا   والقلب عالفرقات الله يصبِّره
يوم اللقى تعطوا نقى   يكفي بقى تتكبَّروا
ما هوش حق الله منكم يا فلان   تبدلوا سهل الهوى بوعر وقلوع

ما هوش حق الله منكم يا فلان   تبدلوا قمح الصليبي بزوان
جسمي لوى قلبي اكتوى   جمله سوى شكال ولوان
يا حسرتي ابكي على سعدي قليل   السعد بيطالع مويه من النبوع

يا حسرتي ببكي على سعدي قليل   كيفما مال الهوى قلبي يميل
صدري طبق قلبي احترق   يوم الفراق صبرًا جميل
الله يجازيكم ويا الكنتوا السبب   والعين تبكي على مفارقة الربوع

غيره

اللازمة

يا اله العرش يا موجود   لا بدّ ما نفنى طعام الدود
والموت كاساته بترعبني   نحن تراب وللتراب نعود

والموت كاساته بترعبني   ربي بذنبي لا تحاسبني
جاني بليس حتى يجرّبني   عذّب ضميري في فكار السود

في فكار السود خوّفني   يا ما ليالي ما غمض جفني
يا عين لازم في البلا تفني   وتحضري في موقف المعبود

تبقي من الديان مرهوبه   والخطايا بصك مكتوبه
يا نفس ما داملك زمان توبه   وأتذكري قول النبي داود

وتذكَّري قول النبي يونان   وتفكَّري في وقفة الديَّان
وبليس ناطر ميلة الميزان   وفي هلاكك يبذل المجهود

غيره

اللازمة

يا قلب مالك والهوى القتَّالْ   يا ما قتل مثلك بدون قتالْ
لا رمح بيده ولا عصا ولا سيف   بالوجد يضني الجسم والاوصال

لا رمح بيده ولا عصا ولا سيف   يقضي على الولهان ظلم وحيف
واللي يخوض الحب يتمرمر   ويضيع عمره قبل ان يوصل

واللي يخوض الحب يتمرمر   ما بين ابيض واسود واحمر
يقضي زمانه دوم بالتفكير   وتبات احواله باسوا حال

يقضي زمانه دوم بالتفكير   والهم عاقلبه يصير كبير
ويضيع ماله ويضطرب حاله   ما يظل عنده من العقل مثقال

ويضيع ماله ويضطرب حاله   والمايشوف الحب نياله
يرتاح باله ولا يشوف الضيم   يمشي بكيفه يتبختر ويتمايل

يرتاح باله ولا يشوف الضيم   ويحالفه التوفيق ربي عليم
يا من تريد الحب دير بالك   يا ما قتل مثلك بغير قتال

غيره

اللازمة

قال المغنى قول ما له مثال   بين القلب والعين صار قتال
القلب يتهمها بنظرتها   وهيَ تقول للقلب انت ميال

القلب يتهمها بنظرتها والعين تجري سيول عبرتها
يا وقعةً ما بين قلب وعين يا ما اشوف بين الاثنين هوال
يا وقعةً ما بين قلب وعين من هولها رايح اعوف الدين
يا رب تفرجها على المتلي وتغيّر الحال باحسن حال
يا رب تفرجها على المتلي من بحر جودك صبر تبعتلي
على فرقة الاحباب قلبي داب والعين تبكي والدمع سيّال
عافرقة الاحباب قلبي داب عالدوم يتمرمر ويتعذب
والولف مسافر ما على باله يا حسرتي من خيبة الآمال

بين السمره والبيضه

قالت البيضه اصلي من الحليب لو انطبخ بالرز مأكوله يطيب
روحي ويا سوده ويا قشر الزبيب شدّي وهدّي من بلدنا وارحلي

السمره

ما قـالت السمره انا الفرفوره يا حسن دولابي كما الناعوره
روحي ولك بيضه ويا مصفوره شدي وهدي من بلدنا وارحلي

البيضه

ما قالت البيضه انا خـبز الرقاق هالطيب الماكول من فوق الطباق
روحي ولك سوده ويا سيقان قاق شدي وهدي من بلدنا وارحلي

السمره

مـا قالت السمره انا بنُّ اليمن هالطيّب المشروب هالغالي الثمن
روحي ولك بيضه ويا ضرف اللبن رطله بمصريتين ولو انـه غلي

الحكَم

قوم يا اديب وافصل دولـه واكتب لهم عرضين عند الدوله
والبيض لو دقوا بسبع طبوله والسمر ريش نعام فوق المخملي

خاتمة

هذا ما تمكنت من جمعه من هـذه الصور، التي محت الايام بعضها، وستمحو بقيتها وتستبدلها بما يتسرب الينا بطريق التطور، ممـا يغزو بلادنا من عادات نقتبسها ونسير عليها الى ما شاء الله . فأرجو من القراء الكرام ان يغضوا الطرف عما يُرى بصوّري هـذا من النقص، لانني لست من رجال هذا الميدان . لكنها، كما يقول البدو، « نوبَه وصارَتْ » او لك ان تقول : « رميـة من غـير رام. »

والسلام



تصحيح خطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	الاخير	دير مار موسى الحبشي	دير مار موسى الحبشي في الجبل الشرقي
١٩	١٥	القياص بالمرّ	القياض بالمرّ
٤٨	٦ و٩	الشراندرمة	الجاندرمة
٥٧	٢	مدًا ونصف مد	مدًا او نصف مدّ
٥٧	١٣	وبريد	ولا بريد
٦٠	١٩	ما بين ١٣٥ و٢٦٠	من ١٤٤ الى ٣٢٤
٦٢	١٦	والدبس	او الدبس
٦٧	٢	(الشطر٢) بيت العرب	بيت الحجر
٧٣	٢٢	عقصة	عفصة
٨٤	١٨	للجمع	الجمع
٩٤	٥	حاملًا	بحمل
٩٥	٨	والبعيدي	البعيدي
٩٧	١٥	الشيخ على	الشيخ عليّ
١٠٦	٨	تليق	تلبَق
١٠٩	٢١	ردّ	ردَّد
١١١	١٢و١٣	يجب قراءة البيتين هكذا :	

شربت البحر ونشفته ومشيت بارضه حافي

بحلف يمين ما شفتـه ولا بلبل روس شفافي

Suit une description détaillée des coutumes relatives aux repas, aux visites, aux soirées (p. 19-33) ; puis des divers costumes en usage dans le pays (p. 34-44). Cette partie abonde en illustrations variées.

Les 30 pages suivantes (44-72) traitent de l'agriculture dans toutes ses phases. Elles se terminent par la description de la préparation assez compliquée du « borghol », du raisin sec et du moût de raisin sec. Ces pages sont agrémentées par les chansons pittoresques qu'il est d'usage d'exécuter durant ces divers travaux.

La majeure partie de l'ouvrage (p. 73-131) est consacrée aux cérémonies préparatoires au mariage et au cérémonial des noces. Ce cérémonial, extraordinairement compliqué, mais particulièrement intéressant et varié, disparait de plus en plus. Il était temps d'en fixer les détails devenus déjà quasi inconnus pour beaucoup de Syriens des grandes villes et de la diaspora. Ce qui fait le charme de ces pages, ce sont les chants populaires en usage dans ces circonstances, autrefois occasions presque uniques de jeux, de plaisirs et de distraction.

Suivent, en 6 pages (132-137) les détails relatifs aux naissances, au baptême, à la circoncision.

Dans une douzaine de pages (138-148) l'auteur décrit ensuite, en un style vivant, alerte, une soirée dansante, puis (p. 149-155) la fameuse dabkée (danse en ronde) orientale.

Huit autres pages (156-163) sont consacrées à l'étude des principales fêtes musulmanes et chrétiennes. Ces pages contiennent, en particulier, une description pittoresque des diverses scènes de faqirs et des danses religieuses auxquelles ils se livrent à l'occasion des fêtes musulmanes.

L'avant dernier chapitre (p. 164-166) traite des cérémonies funéraires.

Enfin, l'ouvrage se termine par un petit recueil des plus célèbres chansons populaires.

DIRECTION

DE LA REVUE « AL-MAÇARRAT »

RÉSUMÉ

Le livre que la Revue « Al-Maçarrat » présente aujourd'hui au public intéresse les habitants de la Syrie, principalement les émigrés.

Mais il n'en sera pas moins goûté par les nombreux Orientalistes qui sauront gré à l'Auteur d'avoir réuni, en un volume illustré, les coutumes les plus pittoresques du Proche-Orient.

Doué d'un esprit d'observation peu ordinaire et d'une mémoire prodigieuse, Monsieur J. Khanachet a su former, de ses souvenirs et de ceux de ses compatriotes, des tableaux captivants, qui font connaître au public les coutumes d'hier, en train de disparaître pour faire place à une civilisation nouvelle, peut-être plus raffinée, mais moins simple et moins naturelle.

Pour conserver ces précieux vestiges d'un passé qui s'en va ; pour les fixer, autant que possible, par l'image, nous avons tenu à présenter à nos lecteurs ce volume illustré qui leur parle d'eux-mêmes, de leurs parents, de leurs amis, de leurs aïeux. Il dira un jour à leurs petits-fils comment vivaient leurs ancêtres. Il peindra aussi à ceux qu'attirera toujours l'Orient enchanteur, quelques traits de la physionomie de l'Oriental, auxquels — nous l'espérons — le temps gardera leur charme justement fascinateur.



Voici, au surplus, pour nos lecteurs d'Occident, un bref résumé de ces pages originales.

Après avoir décrit, en quelques pages (p. 1-9) la petite ville de Nabk, capitale du Kalamoune, l'auteur trace, à grands traits, la vie au Kalamoune en général : les travaux, la nourriture, les occupations féminines. Il s'attarde, en particulier, à montrer la façon de préparer certains mets orientaux, que les Occidentaux, de passage en Syrie, apprécient justement et devant lesquels ils restent tout intrigués (p. 9-19).

PUBLICATIONS DE LA REVUE « AL-MAÇARRAT »
ORGANE DU PATRIARCAT GREC MELKITE CATHOLIQUE

An-Nabk

et

Jabal-el-Kalamoune

MŒURS ET COUTUMES

VERS LE MILIEU DU XIXe SIÈCLE

PAR

JOSEPH M. KHANACHET

1936

IMPRIMERIE
DE S. PAUL
HARISSA - LIBAN